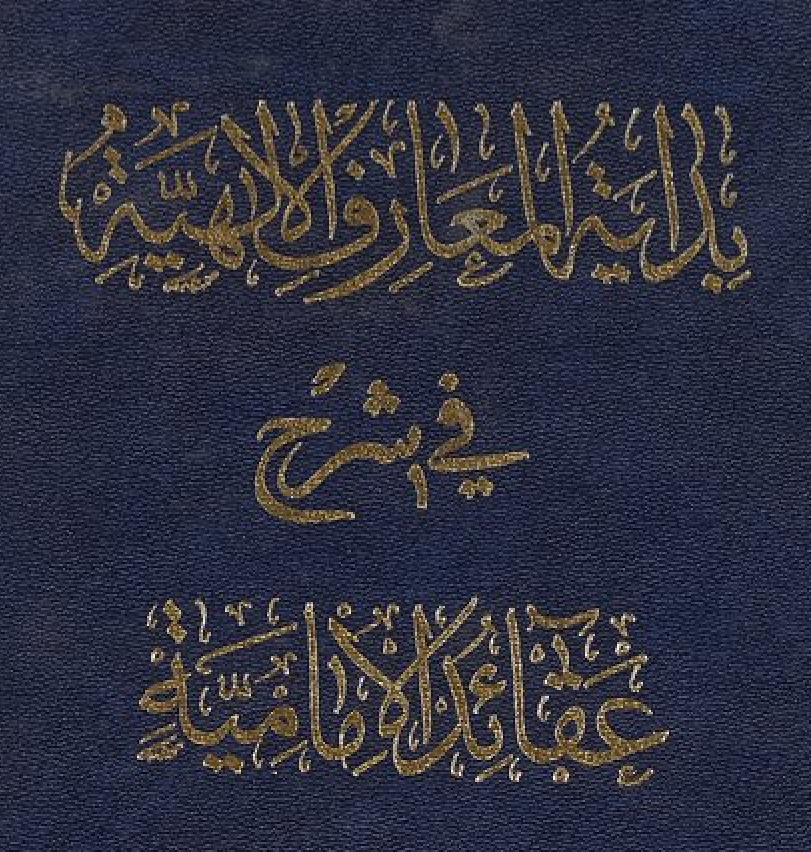


بداية المعارف الإلهية

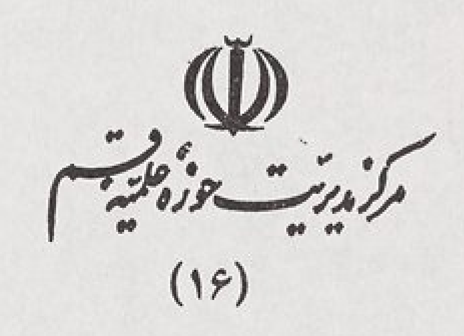
في شرح

عقائد الإمامية

محاضرات الأستاذ
السيد محسن الخرازي

الجزء الثاني


Princeton University Library
32101 058179282



(۱۶)

بداية المعارف الإلهية

في شرح

عقائد الإمامية

سجل الكتاب

الكتاب: بدايةالمعارف الالهية فی شرح عقائد الامامية
محاضرات الاستاد: السيدمحسن الخرازی
الناشر: مركز مديريت حوزۀ علميه قم ــ ١٦
مطبعة: شركت افست «سهامی عام» (چاپخانه ١٧ شهريور)
الطبعة: الاولی
المطبوع: ٥٠٠٠ نسخة
التاريخ: المحرم ١٤١١ المطابق لشهرالمرداد ١٣٦٩

Kharrāzī al-Ṭihrānī ...

بداية المعارف الالهية

في شرح

عقائد الامامية

للشيخ محمد رضا المظفر

محاضرات الأستاذ

السيد محسن الخرازي

الجزء الثاني



حمداً و شكراً على آلائه و صلاة و سلاماً على رسله و أنبيائه و أوليائه
ولا سيما محمداً خير رسله و آله الطاهرين

ان من وظائف الحوزة العلمية ترفيع مستوى الطلاب العلمى و تحكيم المبانى الفقهية و الاصولية والاعتقادية و غيرها متناسباً لحاجات الامة الاسلامية والعالم الاسلامى.

ولذلك قرر الشورى المركزى لادارة الحوزة العلمية بقم المشرفة دروساً اخرى فى جنب الدروس الفقهية والاصولية تحقيقاً بوظيفته المقدسة.

و مما من الله على هو أن دعانى الشورى المركزى لالقاء ابحاث و محاضرات حول عقائد الامامية لطلاب العلوم الدينية. انى و ان لم ارأهلية لنفسى لذلك ولكن استعنت بحول الله و قوته و هو تعالى اعاننى بالتوفيق لالقاء تلك المباحث.

واتخذت كتاب عقائد الامامية للعلم المعروف فى الحوزات العلمية آيةالله الشيخ محمدرضا المظفر قدس سره متناً لتلك الابحاث، لكونه جامعاً للمسائل الاعتقادية، بمختصر العبارات، مع مافيه من الاشارات الى المهمات من المباحث الراقيات، و شرحته و علقت عليه تتميماً، و تبييناً، و سميته ببداية المعارف الالهية فى شرح عقائد الامامية.

و دأبى فى هذا المتن و الكتاب والالقاء هو أن ابين المباحث المهمة و ادلتها بالبراهين الواضحة والمحكمات من الادلة، من دون اقتصار على علم خاص،

كالفلسفة اوالكلام، بل كل ما رأيته تاماً أخذته و أوردته ولو كان فى الروايات والآثار، و أرجو من الله تعالى أن يوفقنى لاتمامه، و ان يكون نافعاً لى ولاخوانى المؤمنين، ولا ادعى أنه تام كامل كيف يمكن هذه الدعوى مع نقص المؤلف و عجزه و ضعفه، ولكن كان رجائى بعون الله و لطفه و هو خير معين.

وفى الختام اشكر شكراً جزيلا من الشورى المركزى فى اعاناتهم حول تلك المقاصد و ادعو و اطلب من الله ان يزيد فى توفيقاتهم حتى ينالوا الى مقاصدهم كمال النيل و شكر الله مساعيهم الجميلة و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سنة ١٣٦٩ الهجرية الشمسية

قم المقدسة

السيد محسن الخرازى

الفصل الثالث

الامامة

١ـ عقيدتنا فى الامامة
٢ـ عقيدتنا فى عصمة الامام
٣ـ عقيدتنا فى صفات الامام وعلمه
٤ـ عقيدتنا فى طاعة الائمة
٥ـ عقيدتنا فى حب آل البيت
٦ـ عقيدتنا فى الائمة
٧ـ عقيدتنا فى أن الامامة بالنص
٨ـ عقيدتنا فى عدد الائمة
٩ـ عقيدتنا فى المهدى ـع ـ
١٠ـ عقيدتنا فى الرجعة
١١ـ عقيدتنا فى التقية

١ـ عقيدتنا في الامامة

نعتقد ان الامامة اصل من اصول الدين لا يتم الايمان الا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الاباء والاهل والمربين مهما عظموا و كبروا بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة.

و على الاقل ان الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها ايجابا او سلبا فاذا لم تكن اصلا من الاصول لا يجوز فيها التقليد لكونها اصلا، فانه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة اى من جهة ان فراغ ذمةالمكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعا من الله تعالى واجب عقلا وليست كلها معلومة من طريقة قطعية فلابد من الرجوع فيها الى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه اما الامام على طريقة الامامية او غيره على طريقة غيرهم.

كما نعتقد انها كالنبوة لطف من الله تعالى فلابد ان يكون في كل عصر امام هاد يخلف النبى في وظائفه من هداية البشر و ارشادهم الى ما فيه الصلاح والسعادة فيالنشاتين وله ما للنبى من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم و مصالحهم و اقامة العدل بينهم و رفع الظلم والعدوان من بينهم.

و على هذا فالامامة استمرار للنبوة والدليل الذى يوجبارسال الرسل و بعث الانبياء هو نفسه يوجب ايضا نصب الامام بعدالرسول.

فلذلك نقول ان الامامة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان النبى اولسان الامام الذى قبله وليست هى بالاختيار والانتخاب من الناس فليس لهم اذا شاؤا ان ينصبوا احداً نصبوه و اذا شاؤا ان يعينوا اماماً لهم عينوه و متى شاؤا ان يتركوا تعيينه تركوه ليصح

لهم البقاء بلا امام بل من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتةجاهلية على ما ثبت ذلك عن الرسول الاعظم بالحديث المستفيض.

و عليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من امام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى سواء ابى‌البشر ام لم يأبوا و سواء ناصروه ام لم يناصروه، اطاعوه ام لم يطيعوه و سواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس اذ كما يصح أن يغيب النبى كغيبته فى‌الغار والشعب، صح أن يغيب الامام، ولا فرق فى حكم العقل بين طول الغيبة و قصرها.

قال‌الله تعالى: «و لكل قوم هاد ـ الرعد: ٨»و قال: «و ان من امة الا خلافيها نذير ـ فاطر: ٢٢» (١)

---

(١) يقع الكلام فى مقامات:

المقام الاول: فى معنى الامامة لغة و هى بحسبها تقدم شخص على الناس بنحو يتبعون منه و يقتدون به فالامام هو المقتدى به والمتقدم على الناس قال فى المفردات والامام المؤتم به انساناً كان يقتدى بقوله أو فعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلا وجمعه ائمة. انتهى موضع الحاجة منه، و عن الصحاح الامام الذى يقتدى به و جمعه ائمة، و يشهد له الاستعمال القرآنى كقوله عزوجل: «وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ـ الانبياء: ٧٣» و قوله تبارك و تعالى: «و جعلناهم ائمة يدعون الى النار ـ القصص: ٤١» اذ الظاهر انه ليس مستعملا فى هذه الموارد الا فى معناه اللغوى. ثم ان الامام ان كان اماماً فى جهة خاصة يقيد بها، و يقال انه امام الجماعة او امام الجمعة او امام العسكر ونحوها و الا اطلق و علم انه امام فى‌جميع الجهات، كقوله تعالى فى حق ابراهيم الخليل عليه السلام: «انى جاعلك للناس اماما ـ البقرة: ١٢٤».

و مما ذكر يظهر ايضا أن الامام لغة أعم من الامام

الاصل و غيره، كما انه اعم من الامام الحق و غيره وان كان فى بعض المقامات ظاهرا فى الامام الاصل فلاتغفل.

ثم ان النسبة بين الامام بالمعنى المذكور والنبى ـ سواء كان بمعنى المخبر عن الله تعالى بالانذار والتبشير كما هو الظاهر او بمعنى تحمل النبأ من جانب الله كما يظهر عن بعض ـ هى العموم من وجه فيمكن اجتماعهما فى شخص واحد كما قد يجتمع عنوان الامام مع عنوان خليفة الرسول او وصى الرسول.

المقام الثانى: فى معنى الامامة اصطلاحاً: ولا يذهب عليك أن جمهور العامة فسروها بمااعتقدوها فى الامامة من الخلافة الظاهرية والامارة، و قالوا ان الامامة عند الاشاعرة هى خلافة الرسول فى اقامة الدين و حفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة[1] و من المعلوم أن مرادهم منها هى الخلافة الظاهرية التى هى اقامة غير النبى مكانه فى اقامة العدل و حفظ المجتمع الاسلامى، ولو لم ينصبه النبى صلى الله عليه و آله للخلافة باذنه تعالى و لذا حكى عن شرح المقاصد انه قال ان قيل الخلافة عن النبى (ص) انما تكون فيما استخلفه النبى (ص) فلا يصدق التعريف على امامة البيعة ونحوها، فضلا عن رياسة النايب العام للامام قلنا لوسلم فالاستخلاف اعم من أن يكون بواسطة أو بدونها[2] ولذا لم يشترطوا فيها العصمة بل لم يشترط بعضهم العدالة كما قال شارح المقاصد على المحكى: ان من اسباب انعقاد الخلافة القهر والغلبة فمن تصدى لها بالقهر والغلبة من دون بيعة الامة معه فالاظهر انعقاد

١. دلائل الصدق: ج ٢ ص ۴ نقلا عن الفضل بن روزبهان الاشعرى المعروف.
٢. گوهر مراد: ص ٣٢٩.

الخلافة له و ان كان فاسقاً[٣] و نسب ذلك ايضا الى الحشوية و بعض المعتزلة[٤] كما لم يشترطوا فيها العلم الالهى بل اكتفوا فيها بالاجتهاد ولو كان اجتهاداً ناقصا قال الفضل بن روزبهان: و مستحقها ان يكون مجتهداً فى الاصول والفروع ليقوم بامر الدين[٥] وهذا معذهابهم الى عدم وجوب كون الامام افضل الامة[٦] بل جواز اشتباهه فى الاحكام كما يشهد لذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب انه قال مكررا لولا على لهلك عمر و كيف كان فمعنى الامامة عند العامة هى الخلافة الظاهرية مع انها لو كانت واجدة لشرائطها لكانت شأنا من شؤون الامامة عند الشيعة فان الامامة عند الشيعة هى الخلافة الكلية الالهية التى من آثارها ولايتهم التشريعية التى منها الامارة والخلافة الظاهرية لان ارتقاء الامام الى المقامات الالهية المعنوية يوجب ان يكون زعيما سياسياً لادارة المجتمع الاسلامى ايضا فالامام هو الانسان الكامل الالهى العالم بجميع ما يحتاج اليه الناس فى تعيين مصالحهم و مضارهم، الامين على أحكام الله تعالى وأسراره، المعصوم من الذنوب والخطايا، المرتبط بالمبدء الاعلى، الصراط المستقيم، الحجة على عباده، المفترض طاعته اللائق لاقتداء العام به والتبعية عنه الحافظ لدين الله، المرجع العلمى لحل المعضلات والاختلافات و تفسير المجملات، الزعيم السياسى والاجتماعى، الهادى للنفوس الى درجاتها اللائقه بهم من الكمالات المعنوية الوسيط فى نيل الفيض من المبدء

٣. گوهر مراد: ص ٣٢٩.

٤. اللوامع الالهية: ص ٢٥٨ـ٢٥٩.

٥. دلائل الصدق: ج ٢ ص ٤ نقلا عن الفضل.

٦. سرمايه ايمان: ص ١١٦ الطبع الجديد.

الاعلى الى الخلق و غير ذلك من شؤون الامامة التى تدل عليها البراهين العقلية والأدلة السمعية وسيأتى الاشارة الى بعضها انشاءالله تعالى.

و ينقدح من ذلك ان ما ذكره جماعة من علماء الامامية تبعا لعلماء العامة فى تعريف الامامة من انها رياسة عامة فى امور الدين والدنيا ليس تعريفا جامعا للامامة و انما هو ان تم شأن من شئون الامامة و لعل علمائنا ذكروه فى قبال العامة من باب المماشاة، والا فمن المعلوم ان هذا التعريف ليس الا تعريفا لبعض الشئون التشريعية للامام، و هو الزعامة السياسية والاجتماعية ولا يشمل ساير المقامات المعنوية الثابتة للامام كما اشرنا اليه فى تعريف الامام والعجب من المحقق اللاهيجى قدس سره حيث ذهب الى تطبيق التعريف المذكور على الامامة عند الشيعة مستدلا بان الرياسة فى امور الدين لايتحقق الا بمعرفة الامور الدينية[٧] مع ان المعرفة بالامور الدينية اعم من العلم الالهى و يصدق مع الاجتهاد فى الامور الدينية ان لم نقل بكفاية التقليد فى جلها هذا مضافاً الى خلوه عن اعتبار العصمة و كيف كان فالامر سهل بعد ما عرفت من ماهية الامامة عند الشيعة فالاختلاف بيننا و بين العامة اختلاف جوهرى لا فى بعض الشرائط ولذلك قال الاستاذ الشهيد المطهرى قدس سره: لزم علينا ان لا نخالط مسألة الامامة مع مسألة الحكومة و نقول ان العامة ماذا تقول و نحن ماذا نقول بل مسألة الامامة مسألة اخرى و مفهوم نظير مفهوم النبوة بمالها من درجاتها العالية و عليه فنحن معاشر الشيعة نقول بالامامة والعامة لا تقول بها اصلا لأنهم قائلون بها و لكن اشترطوا فيها

٧. راجع گوهر مراد: ص ٣٢٩.

شرائط اخرى[۸].

ثم لا يخفى عليك ان الامامة بالمعنى المختار والنبوة قد يجتمعان كما فى ابراهيم الخليل عليه‌السلام كما نص عليه فى قوله بعد مضى مدة من الزمن لنبوته: «انى جاعلك للناس اماما ـ البقرة: ۱۲۴» بل فى‌عدة اخرى من الانبياء كما يشهد له قوله تعالى: «و جعلناهم ائمة يهدون بأمرنا ـ الانبياء: ۷۳» ولا سيما نبينامحمد صلى‌الله عليه و آله وقد يفترقان اذ بعض الانبياء كانوا يأخذون الوحى و يبلغونه الى الناس واطاع‌عنهم من اطاع فيما بلغ اليهم ولكن معذلك لم يكونوا نائلين الى مقام الامامة و اقتداء الخلق بهم و قيادة الناس و سوقهم نحو السعادة والكمال، كما ان ائمتنا عليهم‌السلام كانوا نائلين الى مقام الامامة ولكن لم يكونوا انبياء فالنسبة بين الامامة والنبوة عموم من‌وجه[۹]. ثم ان المقصود من البحث فى الامامة حيث كان هو الامام الذى يكون خليفة عن النبى قيدت الامامة فى‌التعاريف بالنيابة عن النبى (ص) كما يظهر من تعاريف القوم بل اصحابنا و منهم العلامة قدس سره حيث عرفوها بانها رياسة عامة فى امور الدنيا والدين لشخص من الاشخاص نيابة عن النبى و عليه فيصدق على كل‌واحد من ائمتنا عنوان الامام و عنوان خليفة الرسول او وصى الرسول كما يصدق عليه عنوان خليفة الله ايضا ولامانع من اجتماع هذه العناوين فيه كما لا يخفى.

المقام الثالث: فى شئون الامامة و منزلتها: ولا يخفى عليك ان الامام حيث كان خليفة الله

۸. امامت و رهبرى: ص ۱۶۳
۹. راجع: امامت و رهبرى: ص ۲۸، شيعه در اسلام: ص ۲۵۲.

فى ارضه فليكن مظهر اسمائه و صفاته كما أنه يتصف بصفات النبى أيضا لكونه خليفة له فان كان النبى معصوماً فهو ايضا معصوم، و ان كان النبى عالماً بالكتاب والاحكام والاداب فهو ايضاً عالم بهما، و ان كان النبى عالما بالحكمة فهو ايضا عالم بها و ان كان النبى عالما بما كان وما يكون فهو ايضا عالم به، و هكذا فالامام يقوم مقام النبى فى جميع صفاته عداكونه نبياً، وبالجملة فالائمة هم ولاة امر الله و خزنة علم الله و عيبة وحى الله وهداة من بعد النبى و تراجمة وحى الله والحجج البالغة على الخلق وخلفاء الله فى ارضه و ابواب الله عزوجل التى يؤتى منها و... فهذه منزلة عظيمة لا ينالها الناس بعقولهم او بآرائهم.

ثم ان احسن رواية فى تبيين هذه المنزلة هو ما نص عليه مولانا على بن موسى الرضا عليهما السلام حيث قال:...

ان الامامة اجل قدراً و اعظم شأناً و أعلا مكاناً و امنع جانباً و أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا اماماً باختيارهم ان الامامة خص الله عزوجل بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة و فضيلة شرفه بها واشاد[10] بها ذكره فقال «انى جاعلك للناس اماما» فقال الخليل عليه السلام سرورا بها «و من ذريتى» قال الله تبارك و تعالى «لا ينال عهدى الظالمين» فابطلت هذه الاية امامة كل ظالم الى يوم القيامة، و صارت فى الصفوة ثم اكرمه الله تعالى بأن جعلها فى ذريته اهل الصفوة والطهارة، فقال «و وهبنا له اسحاق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين و جعلناهم ائمة يهدون بامرنا و

١٠. اى رفع بهذه ذكره.

اوحينا اليهم فعل الخيرات و اقام الصلوة و ايتاءالزكاة و كانوا لنا عابدين ـ الانبياء: ۷۲» فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه و آله فقال جل و تعالى: «ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ـ آل‌عمران: ۶۸» فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه و آله علياً عليه‌السلام بأمر الله تعالى على رسم مافرض الله، فصارت في ذريته الاصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله تعالى: «و قال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ـ الروم: ۵۶» فهي في ولد علي عليه‌السلام خاصة الى يوم القيامة، اذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه و آله فمن أين يختار هؤلاء الجهال. ان الامامة هي منزلة الانبياء وارث الاوصياء ان الامامة خلافة الله و خلافة الرسول، ومقام امير المؤمنين عليه‌السلام وميراث الحسن والحسين عليهما‌السلام ان الامامة زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدنيا و عز المؤمنين ان الامامة اس الاسلام النامي و فرعه السامي[11] بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد و توفير الفيء والصدقات و امضاء الحدود والاحكام و منع الثغور والاطراف الامام يحل حلال الله و يحرم حرام الله، و يقيم حدود الله و يذب عن دين الله و يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الامام كالشمس الطالعة المجللة[12] بنورها للعالم و هي في الافق بحيث لا تنالها الايدي والابصار، الامام البدر المنير والسراج الزاهر[13] والنور الساطع والنجم الهادي

۱۱. اي العالي.
۱۲. بكسر اللام اي المحيطة.
۱۳. اي المضيء

فى غياهب الدجى[١٤] واجواز[١٥] البلدان والقفار ولجج[١٦] البحار الامام الماء العذب على الظمأ و الدال على الهدى والمنجى من الردى الامام النار على اليفاع[١٧] الحار لمن اصطلى به والدليل فى المهالك، من فارقه فهالك الامام السحاب الماطر والغيث الهاطل[١٨] والشمس المضيئة والسماء الظليلة والارض البسيطة والعين الغزيرة[١٩] والغدير والروضة الامام الانيس الرفيق والوالد الشفيق[٢٠] والاخ الشقيق[٢١] والام البرة بالولد الصغير و مفزع العباد فى الداهية النآد[٢٢] الامام امين الله فى خلقه و حجته على عباده و خليفته فى بلاده والداعى الى الله والذاب عن حرم الله الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين و عز المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين الامام واحد دهره لا يدانيه احد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولاله مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذى يبلغ معرفة الامام اويمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول

١٤. الغياهب: جمع الغيهب و هو الظلمة الشديدة و الدجى جمع الدجية و هى الظلمة و عليه فالاضافة بيانية و قد يعبر بالدجية عن الليل و عليه فليست الاضافة بيانية.

١٥. الاجواز: جمع الجوز و هو وسط كل شىء.

١٦. اللجج: جمع اللجة و هى معظم الماء.

١٧. اى ما ارتفع من الارض مثل الجبل.

١٨. اى المتتابع.

١٩. اى كثيرة الماء.

٢٠. الذى لايريد بك الاخيراً.

٢١. الاخ من الاب و الام.

٢٢. الداهية: الامر العظيم او المصيبة و النآد كسحاب الداهية، و انما وصفت الداهية به للمبالغة فى عظمتها و شدتها.

وتاهت الحلوم[۲۳] وحارت الالباب و خسئت العيـون و تصاغرت العظماء و تحيرت الحكماء و تقاصرت الحلماء و حصرت الخطباء وجهلت الالباء و كلت الشعراء و عجزت الادباء وعييت[۲۴] البلغاء عن وصف شان منشانه او فضيلة من فضائله و اقرت بالعجز والتقصير و كيف يوصف بكله او ينعت بكنهه او يفهم شيء من امره او يوجد من يقوم مقامه و يغني غناه لا كيف و انى و هو بحيث النجم من يد المتناولين و وصف الواصفين فاين الاختيار من هذا و اين العقول عن هذا و اين يوجد مثل هذا؟. ـالى ان قالـ والقرآن يناديهم: «و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما يشركون ـ القصص: ۶۸» ـالى ان قالـ فكيف لهم باختيار الامام؟. والامام عالم لا يجهل و راع لا ينكل[۲۵] معدن القدس والطهارة والنسك والزهـادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول و نسل المطهـرة البتول لا مغمز[۲۶] فيه فى نسب ولا يـدانيه ذوحسب[۲۷] فالبيت من قريش والذروة[۲۸] من هـاشم والعترة مـن الرسول صلىالله عليه و آله والرضا من الله عزوجل شرف الاشراف والفرع[۲۹] من عبد مناف نامى العلمكامل الحلم مضطلع[۳۰] بالامامة عالم بالسياسة مفروضالطاعة

۲۳. اى ضلت الحلوم اى العقول.
۲۴. بكسر الياء الاول اى عجزت.
۲۵. اى لايمتنع و لا يضعف و لا يجبن.
۲۶. المغمز: اسم مكان من الغمز اى الطعن، و يأتى ايضاً بمعنى العيب.
۲۷. الحسب الشرف بالاباء و ما يعده الانسان من مفاخره.
۲۸. بضم الذال اى اعلى الشىء
۲۹. و الفرع من كل قوم هو الشريف منهم و الفرع من الرجل اول أولاده و هاشم اول اولاد عبدمناف و اشرفهم.
۳۰. اى قوى على حمل اثقال الامامة.

قائم بامر الله عزوجل ناصح لعباد الله حافظ لدين الله ان الانبياء والائمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه مالا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان فى قوله تعالى: «أفمن يهدى الى الحق احق أن يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون ـ يونس: ٣٥» ـ الى ان قال ـ فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد امن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجته (البالغة) على عباده و شاهده على خلقه «و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم» فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه؟. او يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه... الحديث[٣١]

المقام الرابع: فى انها اصل من اصول الدين او فرع من فروعه وقد عرفت مما ذكرنا ان الامامة هى الخلافة الالهية التى تكون متممة لوظائف النبى وادامتها عدا الوحى فكل وظيفة من وظائف الرسول من هداية البشر و ارشادهم و سوقهم الى ما فيه الصلاح والسعادة فى الدارين و تدبير شؤونهم و اقامة العدل و رفع الظلم والعدوان و حفظ الشرع و بيان الكتاب و رفع الاختلاف و تزكية الناس و تربيتهم و غير ذلك ثابتة للامام و عليه فما اوجب ادراج النبوة فى اصول الدين اوجب ادراج الامامة بالمعنى المذكور فيها والا فلاوجه لادراج النبوة فيها ايضا. قال فى دلائل الصدق و يشهد لكون الامامة من اصول الدين ان منزلة الامام كالنبى فى حفظ الشرع و وجوب اتباعه والحاجة اليه و رياسته العامة بلافرق وقد وافقنا على انها اصل من اصول الدين

٣١. الاصول من الكافى: ج ١ ص ١٩٨.

جماعة من مخالفينا كالقاضى البيضاوى فى مبحث الاخبار و جمع من شارحى كلامه كما حكاه عنهم السيد السعيد رحمه‌الله[٣٢] نعم لو كانت الامامة بمعنى خصوص الزعامة الاجتماعية والسياسية فالانصاف انها من فروع الدين كساير الواجبات الشرعية من الصوم والصلوة وغيرها لامن اصولها فما ذهب اليه جماعة من المخالفين من كون الامامة من اصول الدين مع ذهابهم الى ان الامامة بمعنى الزعامة الاجتماعية والسياسية منظور فيه.

و اليه اشار الاستاذ الشهيد المطهرى قدس سره حيث قال: ان كانت مسألة الامامة فى هذا الحد يعنى الزعامة السياسية للمسلمين بعد النبى صلى‌الله عليه و آله فالانصاف انا معاشر الشيعة جعلنا الامامة من اجزاء فروع الدين لا اصولها و نقول ان هذه المسألة مسألة فرعية كالصلوة ولكن الشيعة التى يقول بالامامة لا يكتفون فى معنى الامامة بهذا الحد[٣٣].

ثم انه يمكن الاستدلال لذلك مضافاً الى ما ذكر بقوله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته ـ المائدة: ٦٧» فان الاية بعد كونها نازلة فى الامامة والولاية عند أواخر حياة الرسول صلى‌الله عليه و آله دلت على أنها أصل من اصول الدين اذالامامة على ما تدل عليه الاية المباركة امر لولم يكن كان كأن لم يكن شيء من الرسالة والنبوة فهذه تنادى بأعلى صوت ان الامامة من الاجزاء الرئيسية الحياتية للرسالة والنبوة فكيف لا تكون من اصول الدين و اساسها.

و أيضاً يمكن الاستدلال بقوله تعالى فى سورة

٣٢. دلائل الصدق: ج ٢ ص ٨.

٣٣. امامت و رهبرى: ص ٥٠ـ٥١

المائدة التى تكون اخر سورة نزلت على النبى صلى‌الله عليه و آله: «اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا ـ المائدة: ٣» فان الاية كما نصت عليه الروايات نزلت فى‌الامامة والولاية لعلى عليه‌السلام و يؤيده عدم صلاحية شيء اخر عند نزولها لهذا التأكيد فالاية جعلت الامامة مكملة للدين و متممة للنعمة فما يكون من مكملات الدين و متمماته كيف لا يكون من اصول الدين و اساسها.

هذا مضافا الى النبوى المستفيض عن الفريقين انه قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية[٣٤] و هذا الحديث يدل على أن معرفة الامام ان حصلت ثبت الدين، و الا فلا دين له الا دين جاهلى، وفى خبر آخر عن رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله: من مات ولم يعرف امام زمانه فليمت ان شاء يهودياً و ان شاء نصرانياً[٣٥].

و هو يدل على ان معرفة الامامة ان حصلت ثبت الاسلام والا فلا اسلام له، و كيف كان فاذا كان مفاد الحديث أن معرفة الامامة من مقومات الدين أو الاسلام فكيف لا تكون داخلة فى اصول الدين و اساسها[٣٦] هذا مع الغمض عن الاحاديث الكثيرة المروية فى جوامعنا التى تؤيد هذا المضمون فراجع[٣٧].

ولقد أفاد و أجاد المحقق اللاهيجى قدس‌سره بعد

٣٤. موسوعة الامام المهدى: ص ٩، دلائل الصدق: ج ٢ ص ۶، الغدير: ج ١٠ ص ٣۵٩ـ٣۶٠ ونحوه فى مسند الامام الكاظم: ج ١ ص ٣۵۵ وغيرها من الجوامع.

٣۵. معرفت امام: ص ۶ نقلا عن رسالة المسائل الخمسون للفخر الرازى المطبوعة فى ضمن كتاب مجموعة الرسائل بمصر سنة ١٣٢٨ و هذا الحديث مذكور فى ص ٣٨۴.

٣۶. راجع دلائل الصدق: ج ٢ ص ۴۵.

٣٧. امامت و رهبرى: ص ۵٨ـ۶٣، و احقاق الحق: ج ٢ ص ٢٩۴ـ٣٠٠.

نقل كلام شارح المقاصد الذى قال ان مباحث الامامة أليق بعلم الفروع، حيث قال ان جمهور الامامية اعتقدوا بأن الامامة من اصول الدين لانهم علموا ان بقاء الدين والشريعة موقوف على وجود الامام كما أن حدوث الشريعة موقوف على وجود النبى فحاجة الدين الى الامام بمنزلة حاجته الى النبى[٣٨].

فاذا ثبت ان الامامة اصل من اصول الدين فاللازم فيه هو تحصيل العلم ولا يكفى فيه التقليد الذى لا يفيد الا الظن لما عرفت من ان احتمال الضرر لايدفع بسلوك الطريق الظنى كما لا يخفى.

ثم ان معنى كون الامامة من الاصول هو وجوب الاعتقاد والتدين بوجود الامام المنصوب من الله تعالى فى كل عصر بعد النبى و خاتميته كما ان معنى كونها من الفروع هو وجوب نصب احد للرياسة والزعامة والانقياد له فيما اذا لم ينصبه بعد النبى صلى‌الله عليه و آله فيقع الكلام فى كيفية النصب المذكور انه باختيار بعض آحاد الامة او باختيار جميعهم او باختيار اكثرهم او غير ذلك؟

و اما بناء على كونها من الاصول فلا يبقى لهذا الكلام مجال كما لا مجال له فى وجود النبى كما لا يخفى ثم ان الامامة ـ اذا كانت الامامة اصلا من اصول الدين ـ يلزم من فقدها اختلال الدين ولكن مقتضى الادلة التعبدية، هو كفاية الشهادتين فى اجراء الاحكام الاسلامية فى المجتمع الاسلامى، فى ظاهر الحال، ولا منافاة بينهما فلا تغفل[٣٩] ولما ذكر يظهر وجه تسمية

٣٨. گوهر مراد: ص ٣٣٣.

٣٩. راجع المكاسب المحرمة للشيخ الاعظم الانصارى: مسألة الغيبة ص ٤٥ طبع تبريز.

الامامة والعدل باصول المذهب فان معناه بعد ما عرفت من كفاية الشهادتين تعبداً فى ترتب احكام الاسلام ان انكارهما يوجب الخروج عن مذهب الامامية لا عن اجراء الاحكام الاسلامية.

المقام الخامس: فى وجوب النظر فى امامة ائمتنا عليهم السلام ولاريب فى ذلك بناء على كونها اصلا من اصول الدين فيجب النظر فيها كساير احاد اصول الدين بملاك واحد، كما مر فى اول الشرح من وجوب دفع الضرر المحتمل و وجوب شكر المنعم.

و أما بناء على عدم كونها اصلا من اصول الدين كما ذهب اليه جمهور العامة فعلى الاقل تكون الامامة قابلة للنظر والبحث بعنوان المرجعية العلمية الالهية لامكان تعيين اشخاص من ناحيته تعالى لبيان الاحكام و حفظها فمع هذا الاحتمال يجب بحكم العقل الفحص والنظر فيه، فان ثبت تلك المرجعية لاحاد من الامة فلا يعلم بفراغ الذمة من التكاليف الشرعية الا بمراجعتهم و أخذ الاحكام منهم لانهم حجة فى بيان الاحكام لاغيرهم فالعقل يحكم بوجوب القطع بفراغ الذمة من التكاليف الشرعية دفعاً للضرر المحتمل و هو لايحصل الا بالرجوع الى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه، فالبحث والنظر عمن نكون مأمورين باتباعه واجب عقلى.

و نحن ندعى و نعتقد أن الائمة الاثنى عشر عليهم السلام، بعد نبينا محمد صلى الله عليه و آله هم خلفاء الله فى ارضه و امناؤه على احكامه فلولم يثبت ولايتهم المعنوية و زعامتهم السياسية والاجتماعية لاخواننا المسلمين، فلم لم يأخذوا بآثارهم مع ان مرجعيتهم العلمية ثابتة بالروايات المتواترة بين الفريقين.

منها الحديث المعروف بحديث الثقلين المجمع عليه بين الفريقين، المروى فى الكتب المعتبرة عن النبى صلى الله عليه و آله، أنه قال فى مواضع متعددة و حتى فى الخطبة الاخيرة منه: «ايها الناس انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى اهل بيتى فتمسكوا بهما لن تضلوا فان اللطيف الخبير اخبرنى و عهد الى انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[٤٠] فكما ان القرآن بنص الحديث حجة كذلك العترة فاراؤهم و اقوالهم حجة بنفسها فعلى اخواننا المسلمين الفحص والنظر عن المرجعية العلمية للائمة الاثنى عشر التى اعتقد بها الشيعة ولا يجوز بحكم العقل عدم التوجه الى هذه المرجعية على الاقل، اذمع احتمالها لايكفى فى الامتثال، العمل بغير طريقة الائمة عليهم السلام كما لا يخفى.

هذا مضافاً الى ان ائمتنا عليهم السلام هم الذين كانوا وارثين لعلم الرسول و مخزن علمه فعلى اخواننا المسلمين ان يأخذوا وظائفهم الشرعية عن طريق ائمتنا عليهم السلام ولقد افاد و اجاد السيد المحقق المتتبع المرجع الدينى آية الله العظمى البروجردى قدس سره حيث قال فى مقدمة جامع احاديث الشيعة ـ بعد نقل روايات تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله أملى كل حلال و حرام لعلى عليه السلام فكتبه بيده وبقى عند الائمة عليهم السلام ـ: وقد يظهر من هذه الاحاديث امور:

الاول: ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يترك الامة بعده سدى مهملة بلا امام هاد و بيان شاف بل عين لهم ائمة هداة دعاة سادة قادة حفاظاً و بين لهم المعارف

٤٠. راجع جامع احاديث الشيعة: ج ١ ص ٢٩ الطبع الثانى نقلا عن ينابيع المودة ص ١١٤ ط اسلامبول سنة ١٣٠١ و غيره.

الالهية والفرائض الدينية، والسنن والاداب والحلال والحرام والحكم والاثار و جميع ما يحتاج اليه الناس الى يوم القيامج حتى ارش الخدش ولم يأذن صلى الله عليه و آله لاحد ان يحكم أو يفتي بالرأى والنظر والقياس، لعدم كون موضوع من الموضوعات أو أمر من الامور خالياً عن الحكم الثابت له من قبل الله الحكيم العليم، بل أملى صلى‌الله عليه و آله جميع الشرايع والاحكام على الامام على‌بن ابيطالب عليه‌السلام وأمره بكتابته و حفظه و رده الى الائمة من ولده عليهم‌السلام فكتبه عليه‌السلام بخطه و اداه الى اهله.

والثانى: انه صلى‌الله عليه و آله أملى هذا العلم على على‌بن ابيطالب عليه‌السلام فقط ولم يطلع عليه فى عصره صلى‌الله عليه و آله غيره احد و أوصى اليه أن يكون هذا الكتاب بعده عندالائمة الاحد عشر، فيجب على الامة كلهم أن يأخذوا علم الحلال والحرام وجميع ما يحتاجون اليه فى امر دينهم بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله من على‌بن ابيطالب والائمة من ولده عليهم‌السلام فانهم موضع سر النبى صلى‌الله عليه و آله و خزان علمه و حفاظ دينه.

والثالث: ان الكتاب كان‌موجوداً عند الائمة عليهم‌السلام و أراه الامامان ابوجعفر محمدبن على‌بن‌الحسين بن على‌بن ابيطالب و ابنه ابوعبدالله جعفربن محمد الصادق عليهم‌السلام جماعة من اصحابنا الامامية و غيرهم من الجمهور لحصول الاطمئنان أوالاحتجاج على ما كانا يتفردان من الفتاوى عن ساير الفقهاء ويقسمان بالله انه املاء رسول‌الله صلى الله عليه و آله و خط على‌بن ابيطالب عليه‌السلام.

والرابع: كون الكتاب معروفاً عند الخاصة والعامة

فى عهد الامامين عليهما السلام لانهما كثيراً مايقولان فى جواب استفتاآت الجمهور ـ كغياث بن ابراهيم وطلحة بن زيد والسكونى و سفيان بن عيينة والحكم بن عتيبة و يحيى بن سعيد و امثالهم ـ ان فى كتاب على عليه السلام كذا و كذا فى جواب مسائل الاصحاب كزرارة و محمد بن مسلم و عبدالله بن سنان و ابى حمزة و ابن بكير و عنبسة بن بجاد العابد و نظائرهم.

والخامس: ان ما عند الائمة عليهم السلام من علم الحلال والحرام والشرائع والاحكام نزل به جبرئيل عليه السلام و أخذوه من رسول الله صلى الله عليه و آله فتحرم على الامة مخالفتهم فى الحكم والفتوى اعتماداً على الرأى والقياس والاجتهاد، و يجب عليهم الاخذ بأحاديثهم و فتاويهم، و رد ما يرد عن مخالفيهم لان ما عندهم أوثق مما عند غيرهم و معلوم ان ما ورد فى كون احاديث الائمة الاثنى عشر و علومهم عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه و آله من طرق العامة والخاصة قد تجاوزت حد التواتر بل لا يسعها المجلدات الضخام ولسنا بصدد استقصائها فى هذا الكتاب[41] فما قاله ائمتنا عليهم السلام قاله النبى صلى الله عليه وآله فيجب الاتباع عنهم كما يجب الاتباع عن النبى صلى الله عليه و آله.

المقام السادس: فى كون الامامة لطفا و رحمة ولا سترة فيه، بعد ما عرفت من شؤون الامامة فان شؤون الامامة عين شؤون نبوة نبينا عدا الوحى فكما ان النبوة لطف و رحمة كذلك الامامة.

قال الحكيم المتأله المولى محمدمهدى النراقى: ان رتبة الامامة قريب برتبة النبوة الا أن النبى مؤسس للتكاليف الشرعية بمعنى أنه جاء بالشريعة والاحكام

٤١. جامع احاديث الشيعة: ج ١ ص ١١ الطبع الثانى.

والاوامر والنواهى من جانبه تعالى ابتداء والامام يحفظها و يبقيها بعنوان النيابة عن النبى (ص)[۴۲].

ثم ان فى‌الامامة كالنبوة مراتب من اللطف والرحمة الذى يقضيه رحيميته تعالى، و كماله المطلق، فأصل وجود الامام لطف فانه انسان كامل كما أن تصرفه فى الناس بهدايتهم وارشادهم الى مافيه الصلاح والسعادة، و تدبير شؤونهم و مصالحهم و اقامة العدل ورفع‌الظلم والعدوان من بينهم و تزكيتهم و حفظ الشريعة عن التحريف والزيادة والنقصان و ازالة الشبهات و تفسير الكتاب و تبيين المشتبهات و غير ذلك ألطاف اخر، التى يقضيها كماله المطلق و رحيميته المطلقة، و من تلك المراتب الهداية الايصالية.

قال العلامة الطباطبائى قدس‌سره: ان الامام هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه فالامامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس فى اعمالهم و هدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بامر الله دون مجرد ارائة الطريق الذى هو شأن النبى والرسول[۴۳] ولذا قال فى ذيل قوله تعالى: «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا ـ الانبياء: ۷۳» ان الهداية المجعولة من شؤون الامامة ليست هى بمعنى ارائة الطريق لان الله سبحانه جعل ابراهيم اماماً بعد ما جعله نبياً كما اوضحناه فى تفسير قوله «انى جاعلك للناس اماما» فيما تقدم ولا تنفك النبوة عن الهداية بمعنى ارائة الطريق فلا يبقى للامامة الا الهداية بمعنى الايصال الى المطلوب و هى نوع تصرف تكوينى فى النفوس بتسييرها فى سير الكمال و نقلها من موقف معنوى الى موقف آخر. و اذا كانت تصرفا تكوينياً وعملا

۴۲. انيس الموحدين: ص ۱۲۷.
۴۳. تفسير الميزان: ج ۱ ص ۲۷۵، شيعه در اسلام: ص ۲۵۳ـ۲۶۵.

باطنياً فالمراد بالامر الذى تكون به الهداية ليس هو الامر التشريعى الاعتبارى بل ما يفسره فى قوله: «انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون* فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء ـ يس: ۸۲ـ۸۳» فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التى يهتدى اليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة و يتلبسون بها رحمة من ربهم و اذ كان الامام يهدى بالامر (والباء للسببية أو الالة) فهو متلبس به اولا و منه ينتشر فى الناس على اختلاف مقاماتهم فالامام هو الرابط بين الناس و بين ربهم فى اعطاء الفيوضات الباطنية و أخذها كما أن النبى رابط بين الناس و بين ربهم، فى اخذ الفيوضات الظاهرية، و هى الشرايع الالهية تنزل بالوحى على النبى و تنتشر منه، و بتوسطه الى الناس و فيهم، والامام دليل هاد للنفوس الى مقاماتها كما ان النبى دليل يهدى الناس الى الاعتقادات الحقة والاعمال الصالحة[۴۴]. ثم ان ما ذكره العلامة الطباطبائى قدس سره يكون فى مقام الفرق بين الامام والنبى فلا ينافى ما اشرنا اليه من اجتماع وظائف النبى صلى الله عليه و آله عدا تلقى الوحى فى الامام مع وظائفه كما عرفت من ان ائمتنا عليهم السلام يقومون مقام النبى صلى الله عليه و آله فى وظائفه و عليه فلا تنحصر وظائفهم فى الهداية المعنوية كما لا يخفى.

و كيف كان فالامامة كالنبوة لطف مضاعف فانها لطف فى لطف من دون فرق بين كونه ممكنا او مقربا او اصلح و مما ذكر يظهر ما فى اقتصارهم على الزعامة السياسية فى مقام بيان اثبات كون الامامة لطفا كما فى

۴۴. تفسير الميزان: ج ۱۴ ص ۳۳۳.

شرح تجريد الاعتقاد و شرح الباب الحادى عشر[45] مع انها شأن من شئون الامامة و شطر منها كما يظهر ايضا مما ذكر، ما فى اكتفاء بعض اخر على ذكر فائدة حفظ الشريعة الواصلة عن النبى صلى‌الله عليه و آله عن التحريف والتغير فى مقام بيان فوائد وجود الامام مع انه نوع من انواع لطف وجود الامام فلا تغفل.

المقام السابع: فى لزوم الامامة وقد عرفت ان الامامة بالمعنى الذى لها عند الشيعة هى كالنبوة فكما ان النبوة لطف و رحمة كذلك الامامة فاذا ظهر كونها لطفا، والمفروض انه لا يقترن بمانع يمنع عنه فهو مقتضى علمه تعالى بالنظام الاحسن و اطلاق كماله و حكمته تعالى، و عليه فيصدر عنه تعالى و الا لزم أن يكون جاهلا بالنظام الخير، او لزم عدم كونه تعالى كمالا مطلقاً و حكيماً، و هو خلف فى كونه عليماً و رحيماً و حكيماً بالادلة والبراهين القطعية، و اليه يؤل ما يقال فى تقريب لزوم الامامة أنها واجب فى حكمته تعالى لان المراد من الوجوب هو اللزوم والمقتضى كما مر مراراً، لاالوجوب عليه فالاولى هو التعبير بالاقتضاء واللزوم كما عبر عنه الشيخ أبوعلى سينا فى الشفاء حيث قال فى مقام اثبات النبوة بعد ذكر المنافع التى لا دخل لها فى بقاء النوع الانسانى، كاثبات الشعر فى الحاجب والاشفار، فلا يجوز أن يكون العناية الاولى تقتضى تلك المنافع ولا تقتضى هذه التى هى اسها[46].

و هذا كله بناء على التقريب الفلسفى الذى ذهب اليه المصنف فى اثبات النبوة والامامة و حاصله ان

۴۵. راجع شرح تجريد الاعتقاد: ص ۳۶۲ الطبع الحديث، شرح الباب الحادى عشر: ص ۴۰ الطبع الحديث.

۴۶. الهيات الشفاء: ص ۵۵۷.

النبوة والامامة كليهما مما يقتضيهما كماله المطلق و رحيميته المطلقة والا لزم الخلف فى كونه كمالا مطلقاً كما لا يخفى و اما بناء على التقريب الكلامى فتقريبه كالتقريب الذى مضى فى النبوة و هو ان يقال ان ترك اللطف نقض الغرض لان غرض الحكيم لا يتعلق الا بالراجح و هو وجود الانسان الكامل و اعداد الناس و تقريبهم نحو الكمال، و هو لا يحصل بدون الامام فيجب عليه اللطف لان ترك الراجح عن الحكيم المتعال قبيح بل محال، اذ مرجع الترجيح من غير مرجح الى الترجح من غير مرجح كما لا يخفى و كيف كان فلا بد فى كل عصر من وجود امام هو يكون انساناً كاملا هادياً للناس والخواص مقيماً للعدل والقسط رافعا للظلم والعدوان حافظاً للكتاب والسنة رافعا للاختلاف والشبهة اسوة يتخلق بالاخلاق الحسنة حجة على الجن والانس و الا كما عرفت لزم الخلف فى كمال ذاته و هو محال، او الاخلال بغرضه و هو قبيح عن الحكيم بل هو ايضاً محال كما عرفت، فاذا كان كل نوع من انواع لطف وجود الامام من اغراضه تعالى فلا وجه لتخصيص نقض الغرض بنوع منها كما يظهر من بعض الكتب الكلامية مع ان كل نوع منها راجح من دون اقتران مانع فبترك كل واحد يوجب نقض الغرض و لعل الاكتفاء ببعض الانواع من باب المثال فافهم فالاولى هو عدم التخصيص ببعض تلك الانواع و لعل اليه يؤل ما فى متن تجريد الاعتقاد حيث قال الامام لطف فيجب نصبه على الله تعالى تحصيلا للغرض[٤٧].

ثم ان مقتضى كون وجود الامام كالنبى لطفاً مضاعفاً ان كل واحد من ابعاد وجوده و فوائده يكون كافياً فى

٤٧. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٢ الطبع الحديث.

لزوم وجوده فان طرء مانع عن تحقق بعضها كالتصرف الظاهرى بين الناس يكفى الباقى فى لزوم وجـوده و بقائه.

و ينقدح مما ذكر أن ظهور الامـام للناس لطف زائد علىوجوده الذى يقتضيه علمه تعالى بالنظام الخير و اطلاق كماله، فارشاده و تعليمه و تزكيته للناس لطف اخر و هكذا بقية الشئون التى تكون للامام.

هذا مضافا الى ان ارشاده و تعليمه و تزكيته للجن ايضا لطف فى حقهم فانهم مكلفون و محجوجون بالحجج الالهية كما لا يخفى.

ثم بعد وضوح أن الامامة كالنبوة اتضح لك انها أمر فوق قدرة البشر، فلا ينالها يده ولا يمكن له تعيينها و اختيارها بل هى فعل من أفعاله تعالى فيجعلها حيث يشاء و هو اعلم بمن يشاء ومنه يظهر أنه لامجال للبحث عن وجوب نصب الامام على الناس و كيفيته فان ذلك من فروع الامارة الظاهرية مععدم تعيين الخليفةالالهية عن الله تعالى.

و أما مع تعيينها فلا مجال للبحث عنه اذ المعلوم أن الامارة له، كما انه لا بحث مع وجود النبى المرسل عن وجوب نصب الامير على الناس لان الامـارة مـن شئون النبى المرسل كما لا يخفى.

فاتضح ان الامام لزم ان يكون متعينا بنصب الهى و لذلك نص النبى صلىالله عليه و آله من جانب الله تعالى فى مواضع متعددة على امامة على عليهالسلام و اولاده الاحد عشر عليهمالسلام كما نص كل امام على من يليه من جانب النبى صلىالله عليه و آلـه و هـذه النصوص متواترة جدأ يشهد بوجودهاالجوامع الروائية من العامة والشيعة كاثبات الهداة للشيخ الحر العاملى

والبحار و اصول الكافى و منتخب الاثر و غاية المرام و عبقات الانوار و كتاب الغدير وغيرها.

و هيهنا سؤال: وهو انه لاريب فى كون وجود الامام لطفاً فيما اذا كان ظاهراً و متصرفاً فى الامور، وأما اذا لم يكن ظاهراً ولم يتمكن الناس من درك محضره، كالامام الثانى عشر عليه السلام فى زمان الغيبة فمجرد وجوده، كيف يكون لطفاً فى حق العباد؟

والجواب عنه ظاهر مما مر، من أن وجود الانسان الكامل فى نظام العالم مما يقتضيه علمه تعالى بالنظام الاحسن و رحمته المطلقة و اطلاق كماله ولا مانع منه فيلزم وجوده والا لزم الخلف فى كونه كمالا مطلقاً، فوجود الامام الذى هو انسان كامل لطف و تصرفه و ظهوره لطف اخر فلا يضر فقد لطف من جهة المانع بوجود اللطف من جهة اوجهات اخر لان المفروض عدم وجود مانع من جهة اخرى.

هذا مضافا الى أن ارشاد الامام و تصرفه لايختص بالانسان، بل يعم الجن ايضاً لانهم مكلفون ومحجوجون بوجوده على أن بعض الخواص كانوا يسترشدون بارشاده و عناياته فى الغيبة الصغرى بل الكبرى ايضا كما يشهد له التشرفات المكررة لبعض المكرمين من العباد. هذا مع الغمض عما يتصرف فى النفوس من وراء الحجاب والستار.

قال الحكيم المتأله المولى محمد مهدى النراقى فى الجواب عن ذلك ان ظهور الامام الثانى عشر ارواحنا فداه و تصرفه فائدة من فوائد وجوده لان فوائد وجوده كثيرة و ان كان غايباً.

الاول: انه قد ورد فى الحديث القدسى عنه تعالى انه قال «كنت كنزا مخفيا فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق

لكى اعرف»[٤٨] فيعلم منه أن الباعث على ايجاد الانسان هو المعرفة بالله تعالى، فليكن فى كل وقت فرد بين آحاد الانسان يعرفه كما هو حقه، ولا يحصل المعرفة كما هو حقه فى غير النبى والامام فلابد من وجود الحجة فىالارض حتى تحصل المعرفة به كما هو حقه بين الناس.

والثانى: ان مجرد وجوده لطف و فيض فى حق الناس ولولم يكن ظاهراً لان وجوده باعث نزول البركات والخيرات، و مقتض لدفع البليات والآفات، و سبب لقلة سلطة الشياطين من الجن والانس على البلاد فان آثار الشيطان كما وصلت الى البشر دائماً كذلك لزم ان يصل آثار رئيس الموحدين و هو الحجة الالهيةاليهم فوجود الحجة فى مقابل الشيطان للمقاومة مع جنوده، فلولم يكن للامام وجود فىالارض صار سلطة الشيطان أزيد من سلطة الاولياء، فلا يمكن للانسان المقاومة فى مقابل جنود الشيطان.

والثالث: ان غيبة الامام الثانى عشر ارواحنا فداه تكون عن اكثر الناس، لا عن جميعهم، لوجود جمع يتشرفون بخدمته، ويأخذون جواب الغوامض من المسائل و يهتدون بهدايته، و ان لم يعرفوه. انتهى ملخص كلامه[٤٩]

سؤال: و هو أن الامام يجب وجوده لولم يقم لطف آخر مقامه كعصمة جميع الناس.

والجواب عنه واضح، لان المفروض عدم اقامه هذا اللطف والا فلا موجب لبعث الرسل والانبياء ايضا كما لا يخفى فوجود الامام كوجود النبى واجب فيما اذا لم

٤٨. مصابيح الانوار: ج ٢ ص ٤٠٥.
٤٩. انيس الموحدين: ص ١٣٢ـ١٣٤.

يكن الناس معصومين كما هو المفروض.

سؤال: و هو أن الامام يجب وجوده فيما اذا علم بخلوه عن المفسدة و حيث لا علم به فلا يكون وجود الامام واجباً، ولا فائدة فى دعوى عدم العلم بالمفسدة، لان احتمالها قادح فى وجوب نصب الامام كما لا يخفى.

و أجاب عنه المحقق اللاهيجي قدس سره: بأن الامور المتعلقة بالامام على قسمين: الدنيوية والاخروية ومن المعلوم أن مفسدة وجود الامام بالنسبة الى الامور الدينية معلومة الانتفاء فان المفاسد الشرعية فى الامور الدينية معلومة شرعا ولا يترتب شيء منها على وجود الامام، و هذا ضرورى عند العارف بالمفاسد الشرعية، و حيث كان كل واحد منا مكلفون بترك المفاسد الشرعية فلا يجوز أن لا تكون تلك المفاسد معلومة لنا (والا لزم التكليف بالمجهول و هو كما ترى).

و أيضاً من الواضح أن نصب الامام بالنسبة الى الامور الدنيوية لا مفسدة فيه اذ الامور الدنيوية راجعة الى مصالح العباد و مفاسدهم فى حياتهم الدنيوية و حفظ النوع والاخلال به وهى معلومة لكافة العقلاء ولا يترتب من وجود الامام شيء من المفاسد فيها بل العقل جازم بان لا يمكن سد مفاسد امور المعاش الا بوجود سلطان قاهر عادل.

فاذا عرفت ذلك فنقول بطريق الشكل الاول نصب الامام عن الله تعالى لطف خال عن المفاسد و كل لطف خال عن المفاسد واجب على الله تعالى فنصب الامام واجب عليه تعالى و هو المطلوب[٥٠] و الى ما ذكر من الشبهة والاجوبة عنها يشير قول المحقق الطوسى ـ فى متن تجريد الاعتقاد ـ والمفاسد معلومة الانتفاء وانحصار

٥٠. سرمايه ايمان: ص ١٥٨، و شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٢ الطبع الحديث.

اللطف فيه معلوم للعقلاء و وجوده لطف و تصرفه لطف آخر و عدمه منا[٥١] وبالجملة لا شبهة فى‌الصغرى فى المقام كما لا شبهة فى كبرى لزوم اللطف فيما اذا كان خاليا عن الموانع والمفاسد و اما ما يتراءى من بعض الشبهات حول قاعدة اللطف فى بعض المقامات كاستكشاف رأى‌المعصوم عقلا بقاعدةاللطف من‌الاجماع كما ذهب اليه الشيخ الطوسى قدس‌سره فهو من ناحية الصغرى لا من ناحية الكبرى وقد اشار اليه المصنف قدس‌سره فى اصول الفقه فراجع[٥٢].

هذا كله بحسب الادلة العقلية و أما الادلةالسمعية التى تدل على لزوم وجود الامام للناس فكثيرة جداً ولا بأس بالاشارة الى جملة منها.

فمن الآيات: قوله تعالى: «واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى‌الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال انى اعلم مالا تعلمون ـ البقرة: ٣٠» بتقريب ان الخليفة حيث لم تكن مقيدة بالاضافة الى مخلوق معين مما يؤكد ان الانسان خليفة الجاعل لا غيره كما هو الظاهر من نظيره كقول رئيس الدولة انى جاعل فى هيئة الدولة خليفة فان العرف يفهمون منه ان‌المقصود هو خليفة نفسه لاغيره.

هذا مضافاً الى أن المقام الذى كان مطلوباً للملائكة هو مقام الخلافة الالهية لا مقام خلافتهم عن الماضين من‌المخلوقات الارضية فالمراد هوجعل الانسان خليفة له تعالى.

و حيث لم يذكر جهة الخلافة كانت الخلافةظاهرة

٥١. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٢ الطبع الحديث.
٥٢. اصول الفقه: ج ٢ ص ١٥٨.

فى كون الانسان خليفة له فى مختلف الشؤون و كافة الامور كما أن عدم ذكر مااستخلف عليه الخليفة يدل على عموم ذلك فيكون الانسان خليفة له فى جميع الشؤون و كافة الامور على جميع ماستخلف عليه الخليفة فلا يختص خلافته ببعض دون بعض بل هو خليفة عليهم جميعاً، ولذلك لزم أن يكون الخليفةالالهية عالماً بجميع صفات المستخلف و شؤون ما يستخلفه عليه كما يجب ان تكون له القدرة الضرورية للتصرف فىالامور[٥٣] وهوالانسان الكامل الذى يكون خليفة الله تعالى فى خلقه.

ثم ان هذا الانسان الذى يكون كذلك لا يكون جميع آحاده، ضرورة أن هذه الخصايص ليست لجميعهم فالمراد منه بعض الاحاد منه و هو الاوحدى من هذا النوع ولكن مقتضى تعبيره بانى جاعل فىالارض خليفة ولم يقل سوف اجعل او جعلت هو استمرار هذا الجعل فى أمد الزمان من اول خلقة آدم الى يوم القيامة فاول فرد من أفراد الانسان يكون كذلك، و الا لم يكن هو جاعلا فىالارض خليفة و يدوم ذلك كذلك الى اخر الزمن كما يشهد له موثقة اسحاق بن عمار المروية فى الكافى حيث قال قلت لابى الحسن الاول ألا تدلنى على من آخذ عنه دينى فقال هذا على ان ابى اخذ بيدى فادخلنى الى قبر رسول الله صلىالله عليه وآله فقال يا بنى ان الله عزوجل قال: انى جاعل فىالارض خليفة و ان الله عزوجل اذا قال قولا وفى به[٥٤]. فوجود الانسان الكامل الذى يكون خليفة الله تعالى لا يختص بزمان دون زمان.

۵۳. راجع الامامة و الولاية: ص ۱۳ـ۱۹، امامت و رهبرى: ص ۱۸۸، تفسير الميزان: ج ۱ ص ۱۱۵ـ۱۲۲.

۵۴. تفسير نور الثقلين: ج ۱ ص ۴۹ نقلا عن الكافى.

و قوله تعالى: «و اذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ـ البقرة: ١٢٤» بتقريب ان الامامة فى ابراهيم غير النبوة كما يشهد تأخرجعلها عنها فانجعله اماما بعد الابتلاء بالكلمات ومنابتلائاته ذبح اسماعيل مع أنه لم يولد له ولد الا فىحالشيخوخيته وفى هذا الحال قد مضت من نبوته سنوات متعددةفجعل الامامة بعد جعل النبوة ثم سألها ابراهيم عليهالسلام لذريته فاجيب بأن هذا المقام لا يناله الظالمون منهم، فالامامة منزلة بلوغ الانسان الى غاية مقامات الانسانية بحيث يليق بان يكون مقتدى لمن سواه من المخلوقين، و يمكن له ان يهديهم بهدايته الايصالية نحو سعادتهم فىالدارين. مضافاً الى هدايتهم بالهداية الارشاديةكما قال العلامة الطباطبائى قدسسره من أن الامام وظيفته هداية الناس فى ملكوت اعمالهم بمعنى سوقهم الىالله سبحانه بارشادهم و ايرادهم درجات القرب من الله سبحانه، و انزال كل ذى عمل منزله الذى يستدعيه عمله[٥٥].

ثم ان سؤال ابراهيم هذا المقام لذريته شاهد على عظمة هذا المقام و جواب الله تعالى عن محروميةبعض ذريته عنه بكونها عهدالله و هو لا ينال الظالمين ايضا شاهد على عظمة تلك المنزلة، كما أن هذا الجواب ظاهر فى بقاء هذا المقام فى ذريته حيث اخرج منذريته جميع الظالمين فقط و بقى الباقى تحت الاجابة كما لا يخفى، فالاية تدل على بقاء الامامة فى نسله اجمالا كما يؤيده ما جاء فىالرواية من أن المراد من قوله تعالى: «وجعلها كلمة باقية فى عقبه ـ الزخرف: ٢٨» هوبقاء

٥٥. تفسير الميزان: ج ١٨ ص ١١١.

الامامة (فی نسل ابراهيم) الی يوم الدين علی ما حكی عن المجمع و يؤيده الروايات المتعددة التی وردت فی بقاء الامامة فی نسل الحسين عليه‌السلام الی يوم‌القيامة مستشهدا بالآية المذكورة.

منها ما عن ابی‌بصير «قال سألت اباعبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزوجل: «وجعلها كلمة باقية فی عقبه ـ الزخرف: ۲۸» قال هی الامامة جعلهاالله عز وجل فی عقب الحسين عليه‌السلام باقية الی يوم القيامة»[56] ذهب بعض المفسرين الی ان الضمير فی قوله «وجعلها كلمة باقية» راجع الی معنی كلمةالتوحيد المستفاد من قوله تعالی: «واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننی براء مما تعبدون الا الذی فطرنی فانه سيهدين» ولكن قال فی تفسير الميزان ان التامل فی الروايات يعطی ان بناءها علی ارجاع الضمير فی قوله «جعلها» الی الهداية المفهومة من قوله: «سيهدين» وقد تقدم فی‌تفسير قوله تعالی: «انی جاعلك للناس اماما» ان الامام وظيفته هداية الناس فی ملكوت اعمالهم بمعنی سوقهم الی الله سبحانه بارشادهم و ايرادهم درجات القرب من الله سبحانه و انزال كل ذی عمل منزله الذی يستدعيه عمله، و حقيقة الهداية من‌الله سبحانه و تنسب اليه بالتبع اوبالعرض و فعلية الهداية النازلة من الله الی الناس تشمله اولا ثم تفيض منه الی غيره فله اتم الهداية ولغيره ماهی دونها، وما ذكره ابراهيم عليه‌السلام فی‌قوله «فانه سيهدين» هداية مطلقة تقبل الانطباق علی اتم مراتب الهداية التی هی حظ الامام منها فهی الامامة وجعلها كلمة باقية فی عقبه جعل

۵۶. تفسير نور الثقلين: ج ۴ ص ۵۹۷ نقلا عن معانی الاخبار.

الامامة كذلك[٥٧] الى غير ذلك من الايات الكريمات.

و اما الروايات فمتواترة و هی علی طوائف فمنها ما يدل على ان الائمة اثناعشر الى يوم القيمة كما عن صحيح مسلم عن النبی صلی‌الله عليه و آله عن جابر قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله عليه و آله يقول: لا يزال الدين قائما حتی تقوم الساعة او يكون عليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش، وعن صحيح مسلم ايضاً عن جابر ايضا ان هذا الامر لا ينقضی حتی يمضی فيهم اثناعشر خليفة، وعن صحيح مسلم ايضاً عن عبدالله قال: قال رسول‌الله صلی‌الله عليه وآله: لايزال هذا الامر فی قريش ما بقی من الناس اثنان، وعن مسند احمد بن حنبل عن مسروق قال كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود و هو يقرءنا القرآن فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلی‌الله عليه و آله كم يملك هذه الامة من خليفة فقال عبدالله ما سألنی عنها احد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ولقد سألنا رسول‌الله صلی‌الله عليه و آله فقال اثناعشر كعدة نقباء بنی اسرائيل، و رواه ابن حجر فی الصواعق و حسنه. و رواه البحرانی بطرق عديدة من العامة والخاصة (راجع باب العاشر والحادی عشر من غاية المرام).

قال العلامة الحلی قدس سره: والاخبار فی ذلك أكثر من ان تحصی[٥٨] و كيف كان فالمراد من هذه الروايات حصر الامامة الشرعية فی اثنی عشر من قريش مادام الناس لا السلطة الظاهرية، ضرورة حصولها لغير قريش فی اكثر الاوقات فيكون قرينة على ان المراد منها حصر الخلفاء الشرعيين فی اثنی عشر الى يوم القيامة، كما ان

٥٧. تفسير الميزان: ج ١٨ ص ١١١.
٥٨. راجع دلائل الصدق: ج ٢ ص ٣١٤ـ٣١٦.

الخبر الاخير دال على انهم خلفاء بالنص لقوله صلى الله عليه و آله كعدة نقباء بنى اسرائيل فان نقباءهم خلفاء بالنص لقوله تعالى: «ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ـ المائدة: ۱۲»[۵۹] وبالجملة هذه النصوص تدل على عدم خلو الامة الاسلامية عن الامام الى يوم القيامة، و صرح بأنهم اثناعشر.

و منها ما تدل على أنه لا تخلو الارض عن الحجة كما رواه فى الكافى عن الحسين بن ابى العلاء قال قلت لابى عبدالله عليه السلام تكون الارض ليس فيها امام؟ قال: لا، قلت: يكون امامان؟ قال: لا الا و أحدهما صامت، و عن اسحاق بن عمار عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الارض لا تخلو الا وفيها امام كيما ان زاد المؤمنون شيئاً ردهم وان نقصوا شيئاً اتمه لهم.

و عن ابى اسحاق عمن يثق به من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ان امير المؤمنين عليه السلام قال: اللهم انك لا تخلى ارضك من حجة لك على خلقك.

و عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال: والله ما ترك الله ارضاً منذ قبض آدم (ع) الا وفيها امام يهتدى به الى الله و هو حجته على عباده ولا تبقى الارض بغير امام حجة لله على عباده.

و عن ابى حمزة ايضا قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام اتبقى الارض بغير امام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت، و عن حمزة بن الطيار قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول لولم يبق فى الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة، الى غير ذلك من الروايات الكثيرة[۶۰].

۵۹. راجع امامت و رهبرى: ص ۱۶۳ـ۱۶۹.
۶۰. راجع الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۱۷۸.

فهذه الروايات واضحة الدلالة على أن الارض لا تخلو عن حجةالله على خلقه من لدن خلقه آدم الى يوم القيامة.

ومنها الروايات الدالةعلىأنائمتنا لولاهم لما خلق الخلق كما رواه فىغاية المرام عن طرق الخاصة عن جعفربن محمد عليهماالسلام فى ضمن حديث ان محمداً وعلياً صلواتالله عليهما كانا نورا بينيدىالله عزوجل قبل خلق الخلق بالفى عام و ان الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له اصلا قد تشعب منه شعاع لامع فقالتالهنا و سيدنا ما هذا النور فاوحى الله عزوجل اليهم هذا نور من نورى اصله نبوة و فرعه امامة اما النبوة فلمحمد عبدى و رسولى و اما الامامة فلعلى حجتى و وليى و لولاهما ما خلقت خلقى.

و منها الراويات الدالة على ان ائمتنا عليمالسلام لولاهم لما عرف الله ولما عبد كما رواه فىغايةالمرام عن طرق الخاصة عن موسىبن جعفر عليهماالسلام فى ضمن حديث قال: ان الله تبارك و تعالى خلق نور محمد من نور اخترعه من نور عظمته و جلاله ـالى ان قالـ قسم ذلك النور شطرين فخلق من الشطر الاول محمداً، و من الشطر الآخر علىبن ابىطالب ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، ـالى ان قالـ ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته كما اقتبس نور[٦١] من نوره واقتبس مننور فاطمة و على الحسن والحسين كاقتباس المصابيح هم خلقوا من الانوار وانتقلوا من ظهر الى ظهر و منصلب الى صلب، ومن رحم الى رحم، فىالطبقة العليا، من غير نجاسة بل نقلا بعد نقل ـالى ان قالـ بل انوار انتقلوا

٦١. و لعل الصحيح نوره فالمراد هو اقتباس نور محمد صلىاللهعليه و آله من نور عظمة الله سبحانه و تعالى.

من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات، لانهم صفوة الصفوة اصطفاهم لنفسه و جعلهم خزان علمه، وبلغاء عنه الى خلقه اقامهم مقام نفسه لانه لا يرى ولا يدرك، ولا تعرف كيفية انيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه المتصرفون فى أمره و نهيه، فيهم يظهر قوته و منهم ترى آياته و معجزاته، و بهم و منهم عرف عباده نفسه، و بهم يطاع امره ولولاهم ما عرف الله ولا يدرى كيف يعبد الرحمن فالله يجرى أمره كيف يشاء فيما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

و منها الروايات الدالة على ثبوت الامرين المذكورين للائمة عليهم‌السلام كما رواه فى غاية المرام عن على‌بن موسى‌الرضا عليه‌السلام عن آبائه عن رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله انه قال: ما خلق‌الله خلقاً افضل منى ولا اكرم عليه منى قال على عليه‌السلام فقلت يا رسول‌الله فانت افضل ام جبرئيل فقال يا على ان الله تبارك و تعالى فضل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلنى على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدى لك ياعلى و للآئمة من بعدك فان‌الملائكة من خدامنا و خدام محبينا يا على (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا) بولايتنا يا على لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربنا، و تسبيحه و تهليله و تقديسه لان اول ما خلق الله عزوجل ارواحنا فانطقنا بتوحيده و تحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا ارواحنا نوراً واحداً استعظموا امرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أناخلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبحت‌الملائكة تسبيحنا ونزهته عن صفاتنافلما

شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة ان لااله الاالله وانا عبيد ولسنا بالهة يجب ان نعبد معه أودونه، فقالوا لااله الاالله فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله اكبر من ان ينال و انه عظيم المحل فلما شاهدوا ما جعل الله لنا من العزة والقوة قلنا لا حول ولا قوة الا بالله «العلي العظيم» لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة الا بالله فلما شاهدوا ما انعم الله به علينا و اوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتدوا الى معرفة توحيد الله تعالى و تسبيحه و تهليله و تحميده و تمجيده ــ الى ان قال ــ لما عرج بى الى السماء ــ الى ان قال ــ فنوديت يامحمد (ان) اوصيائك المكتوبون على ساق العرش فنظرت ــ و أنا بين يدى ربى جل جلاله ــ الى ساق العرش فرأيت اثنى عشر نورا فى كل نور سطر اخضر عليه اسم وصى من اوصيائى أولهم على بن ابيطالب و آخرهم مهدى امتى. فقلت يا رب اهؤلاء اوصيائى من بعدى فنوديت يا محمد هؤلاء اوليائى و احبائى و اصفيائى و حجتى بعدك على بريتى وهم اوصياؤك و خلفاؤك و خير خلقى بعدى، و عزتى و جلالى لاظهرن بهم دينى ولاعلين بهم كلمتى ولاطهرن الارض باخرهم من أعدائى ولاملكنه مشارق الارض و مغاربها ولا سخرن له الرياح ولاذللن له السحاب الصعاب ولارقينه فى الاسباب ولانصرنه بجندى ولامدنه بملائكتى حتى تعلو دعوتى، و يجمع الخلق على توحيدى ثم لاديمن ملكه ولاداولن الايام بين اوليائى الى يوم القيامة[٦٢].

وغير ذلك من طوائف الاخبار فراجع جوامع الاخبار.

٦٢. غاية المرام: ج ١ ص ٢٦ الطبع الثانى.

٢ـ عقيدتنا فى عصمة الامام

و نعتقد أن الامام كـالنبى يجب أن يكون معصوماً مـن جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولية الى الموت عمداً و سهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان لان الائمة حفظة الشرع، والقوامون عليه، حالهم فى ذلك حال النبى (ص) والدليل الذى اقتضانا أن نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الائمة بلا فرق.

ليس علـى الله بمستنكـر أن يجمع العالم فى واحد(١)

(١) ولا يخفى عليك أن طـريقة المصنف لاثبات عصمة الامام احسن طريقة بعد ما عـرفت مـن حقيقة الامامة و شؤونها فان الامام كالنبى الا فى تلقى الوحى بعد اختصاصه بالنبى، و مقتضى كونه كالنبى هو لزوم عصمته اذ بدونها لا يتمكن الامام من القيام مقام النبى، والعمل بوظائفه من هداية الناس الى المصالح الواقعية و تزكية الناس و تربيتهم على الكمال اللائق بهم، و حفظ الشرع عن التحريف والزيادة والنقصان واقعاً و غير ذلك فالدليل الذى يدل على لزوم وجود الامام هو الذى يدل على لزوم عصمته اذ بـدونها لا يتمكن مـن العمل بوظائفه و يكون وجوده كالعدم.

ولقد أفاد و أجـاد المحقق اللاهيجى حيث قـال:

والحق وجوب العصمة لانه كما أن وجود الامـــام لطف كذلك تكون العصمة لطفاً بل لطفية وجـوده لا يتحقق بدون العصمة[1].

و هكذا المحقق القمى قدس‌سره حيث قال: والامام عند الامامية يجب ان يكون معصوماً بالادلة التى مرت فى عصمة النبى[۲] و عليه فلا حاجة فـى اثبات العصمة فى‌الامام الى اطالة الكلام بمثل مـا اشار اليه المحقـق الطوسى قدس سره، حيث قال فى تجريد الاعتقـاد: و امتناع التسلسل يوجب عصمته ولانه حافظ للشرع و لوجوب الانكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة و يفوت الغرض من نصبه ولا نحطاط درجته عن اقل العوام[۳].

هذا كله مع الغمض عن الادلة الخاصة الدالة على عصمة الائمة عليهم‌السلام كحديث الثقلين المتواتر عن النبى صلى‌الله عليه و آله انه قال «انـى تـارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى مـا ان تمسكتم بهما لـن تضلوا ابداً» الدال على مصونية الكتاب والعترة عـن الخطاء[۴].

و كيف كان فالكلام فى متعلق العصمة ايضا واضح بعد ما عرفت من وحدة الدليل فى باب النبوة والامامة فكلما كـان النبى معصوما عنه كـذلك يكون الامـام معصوما عنه فالامام معصوم عن الذنوب صغيرة كانت او كبيرة حال الامامة و قبلها و عن السهو والنسيان

۱. سرمايه ايمان: ص ۱۱۴.
۲. راجع اصول الدين: ص ۳۷ منشور چهلستون مسجد جامع بطهران.
۳. شرح تجريد الاعتقاد: ص ۳۶۴ الطبع الجديد.
۴. راجع كتاب حديث الثقلين مـن منشورات دار التقريب بمصر الـذى نقل الحديث من مأتى كتاب من كتب العامة.

والخطأ و عن الذمائم الاخلاقية بل المنقصات المنفرة، ولو كانت خلقية (بكسر الخاء و سكون اللام) اونسبية كدنائة الآباء و عهر الامهات، ولكن المصنف قدس سره لم يشر الى المنقصات المنفرة و لعله ارادها ايضاً.

٣ـ عقيدتنا في صفات الامام و علمه

و نعتقد أن الامام كالنبي يجب أن يكون افضل الناس في صفات الكمال من شجاعة و كرم و عفة و صدق و عدل ومن تدبير و عقل و حكمة و خلق.

والدليل في النبي هو نفس الدليل في الامام...

اما علمه فهو يتلقى المعارف والاحكام الالهية و جميع المعلومات، من طريق النبي، أوالامام من قبله.

واذا استجد شيء لابد ان يعلمه من طريق الالهام بالقوةالقدسية التي اودعها الله تعالى فيه فان توجه الى شيء و شاء ان يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك الى البراهين العقلية، ولا الى تلقينات المعلمين و ان كان علمه قابلا للزيادة والاشتداد ولذا قال صلى الله عليه و آله في دعائه «رب زدني علما».

(اقول): لقد ثبت في الابحاث النفسية ان كل انسان له ساعة او ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الاشياء من طريق الحدس، الذي هو فرع من الالهام بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك.

و هذه القوة تختلف شدة و ضعفا و زيادة و نقيصة في البشر، باختلاف أفرادهم. فيطفر ذهن الانسان في تلك الساعة الى المعرفة من دون أن يحتاج الى التفكير و ترتيب المقدمات والبراهين اوتلقين المعلمين.

و يجد كل انسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته، و اذا كان الامر كذلك فيجوز أن يبلغ الانسان من قوته الالهامية أعلى الدرجات و أكملها و هذا أمر قرره الفلاسفة المتقدمون والمتاخرون.

فلذلك نقول ـو هو ممكن في حد ذاتهـ ان قوة الالهام عند الامام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته،

فيكون فى صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقى المعلومات، فى كل وقت وفى كل حالة، فمتى توجه الى شىء من الاشياء و اراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الالهامية، بلا توقف ولا ترتيب مقدمات، ولا تلقين معلم، و تنجلى فى نفسه المعلومات، كما تنجلى المرئيات فى المرآة الصافية لا غطش فيها ولا ابهام.

و يبدو واضحاً هذا الامر فى تاريخ الائمة عليهم السلام كالنبى محمد صلى الله عليه و آله فانهم لم يتربوا ولم يتعلموا على يد معلم من مبدأ طفولتهم الى سن الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم انه دخل الكتاتيب أو تلمذ على يد استاذ فى شىء من الاشياء مع مالهم من منزلة علمية لا تجارى.

وما سئلوا عن شىء الا أجابوا عليه فى وقته، ولم تمر على السنتهم كلمة (لا ادرى)، ولا تأجيل الجواب الى المراجعة أوالتامل أو نحو ذلك. فى حين انك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الاسلام و رواته و علمائه الا ذكرت فى ترجمته تربيته و تلمذته على غيره و أخذه الرواية والعلم على المعروفين و توقفه فى بعض المسائل أو شكه فى كثير من المعلومات كعادة البشر فى كل عصر ومصر(١).

---

(١) يقع البحث فى مقامات:

الاول: أن مقتضى كون الامام قائماً مقام النبى فى جميع شؤونه الا تلقى الوحى، هو تخلقه باخلاقه و اتصافه بصفاته اذ بدون ذلك لا يتم الاستخلاف والنيابة، و معه لا يتم اللطف، و هو نقض للغرض، و مخالف لمقتضى عنايته الاولى و رحيميته و نقض الغرض والمخالف لمقتضى عنايته تعالى لا يقع ولا يصدر منه أصلا كما لا يخفى.

و توضيح ذلك أنه قد مر فى باب النبوة ان من اغراض البعثة هو استكمال النفوس فاللازم هو أن يكون النبى فى الصفات أكمل و أفضل من المبعوثين اليهم حتى يتمكن له أن يهديهم و يستكملهم و ينقاد الناس له للتعلم والاستكمال فان كان النبى مبعوثا الى

قوم خاص فاللازم هـو ان يكون افضل منهم فـی ذلك الزمان و ان كان مبعوثا الی جميع الناس الی يوم القيمة فاللازم هو ان يكون افضل من جميعهم اذ لولا ذلك لما تيسر الهداية والاستكمال بالنسبة الی جميعهم مع انهم مستعدون لذلك و هو لا يساعد عنايته الاولی و اطلاق رحيميته و نقض لغرضه و هو لا يصدر منه تعالی.

فاذا ثبت ذلك فیالنبی لزم ان يكون الامام ايضا افضل الناس فی صفات الكمال من شجاعة و كرم و عفة و صدق و عدل ومن تدبير و عقل و حكمة و علم و حلم و خلق لانه قائم مقامه و نائب عنه فی جميع الامـور والشؤون الا فی تلقی الوحی و هذه النيابة لا تتم الا بالاتصاف المذكور، و لعل اليه اشار المحقق اللاهيجی قدس سره حيث قال: لابد أنيكون الامام فیغاية التفرد فیاستجماع انواع الكمالات والفضائل حتی يطيـع و ينقاد له جميع الطبقات من الشرفاء والعلماء بحيثليس لاحد منهم عار فی الاتباع عنه والانقياد له[1].

هذا مضافاً الی مافی تجريد الاعتقاد و شرحه من أن الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته لانه اما أن يكون مساوياً لهم أو أنقص منهم او افضل والثالث هو المطلوب والاول محال لانه معالتساوی يستحيل ترجيحه علی غيره بالامامة والثانی أيضاً محال لان المفضول يقبح عقلا تقديمه علی الفاضل.

و يدل عليه ايضا قوله تعالی: «أفمن يهدی الـی الحق احق أن يتبع أمن لا يهدی الا أن يهدی فما لكم كيف تحكمون ـ يونس: ٣٥»[2].

ولذلك قال العلامة قدسسره فی نهجالحق: اتفق

١. سرمايه ايمان: ص ١١٥.
٢. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٦ الطبع الجديد.

الامامية على أن الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته و خالف الجمهور فجوزوا تقديم المفضول على الفاضل و خالفوا مقتضى العقل و نص الكتاب[۳].

و يشهد لما ذكر ما سمعته عن على بن موسى الرضا عليهما السلام فى ضمن حديث من «أن الامام واحد دهره لا يدانيه احد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب ... الحديث[۴].

و قال ايضا للامام علامات يكون أعلم الناس و أحكم الناس و أتقى الناس و أحلم الناس و أشجع الناس و اسخى الناس و اعبد الناس و يولد مختونا و يكون مطهرا و يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ـ الحديث[۵].

الثاني: في كيفية تعلم الامام، ولا يخفى أن علمهم علم الهى و ليس بمكتسب عن الناس، كما أن علم النبى كذلك، و توضيح ذلك أن هذا العلم الالهى قد يصل الى الائمة عليهم السلام، من طريق النبى صلى الله عليه و آله كتعليمه ما علم لعلى عليه السلام و هو لحسن و هو لحسين و هو لعلى بن الحسين وهكذا الى المهدى الحجة بن الحسن عليهم الصلوات والسلام.

ثم ان هذا التعليم وقع على انحاء منها: التعليمات العادية كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سمعه على عليه السلام كما سمعه الناس وانما الفرق بينه و بينهم انه عليه السلام اسمعهم وأحفظهم وأفهمهم

۳. دلائل الصدق: ج ۲ ص ۱۵.
۴. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۰۱.
۵. التنبيه للشيخ الحر العاملى: ص ۲۶ نقلا عن الفقيه.

وأضبطهم.

و منها التعليمات الغير العادية مثل ما انتقل الى علي بالاشراق و تنوير الباطن و لعل من ذلك ما فی كتب الفريقين كالكافی و ينابيع المودة من أن اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله علمنى الف باب و كل باب منها يفتح الف باب فذلك الف الف باب حتى علمت ما كان وما يكون الى يوم القيامة، و علمت علم المنايا والبلايا و فصل الخطاب[6].

ولعل ذكر الالف من باب افادة التكثير فلاخصوصية للالف أو مثل ما كتبه على عليه‌السلام باملاء رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله و سمى الجامعة قال الصادق عليه‌السلام: فيها كل حلال و حرام و كل شیء يحتاج الناس اليه حتى الارش فی‌الخدش[7] أو مثل ما انتقل اليه من ميراث الانبياء والوصيين، و سمى بالجفر قال الصادق عليه‌السلام: هو وعاء من ادم، فيه علم‌النبيين والوصيين و علم العلماء الذين مضوا من بنی‌اسرائيل[8] و فيه زبور داود و توراة موسى، و انجيل عيسى، و صحف ابراهيم[9] وفی رواية اخرى «ان لله علماً لا يعلمه أحد غيره و علماً قد علمه ملائكته و رسله، فنحن نعلمه»[10].

وقد يصل العلم الالهی الى الامام من طرق اخر كمصحف فاطمة و هو الذی اخبرها به جبرئيل فاملته فاطمة سلام‌الله عليها لعلى عليه‌السلام و كتبه بيده المباركة[11] قال الصادق عليه‌السلام: مصحف فيه مثل

٦. ينابيع المودة: ج ١ ص ٧٥ و نحوه فی الكافی: ج ١ ص ٢٣٩.

٧ و ٨. الاصول من الكافی: ج ١ ص ٢٣٩.

٩. الاصول من الكافی: ج ١ ص ٢٤٠.

١٠. بصائر الدرجات : ص ١١٠.

١١. بصائر الدرجات: ص ١٥٤.

قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حـرف واحد[۱۲] قال الصادق عليه‌السلام ايضا: «ليس من ملك يملك (الارض) الا و هو مكتوب فيه باسمه و اسم ابيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئا»[۱۳] وكتحديث الملائكة وقد ورد فى روايات متعددة ان الائمة محدثون كما قال ابوالحسن عليه‌السلام: الائمة علماء صادقون مفهمون محدثون[۱۴].

وكالهامات واقعية الهية، قال الحارث بن المغيرة قلت لابى عبدالله عليه‌السلام: اخبرنى عن علم عالمكم قال: وراثة من رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله، ومن على عليه‌السلام قال: قلت: انا نتحدث أنه يقذف فى‌قلوبكم و ينكت فى آذانكم قال: او ذاك[۱۵] وكجعلهم مشرفين‌على الامور كما ورد فى‌الروايات المتعددة ان الامام اذا شاء ان يعلم علم[۱۶] او ان الامام يرى من خلفه كما يرى مـن بين يديه و غير ذلك و كيف كان فلا يخفى عليك انه لا وجه لعدم ذكر النوع الاخير فى‌كلام المصنف.

الثالث: فى مقدار علم الائمة عليهم‌السلام، و انى لنا بهذا مع ان الائمة فاقوا فيه الاولين والاخرين بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله و بلغوا فيه الى حد لا يحتاج احد الى شىء من امور دينه و دنياه و سعادته و اخرته الا كان علمه عندهم و لهم الجواب، وهم الدعاة الى سبيل الخير والسعادة الواقعية، وقد ارشدوا الناس طيلة حياتهم الى الحياة الطيبة، ولم يعطلوا فى قبال

۱۲. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۳۹.
۱۳. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۴۲.
۱۴. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۷۰ـ۲۷۱.
۱۵. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۶۴.
۱۶. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۲۵۸.

سؤال ولو لم يكن من الامور الدينية، كما يشهد لذلك الاسئلة المختلفة التى جائت اليهم من الموافقين و المخالفين والملحدين فاجابوها بأمتن الجواب واحسنه.

ولهم الاشراف على الامور حتى النيات والاعمال، و على ما وقع، و على ما يقع، و على منطق الطيور، و على مايحتاج اليه الجن وغيرهم ولابد ان اقول كيف اقول وصفكم و ثنائكم ائمتى الابرار، مع ما فى لسانى الكال من اللكنة وما فى ذهنى الفاتر من القصور، بل الاحسن ان اكتفى بما قلتم انتم فيوصفكم (كلامكم نور و امركم رشد، و وصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الاحسان و سجيتكم الكرم وشانكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم و حتم ورأيكم علم و حلم و حزم، ان ذكر الخير كنتم اوله و اصله، و فرعه و معدنه و مأويه و منتهاه بأبى انتم و امى و نفسى كيف اصف حسن ثنائكم و احصى جميل بلائكم، و بكم اخرجنا الله من الذل و فرج عنا غمرات الكروب وانقذنا من شفاجرف الهلكات ومن النار، بأبى انتم و امى و نفسى بموالاتكم علمناالله معالم ديننا و أصلح ما كان فسد من دنيانا و بموالاتكم تمت الكلمة و عظمت النعمة و ائتلفت الفرقة و بموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودةالواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله والجاه العظيم والشان الكبير والشفاعة المقبولة)[١٧].

واليك بعضالاحاديث الدالةعلى مقدار علومهم و فخامتها و ان كان الامر واضحا كالنار على المنار.

عن هشام بن الحكم عن ابىعبدالله عليهالسلام فى حديث قال: ان الله لا يجعل حجته فى ارضه يسأل عن

١٧. من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٩ طبع مكتبة الصدوق بطهران.

شيء فيقول لا ادری[۱۸].

وعن سيف التمار قال: كنا مع ابی‌عبدالله عليه‌السلام جماعة من الشيعة فی‌الحجر فقال: علينا عين فالتفتنا يمنة و يسرة فلم نر آحداً فقلنا: ليس علیناعين فقال: و رب الكعبة و رب البنية ثلاث مرات لو كنت بين موسی والخضر لاخبرتهما أنی اعلم منهما ولانبئتهما بما ليس فی أيديهما، لان موسی والخضر عليهماالسلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتی تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول‌الله صلی‌الله عليه و آله وراثة[۱۹].

و عن أبی‌حمزة قال سمعت ابا جعفر عليه‌السلام يقول: لا والله لا يكون عالم جاهلا ابدأ، عالماً بشيء جاهلا بشيء ثم قال: الله أجل و أعز و أكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه و أرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه[۲۰].

و عن الرضا عليه‌السلام فی حديث: ان الامام مؤيد بروح القدس و بينه و بين الله عمود من نور يری فيه اعمال العباد و كلما احتاج اليه لدلالة اطلع عليها، ... الحديث[۲۱].

و عن ابی‌عبدالله عليه‌السلام قال: انی لا علم مافی السماوات وما فی‌الارض و أعلم مافی‌الجنة، و أعلم ما فی‌النار و اعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأی ان ذلك كبر علی من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزوجل ان الله يقول: فيه تبيان كل

۱۸. التنبيه: ص ۳۲ نقلا عن الكافی.
۱۹. الاصول من الكافی: ج ۱ ص ۲۶۰_۲۶۱.
۲۰. الاصول من الكافی: ج ۱ ص ۲۶۲.
۲۱. التنبيه: ص ۴۲ نقلا عن عيون الاخبار.

شیء[۲۲].

وقد قال مولینا امیرالمؤمنین علیه‌السلام: «امـا والله لقد تقمصها فلان و انه لیعلم أن محلی منها محل القطب من الرحا ینحدر عنی السیل ولا یرقی الی‌الطیر» الحدیث[۲۳].

و قال أیضا: «أیها الناس سلونی قبل ان تفقدونی فلانا بطرق السماء أعلم منی بطرق الارض»[۲۴].

و قال أیضا: «والله لو شئت ان اخبر کل رجل منکم بمخرجه ومولجه و جمیع شأنه لفعلت ولکن اخـاف أن تکفروا فی برسول‌الله صلی‌الله علیه و آله ألا و انی مفضیه الی الخاصة ممن یؤمن ذلك منه والذی بعثه بالحق واصطفاه علی الخلق ما انطق الا صادقاً وقد عهد الی بذلك کله و بمهلك من یهلك و منجی من ینجو و مال هذا الامر وما ابقی شیئا یمر علی راسی الا افرغه فـی اذنی و افضی به الی» الحدیث[۲۵]. و غیر ذلك من الاخبار والروایات فی‌ذلك متواترة و حیث کان صدورها عـن المعصومین قطعیا صار موجباً لحصول الیقین بمفادها کما لا یخفی.

قال العلامة الطباطبائی ـقدس‌سرهـ: «ان الامـام وقف علی حقایق العالم کیف ما کان باذنه تعالی سواء کانت محسوسة او غیر محسوسة کالموجودات‌السماویة والحوادث الماضیة والوقایع الاتیة وتـدل علـی ذلك الروایات المتواترات المضبوطة فی‌الکافی و بصائـر الدرجات و بحار الانوار وغیرها»[۲۶].

۲۲. الاصول من الکافی: ج ۱ ص ۲۶۱.
۲۳. نهج‌البلاغه الخطبة: ۳ ص ۴۸ لصبحی صالح.
۲۴. نهج‌البلاغه الخطبة: ۱۸۹ ص ۲۸۰ لصبحی صالح.
۲۵. نهج‌البلاغة الخطبة : ۱۷۵ لصبحی صالح.
۲۶. بحثی کوتاه درباره علم امام: ص ۳۴.

الرابع: ان ما اشار اليه المصنف فى قوله من ان الحدس الذى ربما يتفق فى الانسان غايته هو الالهام على ما قرره الفلاسفة المتقدمون لعله اشارة الى ما قرره صدر المتالهين فى الاسفار فى معنى الحدس والذكاء حيث قال و منها الحدس ولا شك فى ان الفكر لا يتم الا بوجدان شىء متوسط بين طرفى المجهول لتصير النسبة المجهولة معلومة وكذا ما يجرى مجراه فى باب الحدود للتصور لما تقرر ان الحد والبرهان متشاركان فى الاطراف والحدود، والنفس حالكونها جاهلة كانها واقعة فى ظلمة ظلماء فلابد من قائد يقودها او روزنة يضىء لها موضع قدمها و ذلك الموضع هو الحد المتوسط بين الطرفين و تلك الروزنة هوالتحدس بذلك دفعة فاستعداد النفس لوجدان ذلك المتوسط بالتحدس هو الحدس ومنها الذكاء وهو شدة هذا الحدس و كماله و بلوغه و غايته القصوى هو القوة القدسية التى وقع فى وصفها قوله تعالى: «يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار» وذلك لان الذكاء هوالامضاء فى الامور و سرعة القطع بالحق واصله من ذكت النار و ذكى الذبح و شاة مذكاة اى يدرك ذبحها بحدة السكين[٢٧] ولا يخفى عليك ان انواع الالهام لا تنحصر فى الحدس والذكاء لا مكان الافاضات بدون ذلك كما اشرنا اليه و كيف كان فمما ذكر يظهر ان علومهم لا تنحصر فى العلوم العادية كماذهب اليه الجمهور من علماء العامة بل لهم ماللرسول صلى الله عليه و آله من العلوم الالهية بأنواعها كما يقضيه قيامهم مقام النبى فى الاتيان بوظائفه لان ذلك لا يتحقق من دون العلم الالهى كما لا يخفى.

٢٧. الاسفار: ج ٣ ص ٥١٦.

الخامس: فى‌الميز بين علومهم والعلوم البشرى ولا يخفى عليك ان العلوم البشرى منقسمة الى البديهيات والنظريات‌والانسان من‌لدن وجوده ارادكشف‌المجهولات بالتفكير و ترتيب المقدمات وفى هذا السبيل كثيرا ما كان يخطأ ولذا وضع علم الميزان ليمنعه عن ذلك، ومعه لا يعصمه، و ان أفاده لخطائه فى تطبيق علم الميزان على محاوراته و عليه فالعلوم النظرية مكتسبة من البديهيات بترتيب المقدمات و ترتيب المقدمات يحتاج الى التعلم والتعليمات و حيث ان آحاد الانسان، فى‌التفكير وترتيب المقدمات ليسوا بمساوين يؤدى التفكير فى جملة من المسائل الى الاختلاف فى النتائج فى كشف الحقايق ولم يتمكنوا من الاتفاق فيها اذ ربما يكون الترتيب بنظر واحد تماما و بنظر آخر ناقصاً، و لذا يكون النتيجة عند واحد واضحة، و عند اخر غير واضحة، بحيث يمكن عنده تجديد النظر و يحتمل خلافه كما ليسوا عند اظهار النظر على السواء اذ ربما اظهر واحد نظره فى مجهول بأن الامر كذا أو كذا قطعاً، و أظهر‌ثان بأن الامر كذا و كذا من دون التأكيد بالقطع، و أظهر آخر بان الظاهر انه كذا، و رابع بأنه محتمل، و خامس بانه مشكل، فيما اذا لايؤدى نظره الى شىء، و عليه فيكون باب التأمل والاشكال و تجديد النظر فى كثير من المعلومات منفتحا هذا مضافا الى مجهولات كثيرة تكون كشفها خارجا عن حيطة‌قدرة علم الانسان ولذا اعترف الاعاظم من العلماء بالقصور عن‌حل جميع‌المجهولات، وان‌ظفروا بالاصول‌والضوابط المتعددة الصحيحة من المقدمات البديهية كما لا يخفى، و كيف كان فهذه هى العلوم الاكتسابية التى لا يمكن لاحد ان يرثها من ابيه او آخر من دون تحمل المشاق فى

تحصيلها.

وفي قبالها علوم الهية أفاضها الله تعالى الى انبيائه و اوليائه و هذه العلوم الالهية لا تحتاج الى الاكتساب و ترتيب المقدمات للوصول الى المجهولات النظرية بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده و معه يرى حقيقة كل شيء ولا تحجب عنه، ولا يحتاج انتقاله من نبي الى نبي او من ولي الى ولي الى مؤنة بل ينتقل اليه بالاشراق و تنوير الباطن في لحظة، و لذا صار بعض الانبياء او الائمة عليهم الصلوات والسلام نبياً و اماماً في حال الصباوة من دون حاجة الى مضي زمان.

ثم ان العلوم الالهية لا اختلاف فيها بل كلها واضحة، ولا يكون فيها أجلى و أوضح، ولذا لم يسمع من نبي ما تعارف بيننا من الاوضح والاظهر او الظاهر فضلا عن لا ادري ولا اعلم، والعلوم الالهية كلهاحاضرة عندهم ولذا لم يقل احد منهم فيمقام الجواب عنمسألة، المسألة تحتاج الى المراجعة أو التأمل، او نحو ذلك، بل كانوا داعين للناس الى الاسئلة و أجابوا عنها من دون احالة الى المطالعة او التأجيل.

ولا يعترى على العلوم الالهية مايحتاج معه الى تجديدالنظر بلهي علىماهي عليهامن القوة والظهور نعم تصير اجلى بمرور الازمنة والدهور للسامعين.

ولا ينافي ذلك النسخ في الشرايع أو شريعتنا، لان معنى النسخ ليس الا ارتفاع أمد الحكم النافع بحيث لا اعتبار به بعد ارتفاع أمده و ليس فيه ما يكشف عن عدم صحة الحكم في وقته و زمانه بل كل منسوخ حكم صحيح متين فيزمانه، ولذا يصدق كل نبي ما نزل على نبي آخر ولا يكذبه.

و مما ذكر يظهر أن العلوم الالهية حيث لا تحتاج الى ترتيب المقدمات، لا يكون فيها الاختلاف و لذا لا يكون الانبياء والائمة عليهم الصلوات والسلام مختلفين فى امر من الامور، بل كلهم مخبرون عن الحقايق الواحدة، و ان كانت كلماتهم للناس بحسب اختلاف استعدادهم و تفاوت الظروف مختلفة.

٤- عقيدتنا فى طاعة الائمة

و نعتقد ان الائمة هم اولو الامر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، و أنهم الشهداء على الناس، و أنهم ابواب الله والسبيل اليه، والادلاء عليه، و أنهم عيبة علمه و تراجمة وحيه و اركان توحيده و خزان معرفته و لذا كانوا أمانا لاهل الارض، كما أن النجوم أمان لاهل‌السماء (على حد تعبيره صلى‌الله عليه و آله). و كذلك -على حد قوله‌ايضا- ان مثلهم فى هذه الامة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى و أنهم حسبما جاء فى‌الكتاب المجيد (عبادالله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) و أنهم الذين أذهب‌الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

بل نعتقد أن أمرهم امرالله تعالى، و نهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، و معصيتهم معصيته، و وليهم وليه، وعدوهم عدوه ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم، كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على‌الله تعالى فيجب التسليم لهم، والانقياد لامرهم والاخذ بقولهم.

ولهذا نعتقد أن الاحكام الشرعية الالهية لا تستقى الا من نمير مائهم ولا يصح أخذها الا منهم ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع الى غيرهم، ولا يطمئن بينه و بين‌الله الى أنه قدادى ما عليه من‌التكاليف المفروضة الا من طريقهم. انهم كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق فى هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه‌والضلالات والادعاءات والمنازعات.

* * *

ولا يهمنا من بحث الامامة فى هذه العصور اثبات أنهم هم الخلفاء الشرعيون، و أهل السلطة الالهية، فان ذلك امر مضى فى‌ذمة

التاريخ، وليس في اثباته ما يعيد دورة الزمن منجديد أو يعيد الحقوق المسلوبة الى اهلها.

و انما الذى يهمنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع اليهم، فى الاخذ باحكام الله الشرعية و تحصيل ما جاء به الرسول الاكرم على الوجه الصحيح الذى جاء به. و أن فى أخذ الاحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم ولا يستضيئون بنورهم ابتعادا عن محجة الصواب فىالدين ولا يطمئن المكلف من فراغ ذمته من التكاليف المفروضة عليه من الله تعالى لانه مع فرض وجود الاختلاف فى الاراء بين الطوائف والنحل فيما يتعلق بالاحكامالشرعية اختلافاً لا يرجى معه التوفيق، لا يبقى للمكلف مجال أن يتخير ويرجع الى اى مذهب شاء و رأى اختار، بللا بد له أن يفحص و يبحث حتى تحصل له الحجة القاطعة بينه و بينالله تعالى على تعيين مذهب خاص يتيقن أنه يتوصل به الى أحكام الله و تفرغ به ذمته من التكاليف المفروضة فانه كما يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أن يقطع بفراغ ذمته منها، فان الاشتغال اليقينى يستدعى الفراغ اليقينى.

والدليل القطعى دال على وجوب الرجوع الى آل البيت، وأنهم المرجع الاصلى بعد النبى لاحكام الله المنزلة، وعلى الاقل قوله عليه افضل التحيات: «انى قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً الثقلين أحدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، و عترتى اهلبيتى ألا و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». وهذا الحديث اتفقت الرواية عليه من طرق اهل السنة والشيعة فدقق النظر فىهذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك و يدهشك فى مبناه و معناه فما أبعد المرمى في قوله: (ان تمسكتم به لنتضلوا بعدى ابداً) والذى تركه فينا هما الثقلان معاً اذ جعلهما كامر واحد ولم يكتف بالتمسك بواحد منهما فقط فبهما معاً لن تضل بعده أبداً.

وما أوضح المعنى فىقوله: «لن يفترقا حتى يردا على الحوض» فلا يجد الهداية ابداً من فرق بينهما ولم يتمسك بهما معاً فلذلك كانوا «سفينة النجاة» و «اماناً لاهل الارض» ومن تخلف عنهم غرق فىاللجج الضلال، ولم يأمن من الهلاك. و تفسير ذلك بحبهم فقط من دون الاخذ بأقوالهم واتباع طريقهم، هروب من الحق لا يلجىء اليه الا التعصب والغفلة عن المنهج الصحيح فى تفسير الكلام العربى المبين(١).

(۱) ولا باس بذكر امور.

الاول: أن الائمة علیهم‌السلام هم اولوا الامر الذین یكون طاعتهم مطلقاً مفروضة و ذلك واضح بعد ما مر من كونهم قائمین مقام النبی صلی‌الله علیه و آله فی جمیع شؤونه و منها الولایة والحكومة علی المسلمین و یشهد له مضافاً الی الروایات المتواترة قوله تبارك و تعالی: «یا ایها‌الذین آمنوا اطیعوا الله و اطیعوا الرسول و اولی الامر منكم ـ النساء: ۵۹» ولا تشمل الآیة المباركة غیرهم من الولاة والخلفاء لاختصاص الاطاعة المطلقة بالله تعالی والمعصومین من الرسول والائمة المكرمین، و الا لزم الامر بالطاعة عن الفاسقین و هو قبیح فالآیة حیث تدل علی الطاعة المطلقة لله و للرسول و اولی الامر بسیاق واحد، تدل علی أن المراد من الموضوع و هو اولوا الامر هم المعصومون كما فسرت الآیة بهم فی‌الروایات الكثیرة.

منها ما ورد من أن جابر بن عبدالله الانصاری سأل رسول الله صلی‌الله علیه و آله فمن اولوا الامر الذین قرن‌الله طاعتهم بطاعتك؟ و قال (ص) هم خلفائی یا جابر، وائمة المسلمین من بعدی، اولهم علی‌بن‌ابیطالب ثم الحسن ثم الحسین ثم علی‌بن الحسین ثم محمدبن علی المعروف فی‌التوراة بالباقر ستدركه یا جابر، فاذا لقیته فاقرأه منی السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسی بن جعفر ثم علی‌بن موسی ثم محمدبن علی ثم علی‌بن محمد ثم الحسن بن علی ثم سمیی و كنیی حجة‌الله فی ارضه و بقیته فی‌عباده ابن الحسن‌بن علی، ذاك الذی یفتح الله ـ تعالی ذكره ـ علی یدیه مشارق الارض و مغاربها، ذاك الذی یغیب عن شیعته و اولیائه غیبة لا

يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول‌الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى‌الله عليه و آله اى والذى بعثنى بالنبوة انهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته. كانتفاع الناس بالشمس و ان تجلاها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله و مخزون علمه فاكتمه الا عن اهله[1].

و منها ما ورد في امالى الشيخ قدس‌سره من أن أبامحمد الحسن‌بن على عليهما‌السلام خطب الناس بعد البيعة له بالامر، فقال: نحن حزب‌الله الغالبون و عترة رسوله الاقربون، و أهل بيته الطيبون الطاهرون، واحد الثقلين الذين خلفهما رسول‌الله في امته ـ الى ان‌قال ـ فاطيعونا فان طاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة‌الله عز وجل مقرونة، قال الله عزوجل «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم» الحديث[2].

و منها مارواه في‌الكافى عن الحسين بن أبى العلا قال ذكرت الى ابى‌عبدالله عليه‌السلام قولنا في‌الاوصياء و ان طاعتهم مفترضة قال فقال نعم هم الذين قال الله عزوجل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم وهم الذين قال‌الله عزوجل: «انما وليكم‌الله و رسوله والذين آمنوا ـ الآية»[3].

و منها ما رواه في‌الكافى ايضا عن أبى جعفر عليه‌السلام: «ايانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين الى

۱. غاية المرام: المقصد الاول، الباب التاسع و الخمسون ص ۲۶۷ ح العاشر الطبع القديم.
۲. غاية المرام: المقصد الاول، الباب التاسع والخمسون ص ۲۶۷ ح الثالث‌عشر.
۳. غاية المرام: المقصد الاول، الباب التاسع والخمسون ص ۲۶۵ ح الثانى.

یوم القیامة بطاعتنا»[٤].

و الی غیر ذلك من الروایات المرویة فی الابواب المختلفة التی تدل علی أن المراد من اولی الامر هم الائمة المعصومون علیهم السلام، و علی ان طاعتهم مفروضة، و هو کما عرفت مطابق للاعتبار اذ السیاق یفید الاطاعة المطلقة، و هی لا معنی لها الا فی المعصومین و لعله لذلك قال فی دلائل الصدق بعد نقل الآیة المبارکة لا یمکن أن یشمل سائر الخلفاء سواء أراد بهم خصوص الاربعة أم الاعم منهم و من معاویة و یزید والولید و اشباههم، لدلالة الآیة علی عصمة اولی الامر، و هؤلاء لیسوا کذلك فیتعین ان یراد باولی الامر علی وابناؤه الاطهار، لانتفاء العصمة عن غیرهم بالضرورة والاجماع[٥].

و قال المحقق اللاهیجی: ان المراد من اولی الامر لا یکون الا المعصومین لان تفویض امور المسلمین الی غیرهم ترك لطف و هو قبیح[٦].

ومن ذلك یظهر وجه اختصاص اولی الامر بالائمة الذی اشار الیه المصنف بقوله «و نعتقد ان الائمة هم اولوا الامر الذین امر الله تعالی بطاعتهم».

ثم لا یخفی علیك ان الفخر الرازی بعد اعترافه بدلالة الایة علی عصمة الرسول و اولی الامر حمل اولی الامر علی الاجماع، و قال حمله علیه اولی، لانه أدخل الرسول و اولی الامر فی لفظ واحد و هو قوله «اطیعوا الله و اطیعوا الرسول و اولی الامر منکم» فکان حمل

٤. الاصول من الکافی: ج ١ ص ٢٧٦.
٥. دلائل الصدق: ج ٢ ص ١٩٢.
٦. سرمایه ایمان: ص ١٢٤.

اولى الامر الذى هو مقرون الرسول على المعصوم اولى من حمله على العاجز والفاسق الخ.

و فيه ان ذلك الحمل ردى لانه خلاف الظاهر من الكلمة، اذ لا مناسبة بين اولى الامر والاجماع هذا مضافاً الى ان الاجماع على فرض وجوده، و تحقق شرائطه حجة بما أنه كاشف عن الحكم الشرعى، و ليس لنفس المجمعين حق الامر والولاية، هذا بخلاف اولى الامر والرسول، فان لهم حق الامر والحكم بين الناس، و هذه الاطاعة غير طاعة الله ولذا كرر الاطاعة فيهم ولم يكتف بذكرها فى‌الله تعالى و قال «اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم» هذا مع تفسير الاية فى‌النصوص بالاحاد من الامة وهم الائمة عليهم السلام كما عرفت الاشارة الى بعض هذه النصوص فتفسيرها بالاجماع خلاف النصوص المستفيضة الصحيحة ايضا كما لا يخفى.

والاضعف مما ذكر ما حكى عن صاحب المنار من أن المراد من اولى الامر اجماع اهل الحل و العقد من المؤمنين، اذا اجمعوا على أمر من مصالح الامة، لما عرفت من أن حمله على اجماع الامة خلاف الظاهر و خلاف النصوص فضلا عن حمله على جماعة من الامة كأهل الحل والعقد هذا[۷].

و أما شموله بالنسبة الى الفقهاء ففيه تفصيل فان اريد به شموله اصالة فقد مر وجه اختصاصه بالمعصومين، فلا يشمل غيرهم.

و ان اريد به شموله لهم تبعاً للائمة المعصومين عليهم‌السلام لانهم يكونون فى‌طول الائمة بعد كون مشروعية ولايتهم بنيابتهم عنهم، فلا يبعد صحته اذ

۷. راجع الامامة و الولاية: ص ۴۴ـ۵۰.

ولايتهم من شؤون ولاية الائمة. ولعل اليه يشير ما روى عن الصادق عليه‌السلام من أن المراد من اولى الامر بالاصالة على‌بن ابيطالب وغيره بالتبع[8] و عليه فاطاعة الفقهاء واجبة لانها ترجع الى اطاعة اولى‌الامر باعتبار كونهم منصوبين عنهم.

اللهم الا ان يقال من المحتمل أن يكون الحصر فى‌الاخبار المشار اليها حصراً اضافياً بالنسبة الى‌حكام الجور المتصدين للحكومة فى‌أعصار الائمة عليهم‌السلام فأرادوا عليهم‌السلام بيان أن الحق لهم، و ان هؤلاء المتصدين ليسوا اهلا لهذا الامر، والا فولاية الامر اذا كانت عن حق، بان كانت بجعل الائمة عليهم‌السلام اياها لشخص أو عنوان فهو من قبيل تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعلية، و دوران الحكم مداره، فعلة وجوب الاطاعة له هى كونه صاحب‌الامر، و ان له حق الامر شرعاً، ولا محالة لا يشمل صورة أمره بمعصية الله اذ ليس له حق الامر بالمعصية.

وبالجملة فاطاعته واجبة فى‌حدود ولايته‌المشروعة ولا يطلق صاحب الامر الا على من ثبت له حق الامر والحكم شرعاً، كما لا يطلق صاحب الدار الا على من ملكها شرعا، دون من تسلط عليها غصباً[9] و عليه فلا مانع من شمول الاية للفقهاء عرضا ولكنه ينافيه الاخبار كقول امير المؤمنين عليه‌السلام: و انما امر بطاعة اولى الامر لانهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته، اذ التعليل يخصص ذلك بالمعصومين فتدبر جيداً.

الثانى: ان الائمة عليهم‌السلام هم الشهداء على

۸. احقاق الحق: ج ۳ ص ۴۲۴.
۹. ولاية الفقيه: ج ۱ ص ۶۶.

الناس و ذلك واضح بعد ما عرفت من محدودة علمهم لان العلم بما كان و ما هو كائن الى يوم القيمة يستلزم العلم باعمال الناس هذا مضافاً الى شهادة الروايات على عرض الاعمال على رسول الله صلى الله عليه و آله والائمة المعصومين عليهم السلام فى ذيل قوله تعالى: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ــ التوبة: ١٠٥» و عليه فيمكن لهم اقامة الشهادة على الناس يوم القيامة و هذا امر دل عليه الكتاب حيث قال عزوجل: «وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا ــ البقرة: ١٤٣» لان الخطاب الى الامة باعتبار بعضهم ممن يكون صالحا لوصف الوسطية المطلقة لاجميعهم لوضوح عدم كونهم فى الاعتدال فضلا عن الاعتدال المطلق الواقعى فالمراد منها هو الخواص وهم الائمة عليهم السلام الذين كانوا معصومين عن الافراط والتفريط و خطاب الامة باعتبار بعضها أمر شايع كقوله تعالى مخاطباً لبنى اسرائيل: «وجعلكم ملوكا ــ المائدة: ٢٠» مع ان الملك فى كل عصر لا يكون الا واحدا ولذلك قال الامام البلاغى ــ قدس سره ــ: فهذه الصفات انما تكون باعتبار البعض، والموجه اليه الخطاب هو ذلك البعض، وقد روى فى اصول الكافى باسناد صحيحة عن أبى جعفر و عن ابى عبدالله عليهما السلام «نحن الامة الوسط و نحن شهداء الله على خلقه» و عن الحسكانى فى شواهد التنزيل عن سليم الهلالى عن على (ع): «نحن الذين قال الله «وجعلناكم امة وسطاً» وعن العياشى عن ابن ابى عمير الزبيرى عن ابى عبدالله عليه السلام فى هذه الاية «أفترى ان من لا تجوز شهادته فى الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة و يقبلها منه بحضرة

جميع الامم الماضية كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه»[١٠].

فهذا المقام مقام رفيع مخصوص بهم ومقتضاه هو اشرافهم على الناس و أعمالهم و نياتهم بحيث يسرهم اذا كانوا على خير و يحزنهم اذا كانوا على معصية كما دلت عليه النصوص.

هذا مضافاً الى دلالة الاية الشريفة على أن هؤلاء الشهداء موجودون بين الناس اذ الشهادة على الناس لا تمكن بدون الحضور، كما دل عليه ما رواه فى الكافى عن ابى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل «فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنابك على هؤلاء شهيدا» قال: نزلت فى امة محمد صلى الله عليه و آله خاصة، فى كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم و محمد صلى الله عليه و آله شاهد علينا[١١].

وفى نهاية البحث نقول ان شهادتهم على الجميع تحكى عن علو شأنهم و مقامهم بالنسبة الى الجميع و عن طهارتهم و عصمتهم والا فلم تقبل شهادتهم كذلك ولعل اليه يشير ما روى عن مولينا امير المؤمنين صلوات الله عليه انه قال: «ان الله تبارك و تعالى طهرنا و عصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، و حجته فى أرضه، و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا[١٢] و بقية الكلام فى محله[١٣].

الثالث: انهم ابواب الله والسبيل اليه والادلاء عليه لانهم قائمون مقام النبى صلى الله عليه و آله فكما أن

١٠. راجع تفسير آلاء الرحمن: ص ١٣٣، تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ١١٣.
١١. الاصول من الكافي: ج ١ ص ١٩٠.
١٢. الاصول من الكافي: ج ١ ص ١٩١.
١٣. راجع الامامة و الولاية: ص ١٨٤.

التعبد والسلوك بدون معرفة النبى ضلالة و تحير، كذلك الجهد والسعى فى العبادة بدون معرفة الامام الذى يقوم مقامه فى جميع شؤونه عدا تلقى الوحى. والروايات فى هذا المعنى كثيرة جداً.

منها ما رواه فى الكافى بسند صحيح عن أبى جعفر عليه السلام يقول: «كل من دان الله عزوجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا امام من الله فسعيه غير مقبول، و هو ضال متحير والله شانىء لاعماله»[۱۴].

و منها ما رواه فيه ايضا عن اميرالمؤمنين عليه السلام فى ضمن حديث «ان الله تبارك و تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا ابوابه و صراطه وسبيله والوجه الذى يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون» الحديث[۱۵].

و تشهد لهذا المعنى الروايات الكثيرة التى عبرت عن على و أولاده المعصومين بالصراط المستقيم أو العروة الوثقى منها ما رواه فى غاية المرام عن الكلينى عن محمد بن الفضيل عن ابى الحسن الماضى عليه السلام قال قلت «افمن يمشى مكباً على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم» قال ان الله ضرب مثلا من حاد عن ولاية على كمن يمشى مكباً على وجهه لايهتدى لامره وجعل من تبعه سوياً على صراط مستقيم والصراط المستقيم اميرالمؤمنين[۱۶]. ومنها ما رواه فى غاية المرام ايضا عن ابى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى «وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه» قال طريق الامامة فاتبعوه ولا تتبعوا السبل اى طرقا غيرها «ذلكم وصيكم

۱۴. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۱۸۳.
۱۵. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۱۸۴.
۱۶. غاية المرام: المقصد الثانى، الباب الثانى عشر و مائتان ص ۴۳۵.

به لعلكم تتقون»[١٧]. و منها ما رواه فى غاية المرام ايضا عن ابى‌الحسن الفقيه محمدبن على بن شاذان فى المناقب المائة من طريق العامة بحذف الاسناد عن ابن عباس قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله يقول: معاشر الناس اعلموا ان لله تعالى بابا من دخله امن من النار و من الفزع الاكبر، فقام اليه ابوسعيد الخدرى، فقال يا رسول‌الله اهدنا الى هذا الباب حتى نعرفه، قال هو على‌بن ابيطالب سيد الوصيين، واميرالمؤمنين، و اخو رسول رب العالمين و خليفةالله على الناس‌اجمعين معاشر الناس من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى، التى لاانفصام لها فليتمسك بولاية على‌بن ابى‌طالب فان ولايته ولايتى و طاعته طاعتى معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجة بعدى فليعرف على بن ابيطالب.

معاشر الناس من سره ليقتدى بى فعليه أن يتوالى ولاية على‌بن ابيطالب، والائمة من ذريتى فانهم خزان علمى فقام جابربن عبدالله الانصارى فقال يا رسول‌الله ما عدة الائمة قال يا جابر سألتنى رحمك الله عن‌الاسلام بأجمعه، عدتهم عدة الشهور و هو عند الله اثناعشر شهراً فى كتاب الله يوم‌خلق السموات والارض وعدتهم عدة العيون التى انفجرت منه لموسى بن عمران عليه‌السلام حين ضرب بعصاه فانفجرت منه اثنتاعشرة عيناً، وعدة نقباء بنى‌اسرائيل قال الله تعالى: «واذ اخذنا ميثاق بنى‌اسرائيل و بعثنا منهم‌اثنى‌عشر نقيباً» فالائمة يا جابر اثناعشر اماماً اولهم على‌بن ابيطالب، و آخرهم القائم صلوات‌الله عليهم[١٨].

و تشهد لذلك أيضاً الروايات الدالة على أن الائمة

١٧. غاية المرام: المقصد الثانى، الباب الثانى‌عشر و مائتان، ص ٤٣٥.
١٨. غاية المرام: المقصد الاول، الباب الثامن و الثلثون ص ٢٤٤ ج ٢.

عليهم‌السلام أركان الايمان، ولا يقبل الله جل جلاله الاعمال من العباد الا بولايتهم، والروايات الدالة على أن عليا باب مدينة العلم و باب مدينة الحكمة و بـاب مدينة الجنة، والروايات الدالة على ان علياً قسيم‌الجنة والنار، و ولي الحوض و ساقيه، ونحوها مـن طوائف الاخبار التي كانت مروية في جوامعنا و جوامع‌اخواننا العامة باسناد متواترة فراجع.

الرابع: انهم عيبة علمه، و تراجمة وحيه، و اركان توحيده، و خزان معرفته، وقد عرفت فيما مر أن‌الائمة عليهم‌السلام وارث علوم الانبياء، مـن طـريق النبي، فالتوراة عندهم، والانجيل عندهم، و صحف ابـراهيم عندهم و تفسير الكتاب عندهم، ولا يشذ عن علومهم شيء من العلوم الالهية التي علمها الله تعالى، و عليه فهم عيبة علمه، و تراجمة وحيه، و خزان معرفته وحيث ان المعرفة الكاملة الممكنة في حد البشر بالنسبة اليه تعالى‌عندهم فبهم يعرف توحيده‌تعالى وهم كانوا اركان توحيده.

وقد دلت الروايات المتكثرة على ذلك منها ما رواه في‌الكافي عن الصادق عليه‌السلام انه يقول: «نحن ولاة امرالله و خزنة علم الله و عيبة وحي الله»[۱۹].

و منها ما رواه في‌الكافي ايضا عن سدير عن ابي جعفر عليه‌السلام قال قلت له: «جعلت فداك مـا انتم؟ قال: نحن خزان علم‌الله، ونحن تراجمة وحي‌الله، ونحن الحجة البالغة، على من دون‌السماء ومن فوق الارض»[۲۰].

و منها ما رواه في‌الكافي ايضا عـن ابـي‌الحسن موسى عليه‌السلام قال: «قال ابوعبدالله عليه السلام: ان‌الله عزوجل خلقنا فاحسن خلقنا، و صورنا فأحسن

۱۹ و ۲۰. الاصول من الكافي: ج ۱ ص ۱۹۲.

صورنا، و جعلنا خزانه فی‌سمائه و ارضه، و لنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عبدالله‌عزوجل‌ولولانا ما عبدالله»[٢١].

ومنها: ما رواه فی‌الكافی ایضاً عن أبی عبدالله علیه‌السلام «الاوصیاء هم أبواب الله عزوجل التی یؤتی منها ولولاهم ما عرف الله عزوجل، و بهم احتج الله تبارك و تعالی علی خلقه»[٢٢].

و یشهد لذلك ایضا ما ورد فی عظمة علم علی و اولاده المعصومین علیهم‌السلام، مثل ما رواه فی غایة المرام عن الخطیب الفقیه ابی‌الحسن ابن المغازلی الشافعی فی كتاب المناقب باسناده الی ابن عباس قال: «قال رسول‌الله صلی‌الله علیه و آله: آتانی جبرئیل علیه‌السلام بدرنوك من الجنة فجلست علیه فلما صرت بین یدی ربی كلمنی و ناجانی فما علمت شیئا الا علمته علیاً فهو باب علم مدینتی ثم دعاه الیه فقال یا علی سلمك سلمی و حربك حربی و انت العلم فیما بینی و بین امتی بعدی»[٢٣].

و مثل ما رواه فیه ایضا عن ابن شاذان عن ابی هریرة قال: كنت عندالنبی اذ أقبل علی بن ابی‌طالب (ع) فقال اتدری من هذا قلت علی‌بن ابیطالب (ع)فقال النبی (ص) هذا البحر الزاخر هذا الشمس الطالعة اسخی من الفرات كفاً و اوسع من الدنیا قلبا فمن ابغضه فعلیه لعنةالله[٢٤].

و مثل ما رواه فیه عن الترمذی، و هو من آكابر علماء العامة، قال ابن عباس و هو امام المفسرین:

٢١ و ٢٢. الاصول من‌الكافی: ج ١ ص ١٩٣.

٢٣. غایة المرام: فصل فضل علی علیه‌السلام ص ٥١٠، الباب الخامس والعشرون ح ١.

٢٤. غایة المرام: الفصل المذكور ص ٥١٢، الباب الخامس و العشرون ح ١٦.

«العلم ستة اسداس لعلـــى منها خمسة اسداس، للناس سدس، ولقد شاركنا فيه حتى هو أعلم به منا»[۲۵].

و يشهد لذلك ايضا ما ورد فى أن علم رسول الله صلى‌الله عليه و آلــه كله عند اميرالمـؤمنين و اولاده المعصومين عليهم‌السلام، وما ورد فى أن عليا يقــول: «فوالله لوثنيت لى و سادة فجلست عليها لافتيت اهــل التوراة بتوراتهم، و أهل الانجيل بانجيلهم، و بين‌اهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم» و غير ذلك من الروايات المتواترات.

الخامس: انهم أمان لاهل الارض، ولا اشكال ولا ريب فى أن الاهتداء لا يتحقق الا بهم، بعد ما عرفت من أنهم خلفاء الله و رسوله و عيبة علمه و خزان علمه و تراجمة وحيه، وان الاعراض عنهم لا يوجب الاالهلاكة والسقوط، والتحير والضلالة، فبهذا الاعتبار، هم أمان لاهل الارض، و لعله ظاهر قوله (ص) «مثل أهل‌بيتى كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق و هوى» و اليه أشار المصنف بقوله ولذا كانوا أماناً لاهل الارض الخ.

كما انهم باعتبار اخر ايضا امان لاهل الارض و هو ان الارض والسماء وبركاتهما تدوم مادام النبى او الولى‌موجودا فى‌الارض والا فلابقاء لهماولالبركاتهما، وهذا مستفاد ايضا من الروايات.

منها: ما رواه فى غاية المرام عن مسند أحمدبن حنبل... عن رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله انــه قال: «النجوم أمان لاهل السماء اذا ذهبت النجوم ذهبوا، و أهل‌بيتى أمان لاهل الارض، فاذا ذهب أهل‌بيتى ذهب

۲۵. غاية المرام: الفصل المذكور ص ۵۱۴، الباب الخامس و العشرون ح ۳۳.

أهل الارض»[٢٦].

و منها، ما رواه فيه ايضا عن ابن بابويه عن جابر بن يزيد الجعفی قال: «قلت لابی جعفر محمد بن علی الباقر عليهما السلام لای شیء يحتاج الی النبی والامام فقال لبقاء العالم علی صلاحه و ذلك ان الله عزوجل يرفع العذاب عن أهل الارض اذا كان فيها نبی أو امام، قال الله عزوجل «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم» و قال النبی النجوم أمان لاهل السماء و أهل بيتی أمان لاهل الارض، فاذا ذهبت النجوم اتی اهل السماء ما يكرهون و اذا ذهبت أهل بيتی اتی اهل الارض ما يكرهون»[٢٧].

و منها: ما رواه فيه ايضا عن ابن بابويه... عن الصادق عليه السلام عن ابيه محمد بن علی عن ابيه علی بن الحسين قال: «نحن ائمة المسلمين و حجج الله علی العالمين و سادة المؤمنين و قادة الغر المحجلين و موالی المؤمنين و نحن امان الارض كما ان النجوم أمان لاهل السماء و نحن الذين بنا يمسك الله السماء ان تقع علی الارض الا باذنه و بنا يمسك الارض أن تميد بأهلها و بنا ينزل الغيث و بنا تنشر الرحمة و تخرج بركات الارض ولولا ما فی الارض منا لساخت باهلها، ثم قال عليه السلام ولم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو الی أن تقوم الساعة من حجة لله و لولا ذلك لم يعبد الله» الحديث[٢٨].

و منها: ما رواه فی الكافی عن مولينا الصادق

٢٦. غاية المرام: المقصد الاول ص ٢٧٤، الباب السادس و الستون ح ١.
٢٧. غاية المرام: المقصد الاول ص ٢٧٥، الباب السابع و الستون ح ٢.
٢٨. غاية المرام: المقصد الاول ص ٢٧٥، الباب السابع و الستون ح ٣.

عليه‌السلام انه قال: «ان الله خلقنا فأحسن صورنا و جعلنا عينه فى عباده و لسانه الناطق فى خلقه و يده المبسوطة على عباده، بالرأفة والرحمة، و وجهه الذى يؤتى منه و بابه الذى يدل عليه و خزانه فى سمائه و أرضه بنا أثمرت الاشجار واينعت‌الثمار وجرت الانهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الارض وبعبادتنا عبدالله، ولولا نحن ماعبدالله»[۲۹] وغير ذلك من‌الروايات.

السادس: ان‌الائمة هم‌العباد المكرمون المطهرون، اذ امامتهم لا تنفك عن عصمتهم و طهارتهم، هذامضافاً الى تنصيص الروايات الكثيرة المتواترة.

قال على‌بن موسى الرضا عليه‌السلام فى ضمن ما قال: «الامام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب»[۳۰] و قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله: «من سره أن ينظر الى القضيب الياقوت الاحمر الذى غرسه الله عزوجل بيده و يكون متمسكا به فليتول عليا والائمة من ولده فانهم خيرةالله عزوجل و صفوته، وهم المعصومون‌من كل ذنب و خطيئة»[۳۱].

و أخبرت فاطمة سلام‌الله عليها عن رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله أنه قال: «أخبرنى جبرئيل عن كاتبى على انهما لم يكتبا على على ذنبا مذ صحباه»[۳۲].

و اخبر محمد بن عمار بن ياسر عن ابيه قال: سمعت النبى صلى‌الله عليه و آله يقول: «ان حافظى على ليفخران على سائر الحفظة، بكونهما مع على عليه

۲۹. الاصول من الكافى: ج ۱ ص ۱۴۴.
۳۰. بحار الانوار: ج ۲۵ ص ۱۲۴.
۳۱. بحار الانوار: ج ۲۵ ص ۱۹۳.
۳۲. بحار الانوار: ج ۲۵ ص ۱۹۳.

السلام و ذلك أنهما لم يصعدا الى الله عزوجل بشىء منه فيسخطه»[٣٣].

و قالَ الامام على بن الحسين عليهما السلام: «الامام منا لايكون الا معصوماً و ليست العصمة فى ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصاً فقيل له: يابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، و حبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة، والامام يهدى الى القرآن، والقرآن يهدى الى الامام، و ذلك قول الله عزوجل: ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم»[٣٤].

و قال مولينا اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «انما الطاعة لله عزوجل و لرسوله ولولاة الامر، و انما امر بطاعة اولى الامر لانهم معصومون مطهرون لا يامرون بمعصيته»[٣٥].

و قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله: «أنا و على والحسن والحسين و تسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[٣٦].

الى غير ذلك من الروايات، بل تدل على عصمة الائمة جملة من الايات المباركات، منها قوله تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين ـ البقرة: ١٢٥» لوجوه[٣٧].

منها ان ابراهيم بعد ارتفاعه الى مقام الامامة سأل هذا المقام الرفيع لبعض ذريته فاستجاب الله هذا السؤال فى بعضهم، والمتصور من البعض المستفاد من قوله «قال ومن ذريتى» اربع، ١ـ من يكون فى جميع

٣٣ و ٣٤. بحار الانوار: ج ٢٥ ص ١٩٤.

٣٥. بحار الانوار: ج ٢٥ ص ٢٠٠.

٣٦. بحار الانوار: ج ٢٥ ص ٢٠١.

٣٧. راجع الامامة و الولاية: ص ٣١.

عمره من الاول الى الآخر ظالما ۲ـ من يكون ظالما فى نهاية عمره ۳ـ من لا يكون ظالماً فى طول حياته ۴ـ من لا يكون ظالماً فى آخر عمـره و حيث ان جلالة مقـام ابراهيم تمنع عن سؤاله تلك الامامة الرفيعة للاولين و عليه فانحصر سؤاله في الاخرين فاستجاب الله سؤاله في بعضه و هو من لا يكون ظالماً فىطول حياته فعهده تعالى سواء اختص بالامامة او يكون اعم من النبوة لا ينال غيرالمعصومين، وحيث ثبتامامة ائمتنابالنصوص المتواترة فلا محالـة بحكم هذه الآية المباركة كـانوا معصومين من أول حياتهم الى مماتهم.

و منها، قوله تعالى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً ـ الاحزاب: ۳۳» لتواتر الاخبار الدالة على نزولها فىالخمسة الطاهرة، وقد اورد جملة منها فى غاية المرام و دلائل الصدق وقد صنف فـى تلك الاية كتب قيمة[۳۸] و هذه الاخبـار المتواترة تشهد على ان المراد من اهلالبيت هم اهل بيت النبوة لا الازواج ولا مطلق الانساب، فالقول بـان سياق الايات والمناسبة بينها يقتضى انها نزلت فـى ازواج النبى مردود لانـه اجتهاد فـى قبال النصوص الصريحة الصحيحة، هذا مضافاً الى أنه لو كانت نازلة فى حق الازواج لزم تانيث الضمائر، اذ فى هذا الفرض ليس المخاطبون بها الا الاناث.

قال فى دلائل الصدق بعد نقل هذا القول الفاسد، و فيه أولا: ان مناسبة النظم لا تعارض ما تواتر بنزولها فى الخمسة الطاهرين أو الاربعة خاصة.

و ثانياً: انا نمنع المناسبة لتذكيـر الضمير بعد

۳۸. راجع كتاب آية التطهير فى احاديث الفريقين و كتاب أصحاب الكساء و غيرهما.

التأنيث ولتعدد الخطاب و المخاطب و انما جعل سبحانه هذه الاية فی اثناء ذكر الازواج و خطابهن للتنبيه على أنه سبحانه انما أمرهن و نهاهن وادبهن اكراماً لاهل البيت، و تنزيهاً لهم، عن أن تنالهم بسببهن وصمة وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهن عيب، و رفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصی، ولذا استهل سبحانه الايات بقوله: «يا نساء النبی لستن كأحد من النساء» ضرورة ان هذا التمييز انما هو للاتصال بالنبی و آله، لالذواتهن، فهن فی محل، و أهل البيت فی محل آخر فليست الآية الكريمة، الا كقول القائل يا زوجة فلان لست كازواج سائر الناس فتعففی، و تستری، واطيعی الله تعالى انما زوجك من بيت اطهار يريد الله حفظهم من الادناس وصونهم عن النقائص[٣٩].

فهذه الاية نزلت فی حق الخمسة الطاهرة و اما ذكرها فی ضمن هذه الآيات فلعله اما لما أشار اليه صاحب دلائل الصدق، و عليه فلا يكون الجملة معترضة بل هی فی حكم التعليل بالنسبة الى ما امر به زوجات النبی صلى‌الله عليه و آله.

و اما لما اشار اليه البعض الاخر كالاستاذ الشهيد المطهری ـ قدس‌سره ـ من انها نزلت فی حق الخمسة الطاهرة ولكن وضعت بين الايات المذكورة، لمصلحة حفظ الاسلام عن تبليغات سوء المنافقين و تمردهم و اعراضهم لان النبی صلى‌الله عليه و آله كان خائفاً من التمرد الصريح عن الاسلام والقرآن الكريم لا من ان يذهبوا الى التاويل مع قيام القرينة الداخلية والخارجية على المعنى المراد فجعلت الاية المذكورة واشباهها كآية اكمال الدين فی ضمن الايات الاخر، لان يتمكن

٣٩. دلائل الصدق: ج ٢ ص ٧٢.

المخالف من التأويل، ولا يضطر الى الاعراض الصريح، والتمرد الواضح فالجملة حينئذ تكون معترضة بين الايات الاخرى كما لا يخفى[۴۰].

ولا بأس بذكر بعض الروايات، روى الحاكم عن عبدالله بن جعفر بن ابى‌طالب و صححه انه قال: «لما نظر رسول‌الله (ص) الى الرحمة هابطة قال ادعو الى ادعوا الى فقالت صفية من يا رسول الله؟ قال اهل‌بيتى عليا و فاطمة والحسن والحسين فجيء بهم فالقى عليهم النبى ـ صلى‌الله عليه و آله ـ كساءه ثم رفع يديه ثم قال اللهم هؤلاء آلى فصل على محمد و آل محمد و انزل‌الله، «انما يريدالله ليذهب عنكم‌الرجس اهل‌البيت ويطهركم تطهيرا»[۴۱].

و روى الترمذى فى مناقب اهل‌البيت عن عمر بن ابى‌سلمة «نزلت هذه الآية على النبى ـ صلى‌الله عليه و آله ـ «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل‌البيت و يطهركم تطهيراً» فى‌بيت ام سلمة فدعا النبى (ص) فاطمة و حسناً و حسيناً بكساء و على خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال اللهم هؤلاء اهل‌بيتى فاذهب عنهم‌الرجس و طهرهم تطهيرا، قالت ام سلمة و أنا معهم يا نبى‌الله قال انت على مكانك و أنت الى خير»[۴۲].

و روى احمد بن حنبل عن ام سلمة، أن النبى (ص) جلل على على و حسن و حسين و فاطمة كساء ثم قال: اللهم اهل بيتى و خاصتى اللهم اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، فقالت ام سلمة أنا معهم قال انك الى

۴۰. راجع امامت و رهبرى: ۱۵۲ـ۱۶۱.

۴۱. دلائل الصدق: ج ۲ ص ۶۷.

۴۲. دلائل الصدق: ج ۲ ص ۶۸.

خیر[۴۳].

و روی السیوطی فی الدر المنثور عن ابن مردویه عن ام سلمة «قالت: نزلت هذه الایة فی بیتی «انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل‌البیت و یطهرکم تطهیرا» وفی‌البیت سبعة جبرئیل و میکائیل و علی و فاطمة والحسن والحسین و أنا علی باب البیت قلت یا رسول الله الست من أهل البیت قال: انك الی خیر انك من أزواج النبی[۴۴].

و روی السیوطی ایضا فی‌الدر المنثور... عن ابی‌سعید الخدری «قال رسول‌الله ـ صلی‌الله علیه وآله ـ نزلت هذه الایة فی خمسة فی و فی علی و فاطمة وحسن و حسین «انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس» الایة[۴۵].

و روی الترمذی فی جامعه ان رسول الله ـ صلی‌الله علیه و آله ـ کان من وقت نزول هذه الآیة الی قرب ستة اشهر اذا خرج الی الصلوة یمر بباب فاطمة ثم یقول انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل‌البیت ویطهرکم تطهیرا[۴۶] وفی بعض الروایات کان یقول قبل تلاوة الآیة السلام علیکم اهل‌البیت و رحمة‌الله و برکاته ثم یقول انما یرید الله، الایة.

قال‌ابن أبی‌الحدیدالمعتزلی قدبین رسول‌الله ـ صلی الله علیه و آله ـ عترته من هی لما قال انا تارك فیکم الثقلین فقال و عترتی أهل‌بیتی، و بین فی‌مقام آخر من أهل‌بیته حین طرح علیهم الکساء و قال حین نزل انما یرید الله اللهم هؤلاء اهل‌بیتی فاذهب عنهم الرجس[۴۷]

۴۳ و ۴۴. دلائل الصدق: ج ۲ ص ۶۹.
۴۵. دلائل الصدق: ج ۲ ص ۷۵.
۴۶. غایة المرام: المقصد الثانی ص ۲۹۱، الباب الاول ح ۳۸.
۴۷. غایة المرام: المقصد الثانی ص ۲۹۱، الباب الاول ح ۳۶.

هذه الروايات جملة مما رواه العامة و هو كثير.

و أما الروايات التي روتها الخاصة فهي اكثر واكتفى منها بذكر رواية عن ابن بابويه... عن على عليه‌السلام قال دخلت على رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه و آله ـ فى بيت ام سلمة، وقد نزلت عليه هذه الآية انما يريدالله، ليذهب عنكم الرجس اهل‌البيت و يطهركم تطهيرا، فقال رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه و آله ـ يا على هذه الآية فيك وفي سبطي والائمة من ولدك فقلت يا رسول‌الله وكم الائمة بعدك؟ قال أنت يا على ثم‌الحسن والحسين و بعد الحسين على ابنه و بعد على محمدابنه و بعد محمد جعفر ابنه و بعد جعفر موسى ابنه و بعد موسى على ابنه و بعد على محمد ابنه و بعد محمد على ابنه و بعد على الحسن ابنه والحجة من ولد الحسن هكذا أسماؤهم مكتوبة على ساق العرش فسالت الله تعالى عن ذلك فقال يا محمد هذه الائمة بعدك مطهرون معصومون و اعداؤهم ملعونون[٤٨].

ثم ان معنى الاية بعد ما ذكر واضح و هو أنه تعالى حصر ارادته لاذهاب الرجس والتطهير فى أهل البيت، ومن المعلوم ان هذه الارادة ليست الا ارادة تكوينية، و الا فلا معنى للحصر لان الارادة التشريعية عامة، ولا تختص بقوم دون قوم، فاذا ثبت ان الارادة تكوينية فهي لن تتخلف عن المراد فارادة التطهير مساوقة لطهارة اهل‌البيت، والتعبير بالمضارع لعله لافادة استمرار هذه الارادة التكوينية ثم ان هذه الارادة التكوينية لا تنافى مع اختيارية العصمة عن الذنوب لارادته تعالى طهارتهم مع وساطة اختيارهم كما لا يخفى.

ثم ان طهارتهم ليست بمعنى ازالة الامراض عنهم

٤٨. غاية المرام: المقصد الثانى ص ٢٩٣، الباب الثانى ح ٦.

لانه خارج عن منطق القرآن اذ القرآن ليس كتاباً من الكتب الطبية بل كتاب سماوى نزل لهداية الناس الى السعادة الواقعية فالمقصود هو طهارتهم مما صرح القرآن بكونه رجساً و رجزاً فهم معصومون من كل ذنب سواء كان عملياً أو اعتقادياً أو اخلاقياً فان الرجس يعم كل ذلك.

قال فى الميزان والرجس بالكسر فالسكون صفة من الرجاسة و هى القذارة، والقذارة هيئة فى الشىء توجب التجنب والتنفر منها وتكون بحسب ظاهر الشىء كرجاسة الخنزير قال تعالى: «او لحم خنزير فانه رجس ـ الانعام: ١٤٥» و بحسب باطنه و هو الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر، و آثر العمل السيىء قال تعالى: «واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم و ماتوا وهم كافرون ـ التوبة: ١٢٥» و قال: «ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ـ الانعام: ١٢٥».

و اياً ما كان فهو ادراك نفسانى و اثر شعورى من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيىء.

واذهاب الرجس (واللام فيه للجنس) ازالة كل هيئة خبيثة فى النفس تخطىء حق الاعتقاد والعمل فتنطبق على العصمة الالهية التى هى صورة علمية نفسانية تحفظ الانسان من باطل الاعتقاد و سيىء العمل ـ الى أن قال ـ فمن المتعين حمل اذهاب الرجس فى الآية على العصمة و يكون المراد بالتطهير فى قوله «و يطهركم تطهيرا» ـ وقد اكد بالمصدر ـ ازالة أثر الرجس بايراده ما يقابله بعد اذهاب اصله، ومن المعلوم ان ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو

تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل ـ الى أن قال ـ والمعنى ان الله سبحانه تستمر ارادته ان يخصكم بموهبة العصمة باذهاب الاعتقاد الباطل، و أثر العمل السيىء عنكم اهل البيت و ايراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة[٤٩] فالائمة عليهم السلام هم المعصومون المطهرون وهم عباده المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون كماجاء في الزيارة الجامعة[٥٠].

السابع: ان طاعتهم طاعة الرسول و طاعة الرسول طاعة الله و ذلك واضح لما مر مراراً من أن الامام يقوم مقام النبي صلى الله عليه و آله، فطاعته طاعة الرسول و حيث ان طاعة الرسول طاعة الله بنص قوله تعالى: «من يطع الرسول فقد اطاع الله ـ النساء: ٨٠» فطاعة الامام القائم مقامه أيضاً طاعة الله، فلا يجوز الرد على الامام والراد عليه كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله، و عليه فيجب التسليم لهم والانقياد لامرهم والاخذ بقولهم.

روى الكليني بسند صحيح عن ابي جعفر عليه السلام، انه قال: ذروة الامر و سنامه و مفتاحه و باب الاشياء و رضا الرحمن تبارك و تعالى، الطاعة للامام بعد معرفته، ثم قال: ان الله تبارك و تعالى يقول: «من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا»[٥١].

فاذا ثبت أن اطاعتهم اطاعة الله، فانحل الاشتغال اليقيني بالتكاليف الشرعية في اوامرهم و نواهيهم

٤٩. تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٣٣٠ـ٣٣١.
٤٩. تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٣٣٠ـ٣٣١.
٥١. الاصول من الكافي: ج ١ ص ١٨٥ـ١٨٦.

الشرعية فمن انتهى بنهيهم وامتثل بأمرهم ادى ما عليه، بلا ريب ولا كلام، ومن أعرض عنهم ولم يتوجه الى أوامرهم و نواهيهم بقي التكاليف الشرعية في عهدته، ولم يات بها، الا بما ليس بحجة كالقياس، أو يكون اجتهاداً في مقابل نصهم، مع أن نصهم كنص الرسول و نصه كنص الله، فالائمة كما يكونون في تفصيل الاعتقادات والاخلاقيات والحكم كسفينة نوح، كذلك في الاحكام الشرعية فمن ركب هذه السفينة نجى من الضلالات والشبهات والرذيلات والظلامات و مخالفة التكليف اليقيني ومن تخلف عنها وقع في المهلكات والتمردات والظلامات.

الثامن: ان المصنف قدس‌سره ذهب الى أن المهم ليس في هذه العصور هو اثبات أن الائمة هم الخلفاء الشرعيون و أهل السلطنة الالهية معللا بأن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ و ليس في اثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد، أو يعيد الحقوق المسلوبة الى أهلها.

ولكنه لا يخلو عن النظر فان امر ولاية الائمة عليهم‌السلام ليس مما انقضى زمانه بعد لزوم اعتقادنا بولاية صاحبنا و مولينا المهدى الحجة بن الحسن عليهما‌السلام فمن لم يعتقد الا بالمرجعية العلمية كيف يتولى بامامة مولينا حجة بن الحسن و كيف يتمكن من ان ياتي بما يجب عليه من معرفته بامامته كما نص عليه الروايات الكثيرة منها قوله صلى‌الله عليه و آله من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية.

هذا مضافا الى ان البحث عن ولاية الائمة تفيد كيفية الولاية والحكومة في عصر الغيبة، فان من اعتقد أن الولاية لهم و لنوابهم، فالامر عنده واضح، لان الولاية في عصر الغيبة حق لنوابهم العامة، ومن لم

يعتقد ذلك وقع فى الحيص والبيص كما لا يخفى ولعل مقصود المصنف من ذلك هو المماشاة مع العامة فلاتغفل.

٥- عقيدتنا في حب آل البيت

قال‌الله تعالی: «قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فی القربی - الشوری: ۲۳»

نعتقد انه زيادة على وجوب التمسك بال البيت يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم و مودتهم لأنه تعالى فی‌هذه الآية المذكورة حصر المسئول عليه الناس فی المودة فی القربی.

وقد تواتر عن النبي صلى‌الله عليه و آله أن حبهم علامة‌الايمان، و أن بغضهم علامة النفاق، و أن من أحبهم أحب الله و رسوله، و من أبغضهم أبغض الله و رسوله.

بل حبهم فرض من ضروريات الدين الاسلامی، التی لا تقبل الجدل والشك. وقد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم و آرائهم عدا فئة‌قليلة اعتبروا من اعداء آل‌محمدفنبزوا باسم «النواصب» ای من نصبوا العداوة لال بيت محمد (ص). و بهـذا يعدون مـن المنكرين لضرورة اسلامية ثابتة بالقطع. و المنكر للضرورة‌الاسلامية، كوجوب الصلاة و الزكاة، يعد فی حكم المنكر لاصل الرسالة بل هو على التحقيق منكر للرسالة، و ان أقر فی ظاهر الحال بالشهادتين، و لاجل هذا كان بغض آل محمد عليهم السلام من علامات النفاق و حبهم من علامات الايمان، و لاجلـه أيضاً كـان بغضهم بغضاً لله و لرسوله.

•••

ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم و مودتهم الا لانهم أهل للحب والولاء من ناحية قربهم اليه سبحانه و منزلتهم عنده، و طهارتهم من الشرك و المعاصی، و من كل ما يبعد عن دار كرامته و ساحة رضاه.

ولا يمكن أن نتصور أنه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصی، أو لا يطيعه حق طاعته، فانه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة، و ليس

عنده الناس بالنسبة اليه الا عبيداً مخلوقين على حد سواء، و انما اكرمهم عندالله أتقاهم، فمن أوجب حبه على الناس كلهم لابد أن يكون أتقاهم و أفضلهم جميعاً، والا كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله يفضل بعضاً على بعض فى وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق و كرامة (١).

---

(١) يقع الكلام فى مقامات.

الاول: فى معنى المودة و المحبة، قال فى القاموس الود و الوداد الحب و يثلثان كالودادة و المودة و قال فى المصباح المنير وددته اوده من باب تعب وداً بفتح الواو و ضمها احببته و الاسم المودة انتهى موضع الحاجة منه، و لكن فى كتاب الامامة و الولاية فى القرآن أن المودة المحبة المستتبعة للمراعاة والتعاهد ولعلها لاشتمالها على ذلك لايستعمل فى محبة العباد لله تعالى انتهى.

و فيه أنه لم أجد ذلك فى كتب اللغة، و لعل هذا القيد مما يقتضيه حقيقة المحبة اذ المحبة الواقعية اثرها هوالمراعاة والتعاهد، نعم ربما يقال: ان المودة هى التى لها الخارجية استناداً بقوله تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الاخر يوادون من حاد الله و رسوله (سورة المجادلة / ٢٢) بقرينة مقابلة الموادة للمحادة التى لها الخارجية، و لكنه غير تام لان المودة لا تختص بذلك لاستعمالها فى الامر القلبى أيضاً لقوله تعالى: «ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ـ مريم: ٩٦» فالظاهر هو عدم الفرق بين المودة و المحبة.

الثاني: ان المحبة والوداد فى الله كالبغض فى الله من الامور التى ندب الاسلام الاجتماع اليها، و أكد

عليه و ورد فی ذلك روايات كثيرة، منها قول النبی صلی‌الله عليه و آله «ود المؤمن للمؤمن فی الله من اعظم شعب الايمان الا و من أحب فی الله و أبغض فی الله، و أعطی فی الله، و منع فی الله، فهو من أصفياء الله».

و سأل ـ صلی‌الله عليه و آله ـ عن أصحابه «أی عری الايمان أوثق؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم و قال بعضهم: الصلوة و قال بعضهم: الزكاة، و قال بعضهم: الصيام و قال بعضهم: الحج و العمرة، و قال بعضهم: الجهاد فقال رسول الله ـ صلی‌الله عليه وآله ـ: لكل ما قلتم فضل و ليس به، ولكن أوثق عری الايمان الحب فی‌الله و البغض فی الله و توالی (تولی) اولياء الله و التبری من أعداء الله»[1].

قال الفاضل النراقی قدس سره فی تفسير هذه المحبة و الوداد فی الله، أن يحبه لله و فی الله، لاينال منه علماً أو عملاً، أو يتوسل به الی امر وراء ذاته، و ذلك بأن يحبه من حيث انه متعلق بالله، و منسوب اليه، اما بالنسبة العامة التی ينتسب بها كل مخلوق الی الله، أو لاجل خصوصية النسبة أيضا، من تقربه الی الله، و شدة حبه و خدمته له تعالی. ولا ريب فی أن من آثار غلبة الحب ان يتعدی من المحبوب الی كل من يتعلق به ويناسبه، ولو من بعد، فمن أحب انساناً حباً شديداً، أحب محب ذلك الانسان، و أحب محبوبه، و من يخدمه و من يمدحه، و يثنی عليه او يثنی علی محبوبه، و أحب أن يتسارع الی رضا محبوبه كما قيل:

امر علی الديار ديار ليلی — اقبل‌ذا الجدار وذا الجدارا
وماحب الديار شغفن‌قلبی — ولكن حب من سكن الديارا

١. الاصول من الكافی: ج ٢ ص ١٢٥ـ١٢٦.

و أما البغض فى الله فهو أن يبغض انسان انساناً لاجل عصيانه لله و مخالفته له تعالى، فان من يحب فى الله، لابد و أن يبغض فى الله، فانك ان احببت انساناً لانه مطيع لله و محبوب عنده، فان عصاه لابد أن تبغضه، لانه عاص له و ممقوت عندالله، قال‌عيسى عليه السلام: «تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى، و تقربوا الى الله بالتباعد عنهم، و التمسوا رضا الله بسخطهم»[٢].

و هذا من مقتضيات الدين و الايمان، و كلما ازداد دين امرء زيد حبه فى الله، و بغضه فى الله و كلما ضعف ايمان امرء نقصت فيه تلك المحبة و البغضة، و اليه يشير ما رواه فى الكافى بسند موثق عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحب و البغض، امن الايمان هو؟ فقال: و هل الايمان الا الحب و البغض، ثم تلاهذه الاية: «حبب اليكم الايمان و زينه فى قلوبكم و كره اليكم الكفر و الفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون»[٣] و قال ايضاً: «كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له»[٤].

نعم ربما يجتمع فى بعض آحاد المسلمين موجبات الحب فى الله، مع موجبات البغض فى الامور الشخصية قصوراً وتقصيراً، فعلى المؤمن الخبير أن لا يبتلى بترك محبته فى الله لان الايمان يقوى على الامور الشخصية، و المنافع الدنيوية، فمقتضى الايمان هو كونه محبوباً من حيث ايمانه، و عروة الايمان لا تنقض بموجبات البغض، فى الامور الشخصية، و من‌المعلوم أن الاجتماع الاسلامى مبنى على هذا الاساس‌القويم.

٢. راجع جامع السعادات: ج٣ ص ١٨٦_١٨٧.
٣. الاصول من الكافى: ج٢ ص ١٢٥.
٤. الاصول من الكافى ج٢ ص ١٢٧.

الثالث: فی‌وجوب المحبة والوداد لاهل البيت، و قد عرفت أن المحبة و الوداد بالنسبة الى أهل الايمان من مقتضيات الايمان، و من الوظايف الاخلاقية لكل مؤمن، و بالجملة فضيلة من الفضايل، ولا وجوب لها، ولكن محبة أهل البيت و ودادهم من أوجب الواجبات جعلها الله و رسوله أجر الرسالة «قل لا اسئلكم عليه أجراً الا المودة فی القربى ـ الشورى: ٢٣» و لذا سأل الاصحاب عن رسول الله عن تعيين القربى بعد الفراغ عن وجوب المودة فيهم كما روى عن ابن عباس أنه قال: «لما نزلت الاية «قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة فی القربى» قلت: يا رسول الله من قرابتك الذين افترض الله علينا مودتهم؟ قال: على و فاطمة و ولدهما ثلاث مرات يقولها»[٥].

و أكد الائمة عليهم السلام على وجوب المحبة و اليك بعض التأكيدات قال محمد بن مسلم: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «انالرجل ربما يحب الرجل، و يبغض ولده، فابى الله عزوجل الا أن يجعل حبنا مفترضاً أخذه من أخذه، و تركه من تركه واجباً، فقال: «قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فی القربى»[٦] و قال ابوجعفر عليه‌السلام فی ذيل الاية المباركة: «هی والله فريضة من الله على العباد لمحمد صلى الله عليه وآله فی أهل بيته»[٧].

و قال الطبرسی ـ قدس سره ـ: «وصح عن الحسن بن على عليهما السلام أنه خطب الناس فقال فی خطبته انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال «قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة فی

٥. بحارالانوار: ج٢٣ ص ٢٤١.
٦ و ٧. بحارالانوار: ج٢٣ ص ٢٣٩.

القربى و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» و اقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»[٨].

و قال العلامة ـ قدس سره ـ فى كتاب كشف‌الحق: روى الجمهور فى الصحيحين و احمدبن حنبل فى‌مسنده، و الثعلبى فى تفسيره، عن ابن عباس رحمه‌الله قال: لما نزلت «قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى» قالوا يا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال على و فاطمة و ابناهما» و وجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة[٩].

قال فى دلائل الصدق بعد نقل الروايات عن طرق العامة فى تفسير الاية المباركة: و يؤيدها الاخبار المستفيضة الدالة على وجوب حب أهل البيت و آنه مسئول عنه يوم القيامة[١٠].

قال فى «الغدير» و اما حديث أن الاية نزلت فى‌على و فاطمة و ابنيهما، و ايجاب مودتهم بها فليس مختصاً بآية الله العلامة الحلى ولا بامته من الشيعة بل اتفق المسلمون على ذلك الا شذاذ من حملة الروح الاموية نظراء ابن تيمية، و ابن كثير، ثم ذكر اسامى جملة من الحفاظ و المفسرين من أعلام القوم الذين نقلوا نزول الاية فيهم، وهم خمسة و اربعون و فيهم الامام أحمد والحسكانى، و الثعلبى، و النيسابورى و الزمخشرى، و البيضاوى، و الشبلنجى، و الطبرى، و الرازى، و النسائى، و السيوطى، الى أن قال وقول الامام الشافعى فى ذلك مشهور قال:

٨. بحارالانوار: ج٢٣ ص ٢٣٢.
٩. راجع احقاق الحق: ج٣ ص ٣، بحارالانوار: ج٢٣ ص ٢٣٢.
١٠. دلائل الصدق: ج٢ ص ٧٧.

یا اهل بیت رسول الله حبکم
فرض من‌الله فی‌القرآن انزله
کفا کم من عظیم القـدر آنکم
من لم یصل علیکم لا صلاة له

ذکر هما له ابن حجر فی‌الصواعق ۸۷، الزرقانی‌فی شرح المواهب الخ[11].

فوجوب حب اهل البیت و مودتهم زائداً علی وجوب التمسك بهم أمر واضح فی الاسلام، و یؤید وجوبـه مضافاً الی ما ذکر من الاخبار و الایات، مـا أشار الیه المصنف قدس سره فی ضمن کلامه من أنه قد تواتر عن النبی صلی الله علیه وآله أن حبهم علامة الایمان، و أن بغضهم علامة النفاق، و أن من أحبهم أحب الله و رسوله، و من أبغضهم أبغض الله و رسوله و قـد دلت الاخبار علی ذلك بعبارات مختلفة.

وقد تصدی العلامة آیةالله الامینی ـ قدس سره ـ فی کتابه الغدیر لنقل جملة منها عن طرق العامة و نقل عن امیر المؤمنین علیه السلام انه قال: «والذی فلقـ الحبة و برأ النسمة انه لعهد النبی الامی الـی: انـه لایحبنی الامؤمن، ولا یبغضنی الا منافـق» و اشار الی مصادر هذا الخبر، و ذکر ما یقرب الثلثین من الکتب المعروفة للعامة و فیها صحیح مسلم و مسند احمد و سنن ابن ماجة و ریاض الطبری و استیعاب ابن عبدالبر و تذکرة سبط ابن الجوزی و فراید الحموینی و صواعق ابن حجر الهیثمی و فتح الباری لابن حجر العسقلانی و غیر ذلك فراجع[12].

ثم نقل صورة ثانیة عن امیرالمؤمنین انه قال لعهد

۱۱. راجع کتاب الغدیر: ج۳ ص ۱۷۲ـ۱۷۳.
۱۲. راجع الغدیر: ج۳ ص ۱۸۳.

النبی ـ صلی‌الله علیه و آله ـ الی لا یحبك الا مؤمن، ولایبغضك الا منافق. و اشار الی مصادره الکثیرة و نقل تصریحهم بصحة الحدیث، و ثبوته، و فی ضمن تلك التصریحات ان ابا نعیم ذکر فی الحلیة ۴ ص ۱۸۵ ان هذا حدیث صحیح متفق علیه و ان ابن عبدالبر قال فی الاستیعاب ۳ ص ۳۷: روته طائفة من الصحابة، و ان ابن ابی الحدید قال فی ج ۱ ص ۳۶۴: قد اتفقت الاخبار الصحیحة التی لا ریب فیها عندالمحدثین، علی ان النبی قال‌له لا یبغضك الامنافق ولایحبك الامؤمن[۱۳].

ثم ذکر صوره الاخری عنه و عن ام سلمة و اشار الی مصادرها و هی کثیرة وقال فی الختام هذا ما عثرنا علیه من طرق هذا الحدیث، و لعل مافاتنا منها اکثر، و لعلك بعد هذه کلها لا تستریب فی انه لوکان هناك حدیث متواتر یقطع بصدوره عن مصدر الرسالة فهو هذا الحدیث، او انه من اظهر مصادیقه کما انك لا تستریب بعد ذلك کله ان امیرالمؤمنین ـ علیه السلام ـ بحکم هذا الحدیث الصادر، میزان الایمان، و مقیاس الهدی، بعد رسول الله ـ صلی الله علیه و آله ـ و هذه صفة مخصوصة به علیه السلام، و هی لا تبارحها الامامة المطلقة، فان من‌المقطوع به ان احدا من‌المؤمنین لم یتحل بهذه المکرمة، فلیس حب ای احد منهم شارة ایمان، ولا بغضه سمة نفاق، و انماهو نقص فی‌الاخلاق و اعواز فی الکمال، مالم تکن البغضاء لایمانه[۱۴] و فی هذا کفایة، ولا حاجة الی نقل سایر الایات و الروایات، الدالة علی لزوم محبتهم و بذلك اتضح دعوی المصنف ان حب اهل البیت فرض من ضروریات الدین الاسلامی

۱۳. راجع الغدیر: ج۳ ص ۱۸۴.
۱۴. راجع الغدیر: ج۳ ص ۱۸۴ـ۱۸۶.

التي لا تقبل الجدل والشك و قد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم و آرائهم.

ثم لايذهب عليك ان المحبة الواقعية لهم لاتجتمع مع المحبة لاعدائهم، لان من احب شخصاً احب احبائه و ابغض اعداءه و الا فليس دعوى المحبة الا لقلقة في اللسان.

الرابع: في المراد من القربى و قد عرفت تظافر الروايات و تواترها بأن المراد منه في الاية المباركة هو اهل البيت و اهل الكساء، و بعد ذلك لا وجه لحمل القربى على ان المقصود هو قرابة الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ مع مشركي قريش، و ان الخطاب لقريش و الاجر المسئول هو مودتهم للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لقرابته منهم معللا بأن قريش كانوا يكذبونه ويبغضونه لتعرضه لالهتهم، على ما في بعض الاخبار فأمر ـ صلى الله عليه و آله ـ ان يسألهم ان لم يؤمنوا به فليودوه لمكان قرابته منهم، ولا يبغضوه، ولا يؤذوه فالقربى مصدر بمعنى القرابة و في للسببية و ذلك لانه اجتهاد في مقابل النص هذا مضافاً الى ما اشار اليه في دلائل الصدق من انه لا معنى لسؤال الاجر على التبليغ ممن لم يعترف له بالرسالة لان المقصود على هذا التفسير هو السؤال من الكافرين[١٥].

و أوضح ذلك في الميزان حيث قال: ان معنى الاجر انما يتم اذا قوبل به عمل يمتلكه معطى الاجر فيعطى العامل ما يعادل ما امتلكه من مال و نحوه، فسؤال الاجر من قريش، و هم كانوا مكذبين له كافرين بدعوته، انما كان يصح على تقدير ايمانهم به ـ صلى الله عليه و آله ـ لانهم على تقدير تكذيبه والكفر بدعوته لم يأخذوا

١٥. دلائل الصدق: ج٢ ص ٧٨.

منه شيئا حتى يقابلوه بالاجر، و على تقدير الايمان به، والنبوة احد الاصول الثلاثة فى الدين لا يتصور بغض حتى تجعل المودة اجرأ للرسالة و يسأل.

و بالجملة لا تحقق لمعنى الاجر على تقدير كفر المسئولين ولا تحقق لمعنى البغض على تقدير ايمانهم حتى يسألوا المودة، وهذا الاشكال وارد حتى على تقدير اخذ الاستثناء منقطعا، فأن سئوال الاجر منهم على اى حال انما يتصور على تقدير ايمانهم، والاستدراك على الانقطاع انما هو عن الجملة بجميع قيودها فأجد التامل فيه[۱۶].

و اليه يشير قوله فى دلائل الصدق فى رد ذلك المعنى على تقدير انقطاع الاستثناء فان المنقطع عبارة عن اخراج مالولا اخراجه، لتوهم دخوله فى حكم المستثنى منه نظير الاستدراك وانت تعلم ان المستثنى الذى ذكره الفضل اجنبى عما قبله بكل وجه، فلا يتوهم دخوله فى حكمه حتى يستثنى منه[۱۷].

و الاضعف مما ذكر هو حمل القربى على التقرب من الله بطاعة فانه مضافاً الى كونه اجتهاداً فى مقابل النص، لا يساعده اللغة، اذ القربى لم يأت فى اللغة بمعنى التقرب، قال فى القاموس القربى القرابة و هو قريبى و ذوقرابتى، و مما ذكر يظهر ما فى تفسير القرطبى حيث مال اليه و اعتمد على الخبر الشاذ فى مقابل الاخبار المتواترة.

ثم ان القربى مختص بأهل بيته بعد تعينه فى الاخبار قال فى دلائل الصدق: قول الفضل ــ و ظاهر الاية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبى ــ صلى الله

۱۶. تفسير الميزان: ج۱۸ ص ۴۳ــ۴۴.
۱۷. دلائل الصدق: ج۲ ص ۷۸.

عليه و آله ـ باطل ... لان المعلوم من حال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ الاعتناء بعلى و فاطمة والحسنين لا من ناوأه من أقربائه ولم يسلموا الابحدود السيوف والغلبة، و للقرينة العقلية اذ لايتصور أن يكون ود من لم يواد الله و رسوله اجراً للتبليغ و الرسالة، فلابد ان يكون المراد مودة من يكمل الايمان بمودته، و تحصل السعادة الابدية بموالاته، ولذا قال سبحانه فى آية اخرى «قل ما سألتكم من اجر فهو لكم» بل بلحاظ شأن النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ انما يعد قرابة له، من هومنه، لامن بان عنه معنى و منزلة، ولذا قال تعالى لنوح: «انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح» انتهى موضع الحاجة[18].

وقيل ان الاية مكية لانها فى سورة الشورى مع ان الحسنين و لدا فى المدينة و أجاب عنه فى الامامة و الولاية بان هذا الاشكال ضعيف، فانه قداكد غير واحد من ائمة هذا الفن نزول الاية فى المدينه.

على اننا لوسلمنا كونها مكية فما المانع فى ذلك، مع أنها نظير غيرها من الايات الكريمة التى سيقت لبيان قضية حقيقة، لا خارجية، فهى تصبح فعلية اذا وجد من تنطبق عليه[19].

و أجاب عنه فى الغدير أيضاً بأن دعوى كون جميع سورة الشورى مكية تكذبها استثناؤهم قوله تعالى: ام يقولون افترى على الله كذبا ـ الى قوله ـ خبير بصير. و هى اربع آيات. و استثناء بعضهم قوله تعالى: والذين اذا اصابهم البغى ـ الى قوله ـ من سبيل. و هى عدة آيات فضلا عن آية المودة.

و نص القرطبى فى تفسيره ج ١٦ ص ١، و

١٨. دلائل الصدق: ج٢ ص ٧٨ـ٧٩.
١٩. الامامة والولاية: ص ١٦٧.

النيسابورى فى تفسيره، والخازن فىتفسيره ج ۴ ص ۴۹، والشوكانى فى «فتح القدير» ج ۴ ص ۵۱۰، و غيرهم عن ابن‌عباس و قتادة علـى أنها مكية الا اربع آيات، اولها: قل لا اسألكم عليه اجراً[۲۰]ــ الى ان‌قالــو أما ان تزويج على بفاطمة‌عليهما السلام كان من حوادث العهد المدنى، وقد ماشينا الرجل (المستشكل) علـى نزول الاية فى مكـة، فانه لا ملازمة بين اطباق الاية بهما و بأولادهما، و بين تقدم تزويجهما على نزولها كما لامنافاة بينه وبين تأخر وجود اولادهما على فرضه، فان مما لا شبهة فيه كون كل منهما من قربى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله بالعمومة و البنوة، و اما اولادهما فكان من المقدر فى العلم الازلى ان يخلقوا منهما، كما أنه قد قضى بعلقة التزويج بينهما، وليس مــن شرط ثبوت الحكم بملاك عام يشمل الحاضر و الغابر وجـود موضوعه الفعلى بل انما يتسرب اليه الحكم مهما وجد، ومتى وجد، وانى وجد.

على أن من الممكن ان تكون قد نزلت بمكة فــى حجة الوداع، و على قد تزوج‌بفاطمة و ولد الحسنان ولا ملازمة بين نزولها بمكة، و بين‌كونه قبل‌الهجرة، ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق»[۲۱]

ثم‌القربى لا ينحصر فى على و فاطمة و الـحسنين ــ عليهم‌السلام ــ بل يشمل الائمة كلها دون غيرهم كما نص عليه فى‌الاحاديث و منها ما فى‌الكافى عن ابى‌جعفر ــ عليه‌السلام ــ فى قوله تعالى: «قل لا اسئلكم عـليه اجراً الاالمودة فى‌القربى» قال: هم‌الائمة ـعليم‌السلام ـ. و منها ما فى روضة الكافى عن ابى‌عبدالله ــ عليه

۲۰. الغدير: ج۳ ص ۱۷۲ـ۱۷۳.
۲۱. الغدير: ج۳ ص ۱۷۳ـ۱۷۴.

السلام ـ قال: ما یقول أهل البصرة فی هذه الآیة: قل لا اسألکم علیه اجرا الا المودة فی القربی؟ قلت: جعلت فداك انهم یقولون انها لا قارب رسول الله ـ صلی الله علیه و آله ـ قال: کذبوا انما نزلت فینا خاصة أهل البیت فی علی و فاطمة و الحسن و الحسین و أصحاب الکساء ـ علیهم السلام ـ[۲۲].

الخامس: فی دلالة وجوب المحبة علی قرب القربی الی الله و طهارتهم من الشرك و المعاصی، و من کل ما یبعد عن دار کرامته، و ساحة رضاه، و ذلك واضح، لما فی المتن و قریب منه ما فی دلائل الصدق حیث قال: و هی (ای الایة) تدل علی أفضلیتهم وعصمتهم، و أنهم صفوة الله سبحانه، اذ لولم یکونوا کذلك لم تجب مودتهم دون غیرهم ولم تکن مودتهم بتلك المنزلة التی ما مثلها منزلة لکونها أجراً للتبلیغ و الرسالة الذی لا أجر ولا حق یشبهه، ولذا لم یجعل الله المودة لاقارب نوح و هود أجراً لتبلیغهما[۲۳].

السادس: ان ظاهر المصنف أن بغض آل محمد موجب للخروج عن الایمان لاستلزامه لانکار الضرورة الاسلامیة، لان وجوب حبهم من ضروریات الاسلام، ولکن مقتضی ما ذکر هو عدم کونه کذلك لولم یلتفت الی کونه من الضروریات وانکره، مع ان ظواهر بعض الاخبار هو خروج المنکر المبغض عن الایمان ولو لم یکن عن التفات الی کونه من الضروریات، و لعله من جهة أن البغض المذکور ملازم لعدم المعرفة بالائمة علیهم السلام، وقد

۲۲. تفسیر نورالثقلین: ج ۴ ص ۵۷۱ـ۵۷۳ نقلا عن الکافی و روضته.
۲۳. دلائل الصدق: ج۲ ص ۷۹.

عرفت تصريح النصوص بأن عدم المعرفة بهم يوجب ميتة جاهلية.

و اليك بعض هذه الروايات الدالة على خروج المبغض عن الايمان منها: ما رواه الحافظ الحاكم الحسكانى عن ابى امامة الباهلى قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ ان الله خلق الانبياء من اشجار شتى و خلقت و على (كذا) من شجرة واحدة فأنا أصلها و على فرعها والحسن والحسين ثمارها و أشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا و من زاغ هوى ولو أن عبداً عبدالله بين الصفا و المروة ألف عام ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالى ثم لم يدرك محبتنا أكبه على منخريه فى النار ثم قرأ «قل لا اسألكم عليه» الاية[٢٤].

و منها: ما رواه فى تفسير القرطبى عن الثعلبى أنه قد قال النبى ـ صلى الله عليه و آله وسلم ـ من مات على حب آل محمد مات شهيداً و من مات على حب آل محمد، جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله و من مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة، و من مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى، ثم قال القرطبى قلت و ذكر هذا الخبر الزمخشرى فى تفسيره بأطول من هذا، فقال: وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان ألا و من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر و نكير ألا و من مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة ألا و من مات فى حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة

٢٤. شواهد التنزيل: ج٢ ص ١٤١.

الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله الا و من مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة[٢٥].

و الى غير ذلك من الروايات الواردة فى المقامات المختلفة مثل ما ورد فى تفسير قوله: «وقفوهم انهم مسئولون .ـ الصافات: ٢۴».

السابع: ان المحبة والوداد بالنسبة اليهم فى هذه الآية لعلها ليست الا لتحكيم الاتباع عنهم اذ الاتباع اذا قرن بالمحبة كان أتم و أسهل، ألا ترى أن المحبة العلوية والحسينية جذبت كثيراً من الآحاد والنفوس نحو العبادة والتعبد والجهد والجهاد والتضيحة والفداء فالدعوة الى المحبة والوداد دعوة فى الحقيقة الى العمل والاتباع.

قال فى كتاب الامامة والولاية ان هذا الاجر المطلوب فى هذه الآية الكريمة، هو فى الواقع من أروع ما يعود على الامة بالخير، و يرتبط بمسيرتها و مستقبلها و قيادتها، حيث يشدها الشد العاطفى الواعى الى القيادة مقربا بذلك الشد العقائدى بها، و اذا اقترنت العقيدة بالعاطفة المبنية على أساسها أمكن ضمان قيام القائد بمهماته التاريخية الكبرى الملقاة على عاتقه فى مجال تربية الانسانية ككل و هدايتها الى شواطىء الكمال، فهذا الاجر المسئول هو فى الواقع تعليم اجتماعى رائع لصالح الامة نفسها و ليس أجراً شخصياً للرسول صلى الله عليه و آله بعد أن كان أشد الناس اخلاصا

٢٥. تفسير القرطبى: الجزء السادس عشر ص ٢٢ـ٢٣.

للحقيقة، و بعد أن كان القرآن يعلن: «وما تسألهم عليه من أجر ـ يوسف: ١٠٤» «وما اسألكم عليه من اجر ـ الشعراء: ١٤٥» و قد اوضح القرآن هذه الحقيقة فى قوله تعالى على لسان نبيه «وما سألتكم من أجر فهو لكم ان اجرى الا على الله ـ سبأ: ٤٧» و كذا يشير اليه قوله تعالى: «قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ـ الفرقان: ٥٧»[٢٦] ولذا انكر الائمة ـعليهم‌السلام ـ من ترك الطاعة مغروراً بمحبة اهل‌البيت كما نقل جابر عن ابى‌جعفر ـعليه‌السلام ـ قال: قال لى: «يا جابر ايكتفى من ينتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت، فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله و أطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة و كثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة والغارمين والايتام و صدق الحديث و تلاوة القرآن وكف‌الالسن عن‌الناس الا من خير و كانوا امناء عشائرهم فى‌الاشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول: احب علياً و اتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا فلو قال انى احب رسول‌الله فرسول الله ـصلى‌الله عليه و آله ـ خير من على ـعليه‌السلام ـ ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه اياه شيئاً، فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله و بين احد قرابة، احب العباد الى الله عزوجل واكرمهم عليه اتقاهم و اعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب الى الله تبارك و تعالى الا بالطاعة وما معنا برائة من النار، ولا على الله لاحد من

٢٦. الامامة والولاية: ص ١٦٤.

حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولى ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع»[٢٧].

٢٧. الاصول من‌الكافي: ج٢ ص ٧٤.

۶ـ عقيدتنا فى الأئمة

لا نعتقد فى ائمتنا ما يعتقده الغلاة والحلوليون (كبـرت كلمة تخرج من افواههم). بل عقيدتنا الخالصة أنهم بشر مثلنا، لهم مالنا، و عليهم ما علينا، و انما هم عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بكرامته وحباهم بولايته اذ كانوا فى اعلى درجات الكمال اللائقة فى البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة و جميع الاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة لا يدانيهم أحد من البشر فيمـا اختصوا به. وبهذا استحقوا أن يكونوا ائمة وهداة و مرجعاً بعد النبى (ص) فى كل مـا يعود للناس من أحكام و حكم وما يرجع للدين من بيان و تشريع وما يختص بالقرآن من تفسير و تأويل.

قال امامنا الصادق عليه‌السلام: «ما جاءكم عنا مما يجـوز أن يكون فى المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه و ردوه الينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون فى المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه الينا»(۱).

---

(۱) ولا يخفى عليك ـ بعد ما عرفت من أن ما سوى الله تعالى ليس الا ممكنا ـ ان اعتقاد الالوهية فى الائمة أو الانبياء ـ عليهم الصلوات والسلام ـ باطل جداً، ولذا انكر الائمة ـ عليهم السلام ـ على الغالين أشد الانكار قال الصادق ـ عليه السلام ـ: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فان الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله و يدعون الربوبية لعباد الله، والله ان الغلاة لشر من اليهود و النصارى والمجوس، والذين اشركوا ـ الحديث[1]

۱. بحارالانوار: ج۲۵ ص ۲۶۵.

و قال مولينا اميرالمؤمنين ـعليه‌السلامـ: اللهم انى برىء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى اللهم اخذلهم ابداً ولا تنصر منهم احداً[٢] و قال رسول الله ـصلى الله عليه و آلهـ: لا ترفعونى فوق حقى‌فان الله تعالى اتخذنى عبداً قبل ان يتخذنى نبياً[٣] و قال اميرالمؤمنين ـعليه‌السلامـ: اياكم والغلو فينا قولوا انا عبيد مربوبون، و قولوا فى فضلنا ما شئتم[٤] قال سدير: قلت لابى عبدالله ـعليه‌السلامـ انّ‌قوما يزعمون انكم الهة يتلون بذلك علينا قرآنا، و هو الذى فى‌السماء اله وفى‌الارض اله فقال يا سدير سمعى و بصرى و بشرى و لحمى و دمى و شعرى من هؤلاء براء و برىء الله منهم، ما هؤلاء على دينى ولا على دين آبائى والله لا يجمعنى الله و اياهم يوم القيمة الا و هو ساخط عليهم[٥].

وهكذا بعد ما عرفت من أن كل شىء يحتاج الى الله فى أصل وجوده و حياته و قدرته و علمه و غير ذلك لا يصح اعتقاد الاستقلال بالنسبة الى احد فى أمر من الامور، و يكون غلواً كما ورد فى‌التوقيع عن صاحب الزمان ـصلوات‌الله عليهـ رداً على الغلاة «يا محمدبن على تعالى الله عزوجل عما يصفون سبحانه و بحمده ليس نحن شركائه فى علمه ولا فى‌قدرته»[٦] قال العلامة المجلسى ـقدس سرهـ بيان: المراد من نفى علم‌الغيب عنهم انهم لا يعلمونه من غير وحى والهام، واما ماكان من ذلك فلا يمكن نفيه اذ كانت عمدة معجزات الانبياء

٢. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٦٦.
٣. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٦٥.
٤. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٧٠.
٥. الاصول من الكافى: ج١ ص ٢٦٩.
٦. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٦٦.

والاوصياء ـعليهم السلامـ الاخبار عن المغيبات وقد استثناهم الله تعالى فى قوله: «الا من ارتضى من رسول»[٧].

و ايضاً بعد ما عرفت من ان النبوة ختمت بوجود نبينا محمد ـصلى الله عليه و آلهـ فلا مجال لاعتقاد النبوة فى الائمة ـعليهم السلامـ قال الصادق ـ عليه السلامـ: من قال باننا انبياء فعليه لعنة الله ومن شك فى ذلك فعليه لعنة الله[٨].

٧. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٦٨.
٨. بحارالانوار: ج٢٥ ص ٢٩٦.

٧ـ عقيدتنا في أن الامامة بالنص

نعتقد ان الامامة كالنبوة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الامام المنصوب بالنص اذا أراد أن ينص على الامام من بعده، و حكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هادياً و مرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه او ترشيحه او انتخابه لان الشخص الذى له من نفسه القدسية استعداد لتحمل اعباء الامامة العامة و هداية البشر قاطبة يجب أن لا يعرف الا بتعريف‌الله ولا يعين الا بتعيينه.

و نعتقد أن النبى صلى‌الله عليه و آله و سلم نص على خليفته والامام فى‌البرية من بعده، فعين ابن عمه علی‌بن ابی‌طالب أميراً للمؤمنين، و أميناً للوحى، و اماماً للخلق، فى عدة مواطن، و نصبه واخذ البيعة له بامرة المؤمنين يوم الغدير، فقال: ألا من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه كيف ما دار.

ومن أول مواطن النص على امامته قوله حينما دعا أقرباءه الادنين و عشيرته الاقربين فقال «هذا اخى و وصيى و خليفتى من بعدى فاسمعوا له و اطيعوا» و هو يومئذ صبى لم يبلغ الحلم و كرر قوله له فى‌عدة مرات: «انت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى» الى غير ذلك من روايات و آيات كريمة دلت على ثبوت الولاية العامة له كآية (المائدة / ٦٠) «انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة وهم راكعون» وقد نزلت فيه عند ما تصدق بالخاتم وهو راكع ولا يساعد وضع هذه الرسالة على استقصاء كل ما ورد فى امامته من الآيات والروايات ولا بيان وجه دلالتها.

ثم انه عليه‌السلام نص على امامة الحسن والحسين والحسين

نص على امامة ولده على زين‌العابدين و هكذا اماما بعد امام ينص المتقدم منهم على‌المتاخر الى آخرهم، وهو أخيرهم على ماسياتى(١).

---

(١) يقع الكلام فى امور:

الاول: انه قد مضى البحث عن كون أمر تعيين النبى بيد الله او بيد النبى الآخر الذى عينه الله فانه لا يقول الا عن الله، و حيث ان الامامة كالنبوة عندنا الا فى تلقى الوحى فالامر فيه واضح، فلا مجال لانتخاب الناس و تعيينهم، كما لايخفى، ولذلك قال فى‌العقائد الحقة فمن قال بلزوم بعث‌النبى ـصلى‌الله عليه و آلهـ من جانب الله تبارك و تعالى، لابد له من القول بلزوم نصب الامام من جانب الله تبارك و تعالى، و ليس هذا من قبيل نصب السلطان أو نصب السلطان ولى‌العهد لان نصب الناس أو نصب السلطان راجع الى نصب من يلى امر الناس من جهة معاشهم، وما يكون مربوطا بدنياهم ولا ربط له بامور الاخرة، فنصب الامام من جانب الناس، كنصب الناس‌من يكون طبيباً لهم يعالجهم من دون أن يكون عالماً بعلم الطب[1].

و اشار اليه المحقق الطوسى ـقدس‌سرهـ حيث قال: «والعصمة تقتضى النص و سيرته عليه‌السلام» و قال العلامة الحلى ـقدس‌سرهـ فى شرحه «اقول: ذهبت الامامية خاصة الى أن الامام يجب أن يكون منصوصاً عليه، و قالت العباسية ان الطريق الى تعيين الامام، النص أو الميراث، و قالت الزيدية تعيين الامام بالنص أو الدعوة الى نفسه، و قال باقى المسلمين الطريق‌انما هو النص أو اختيار أهل الحل والعقد.

١. كتاب العقائد الحقة: ص ١٨.

والدليل على ما ذهبنا اليه و جهان، الاول: انا قد بينا انه يجب أن يكون الامام معصوماً، والعصمة أمر خفى لا يعلمها الا الله تعالى، فيجب أن يكون نصبه من قبله تعالى لانه العالم بالشرط دون غيره.

الثانى: ان النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتى انه ـ عليه السلام ـ أرشدهم الى اشياء لا نسبة لها الى الخليفة بعده، كما أرشدهم فى قضاء الحاجة الى امور كثيرة مندوبة و غيرها من الوقائع، و كان ـ عليه السلام ـ اذا سافر عن المدينة يوماً أو يومين استخلف فيها من يقوم بأمر المسلمين و من هذه حاله كيف ينسب اليه اهمال امته، و عدم ارشادهم فى أجل الاشياء و أسناها و أعظمها قدراً و أكثرها فائدة و أشدهم حاجة اليها و هو المتولى لامورهم بعده فوجب من سيرته عليه السلام نصب امام بعده والنص عليه و تعريفهم اياه و هذا برهان لمى[٢].

هذا كله ما يقضيه الدليل العقلى والاعتبار، و يؤيده الاخبار والروايات منها: ما عن الرضا ـ عليه السلام ـ فى ضمن حديث ان الامامة أجل قدراً و اعظم شأناً و أعلى مكاناً و أمنع جانباً و أبعد غوراً من ان يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا اماماً باختيارهم، الحديث[٣].

ومنها ما عن الصدوق عن ابى عبدالله ـ عليه السلام ـ يقول: اترون الامر الينا نضعه حيث نشاء كلا والله انه لعهد معهود من رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ الى رجل فرجل حتى ينتهى الى صاحبه[٤] وغير ذلك من

٢. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٦ الطبع الحديث.
٣. الاصول من الكافى: ج١ ص ١٩٨.
٤. ولاية الفقيه: ج١ ص ٣٩٢، نقلا عن بحارالانوار: ج٢٣ ص ٧٥.

الروايات.

وبالجملة فهو من المسلمات عند الشيعة فى الامام المعصوم ومن المعلوم أن مع التعيين والتشخيص من جانب الله لا مورد لاختيار الناس، ثم لا يخفى ان التنصيص أحد الطرق التى يعرف الامام بها لا مكان المعرفة بالامام من اقامة المعجزة مع دعوى الامامة، ولذا صرح الميرزا القمى ـ قدس سره ـ بذلك حيث قال: ان الامام اذا ادعى الامامة، و أقام على طبقها المعجزة دل ذلك على حقيته كما مر فى النبوة[٥] بل ظاهر الكلمات ان الامام يعرف بالافضلية فى الصفات فان تقديم المفضول على الافضل قبيح فهو طريق ثالث للمعرفة بالامام كما صرح به المحقق القمى ايضاً فراجع، والمحقق اللاهيجى فى كتاب سرمايه ايمان[٦].

الثاني: فى ثبوت النصوص على أن الامام بعد النبى هو على بن ابيطالب ـ عليه السلام ـ و تدل عليه الروايات الصحاح والمتواترات و ذلك واضح، وقد أشار المصنف الى بعض هذه الروايات وفى ما اشار اليه غنى وكفاية.

ثم ان المصنف أشار الى أن تعيينه ـ صلى الله عليه و آله ـ لعلى ـ عليه السلام ـ فى عدة مواطن و هو كذلك بل قد كرر بعضها فى مواطن متعددة و هذا التكرار يشهد على أن النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ اهتم بهذا الامر كمال الاهتمام ولم يهمله بل من اول الامر و شروعه في دعوة الناس الى التوحيد توجه اليه و أحكم أمر الامامة بعده فنسبة الاهمال اليه صلى الله عليه وآله افك وافتراء، و عليه فلا مجال بعد نصب النبى علياً من

٥. اصول دين: ص ٣٧.
٦. اصول دين: ص ١٢٥.

جانب الله تعالى للخلافة لهذه الابحـاث، مـن أن نصب الامام واجب على الناس ام لا يكون واجباً، فاذا كـان واجباً فهل هو واجب على جميع الامة أو على بعضها، و على الاخير هل المراد من البعض اصحاب الحل والعقد، أو المراد غيرهم، فان تلك الابحاث من متفرعات الامارة والخلافة الظاهـرية دون الخلافة الالهية المنصوصة، فان النصب فيه نصب الهى كنصب النبى، والمفروض هو وقوعه، فتلك الابحاث اجتهاد فى قبال النص، ثم من المعلوم ان النصب الالهى أبعد عن الاختلاف والانحراف، و لعله لذلك قال الشيخ ابوعلى سينا والاستخلاف بالنص أصوب، فـان ذلك لا يـؤدى الـى التشعب والتشاغب والاختلاف[٧].

ثم ان المصنف لم يشر الى البحث السندى عن هذه الروايات، لانها من المتواترات، وقد تصدى لاثباتـه جمع من أعاظم الاصحاب كالعلامة مير سيد حامد حسين موسوى النيشابورى الهندى ـ قدس سره ـ فى عبقـات الانوار، وكالعلامة الشيخ عبدالحسين الامينى ـ قدس سره ـ فى الغدير، قال العلامة الامينى حول حديث الغدير: ولا احسب أن أهل السنة يتأخرون بكثير من الامامية فى اثبات هذا الحديث، والبخوع لصحته، والركون اليه والتصحيح له والاذعان بتواتره اللهم الا شذاذ تنكبت عن الطريقة وحدت بهم العصبية العمياء الى رمى القول على عواهنه، و هؤلاء لا يمثلون من جامعة العلماء الا انفسهم فان المثبتين المحققين للشان المتولعين فـى الفن لا تخالجهم أية شبهة فـى اعتبار اسانيدهم التى أنهوها متعاضدة متظافرة، بل متواترة الى جماهير من الصحابة والتابعين و اليك أسمـاء جملة وقفنا علـى

٧. الهيات الشفاء: ص ٥٦٤.

الطرق المنتهية اليهم على حروف الهجاء ثم ذكرمائة و عشرة من أعاظم الصحابة و قال هؤلاء من أعاظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير ولعل فيما ذهب علينا أكثر من ذلك بكثير، وطبع الحال يستدعى أن تكون رواة الحديث اضعاف المذكورين، لان السامعين الوعاة له كانوا مائة الف أو يزيدون، و بقضاء الطبيعة انهم حدثوا به عند مرتجعهم الى اوطانهم شأن كل مسافر ينبىء عن الاحداث الغريبة التى شاهدها فى سفره، نعم؛ فعلوا ذلك الا شذاذ منهم صدتهم الضغائن عن نقله، والمحدثون منهم وهم الاكثرون فمنهم هؤلاء المذكورون، ومنهم من طوت حديثه اجواز الفلى بموت السامعين فى البرارى والفلوات قبل ان ينهوه الى غيرهم، ومنهم من أرهبته الظروف والاحوال عن الاشادة بذلك الذكر الكريم...

و جملة من الحضور كانوا من أعراب البوادى لم يتلق منهم حديث ولا انتهى اليهم الاسناد، ومع ذلك كله ففى من ذكرناه غنى لاثبات التواتر، ثم ذكر اربعة و ثمانين من التابعين، ثم قال ليست الصحابة والتابعين بالعناية بحديث الغدير بدعاً من علماء القرون المتتابعة بعد قرنهم، فان الباحث يجد فى كل قرن زرافات من الحفاظ الاثبات، يروون هذه الاثارة من علم الدين، متلقين عن سلفهم، و يلقونها الى الخلف، شأن مايتحقق عندهم، و يخضعون لصحته من الاحاديث، فاليك يسيرا من أسمائهم فى كل قرن شاهداً على الدعوى، و نحيل الحيطة بجميعها الى طول باع القارىء الكريم، والوقوف على الاسانيد و معرفة المشيخة.

ثم شرع من القرن الثانى الى القرن الرابع عشر و ذكر وعد ستين و ثلاثمائة من الحفاظ والناقلين

لحديث الغدير مع ان جمعاً من هؤلاء كانوا يروون ذلك بطرق مختلفة كما قال فى هامش ص ۱۴ ان احمد بن حنبل رواه من اربعين طريقاً و ابن جرير الطبرى من نيف و سبعين طريقا، والجزرى المقرىء من ثمانين طريقاً و ابن عقدة من مائة و خمس طرق، وابوسعيد السجستانى من مائة و عشرين طريقاً، و ابو بكر الجعابى من مائة و خمس و عشرين طريقاً، وفى تعليق هداية العقول ص ٣٠ عن الامير محمد اليمنى (احد شعراء الغدير فى القرن الثانى عشر) ان له مائة و خمسين طريقاً، ثم قال العلامة الامينى ـ قدس سره ـ فى متن الغدير: بلغ اهتمام العلماء بهذا الحديث الى غاية غير قريبة، فلم يقنعهم اخراجه باسانيد مبثوثة خلال الكتب حتى أفرده جماعة بالتأليف، فدونوا ما انتهى اليهم من أسانيده، و ضبطوا ماصح لديهم من طريقه، كل ذلك حرصاً على كلاءة متنه من الدثور، و عن تطرق يد التحريف اليه ثم ايد تواتره بالمناشدة والاحتجاج، حيث قال: لم يفتأ هذا الحديث منذ الصدر الاول، وفى القرون الاولى، حتى القرن الحاضر من الاصول المسلمة، يؤمن به القريب، و يرويه المناوى، من غير نكير فى صدوره، و كان ينقطع المجادل اذا خصمه مناظره بانهاء القضية اليه، ولذلك كثر الحجاج به، و توفرت مناشدته بين الصحابه والتابعين، و على العهد العلوى و قبله.

ثم ذكر الاثنين والعشرين، من مواضع المناشدة والاحتجاج، و بين اعلام الشهود فيها، ثم ذكر جماعة من علماء العامة الذين اعترفوا بصحة الحديث و ثبوته و تواتره وهم الثلثة والاربعون و هذا هو المحصل لما افاده ـ قدس سره ـ فى تحقيق سند حديث الغدير

فراجع[۸].

قال فی احقاق الحق: وقد شهد بتواتره فطاحل الاثار و حفظة الاخبار أودعوه فی کتبهم علی تنوعها و اذعنوا بعد التأویلات الباردة بصراحته فی ما نقول نحن معاشر شیعة اهل‌البیت ثم نقل ذلك عن جمع منهم فراجع[۹].

قال فی دلائل الصدق: بل الحق آن هذا الحدیث من المتواترات حتی عند القوم فقد نقل السید السعید ره عن الجزری الشافعی انه اثبت فی رسالته اسنی‌المطالب فی مناقب علی‌بن ابیطالب تواتره من طرق کثیرة، و نسب منکره الی الجهل والعصبیة الخ[۱۰] **هذا یکفیك** بالنسبة الی سند حدیث الغدیر.

و اما سند حدیث المنزلة فهو ایضا فی غایة‌القوة و یکفیك فیه ما حققه آیة‌الله السید شرف الدین ـقدس سره ـ فی‌المراجعات حیث قال: «لم یختلج فی صحة سنده ریب حتی الذهبی ـعلی‌تعنته ـ صرح فی‌تلخیص المستدرك بصحته و ابن حجر الهیثمی ـعلی محاربته بصواعقه ـ ذکر الحدیث فی‌الشبهة ۱۲ من الصواعق، فنقل القول بصحته عن ائمة الحدیث الذین لا معول فیه الا علیهم فراجع، و لولا ان الحدیث بمثابة من الثبوت، ما أخرجه البخاری فی کتابه فان الرجل یغتصب نفسه عند خصائص علی و فضائل اهل‌البیت اغتصاباً، و معاویة کان امام الفئة الباغیة، ناصب أمیرالمؤمنین و حاربه، و لعنه علی منابر المسلمین، و أمرهم بلعنه، لکنه ـبالرغم عن وقاحته فی عدوانه ـ لم یجحد حدیث

۸. راجع الغدیر: ج ۱ ص ۱۴ـ۳۱۴.
۹. احقاق الحق: ج۲ ص ۴۲۲.
۱۰. دلائل الصدق: ج۲، ص ۵۳.

المنزلة ولاكابر فيه سعدبن أبىوقاص حين قال له ـفيما اخرجه مسلمـ ما منعك أن تسب أباتراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله فلن أسبه، لان تكون لى واحدة منها أحب الى من حمر النعم، سمعت رسول الله يقول له وقد خلفه فى بعض مغازيه، أماترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبوة بعدى... الحديث، فأبلس معاويه، و كف عن تكليف سعد.

أزيدك على هذا كله أن معاوية نفسه حدث بحديث المنزلة، قال ابن حجر فى صواعقه أخرج أحمد أن رجلا سأل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علياً فهو أعلم، قال: جوابك فيها أحب الى من جواب على قال: بئس ما قلت: لقد كرهت رجلا كان رسول الله يغره بالعلم غرا، ولقد قال له: انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى، و كان عمر اذا أشكل عليه شيء اخذ منه ـ الى آخر كلامه.

وبالجملة فان حديث المنزلة مما لاريب فى ثبوته باجماع المسلمين علىاختلافهم فىالمذاهب والمشارب ثم اشار الى جمع من كتب السير و جوامع الحديث التى نقل فيها حديث المنزلة كالجمع بين الصحاح الستة و صحيح البخارى و صحيح مسلم و سنن ابن ماجة ومسند احمدبن حنبل والطبرانى ثم قال و كل من تعرض لغزوة تبوك من المحدثين و اهل السير والاخبار، نقلوا هذا الحديث و نقله كل من ترجم عليا من اهل المعاجم فى الرجال من المتقدمين والمتاخرين على اختلافمشاربهم و مذاهبهم و رواه كل من كتب فى مناقب اهل البيت، و فضائل الصحابة من الائمة، كاحمد بن حنبل، وغيره ممن كان قبله او جاء بعده و هو من الاحاديث المسلمة

في كل خلف من هذه الامة[١١] واختص صــاحب عبقات الانوار جلداً ضخماً بحديث المنزلة جزاه الله عن الاسلام خيراً، و روى في غاية المرام مائة حديث مــن طــريق العامة، و سبعين حديثا من طرق الخاصة حــول حديث المنزلة فراجع، هذا كله بالنسبة الى حديث المنزلة.

و اما اعتبار نص الدار يوم الانذار فيكفيك ما في المراجعات حيث قال و حسبك منها (اى النصوص) ما كان في مبدأ الدعوة الاسلامية قبل ظهور الاسلام بمكة حين انزل الله تعالى عليه «وانذر عشيرتك الاقربين» فدعاهم الى دار عمه ـ ابي طالب ـ وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه، وفيهم اعمامه ابوطالب وحمزة والعباس وابولهب والحديث في ذلك من صحاح السنن المأثورة، ثم اشار الى من اخرج هذا الحديث في كتابه و كان فيهم ابن اسحاق و ابن جرير و ابن ابي حاتم و ابن مردويه و ابونعيم والبيهقي والطبري والثعلبي ثم قال: و ارسله ابن الاثير ارسال المسلمات، و صححه غير واحد من اعلام المحققين كابن جرير والاسكافي والذهبي، و صرح في اخر كلامه بتواتره عند الشيعة فراجع[١٢] هذه جملة من النصوص التي وردت لتعيين علي عليه السلام للولاية والامامة وبقيتها تطلب من المطولات كما لايخفى.

الثالث: في فقه الحديث ولا يخفى عليك أن المصنف اكتفى بوضوح الدلالة ولم يبحث عنه ولكن الاولى هو أن يبحث عنه بعد ورود اشكالات من ناحية بعض اخواننا العامة و ان كان جوابها واضحاً ولذلك نقول: اماحديث

١١. المراجعات: ص ١٢٩ـ١٣٢.
١٢. المراجعات: ص ١١٨ـ١٢٤.

الغدير فالمراد منه هو اثبات كونه ـعليه‌السلامـ اولى بالتصرف من دون فرق بين كون المولى كالولى ظاهرا فيه بحسب الوضع اللغوى او مشتركا لفظيا بين‌المعانى او مشتركا معنويا بينها، لفهم من حضر ومن يحتج بقوله فى‌اللغة من الادباء والشعراء فانه يوجب الوثوق والاطمئنان بالمعنى المراد و هو كاف فى كل مقام كما لا يخفى.

قال العلامة الامينى ـقدس‌سرهـ: و اما دلالته على امامة مولانا اميرالمؤمنين ـعليه‌السلامـ فانا مهما شككنا فى شىء فلا نشك فى أن لفظة المولى سواء كانت نصاً فى‌المعنى الذى نحاوله بالوضع اللغوى، أو مجملة فى مفادها لاشتراكها بين معان جمة و سواء كانت‌عرية عن القرائن لاثبات ما ندعيه من معنى الامامة أو محتفة بها، فانها فى‌المقام لا تدل الا على ذلك لفهم من وعاه من الحضور فى ذلك المحتشد العظيم، ومن بلغه النبأ بعد حين ممن يحتج بقوله فى‌اللغة من غير نكير بينهم، و تتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء و رجالات الادب، حتى عصرنا الحاضر، و ذلك حجة قاطعة فى المعنى المراد، وفى الطليعة من هؤلاء مولانا أمير المؤمنين ـعليه‌السلامـ حيث كتب الى معاوية فى‌جواب كتاب له من أبيات ستسمعها ما نصه:

و اوجب لى ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خم

و منهم: حسان بن ثابت الحاضر مشهد الغدير وقد استأذن رسول‌الله ـصلى‌الله عليه و آلهـ ان ينظم الحديث فى ابيات منها قوله:

فقال له: قم يا على فاننى رضيتك‌من بعدى‌اماماوهاديا

ومن اولئك: الصحابى العظيم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى الذى يقول:

و على امامنا و امام لسوانا اتى به التنزيل
يوم قال النبى: من كنت مولا ه فهذا مولاه خطب جليل

و من القوم: محمدبن عبدالله الحميرى القائل

تناسوا نصبه فى يوم خم من البادى ومن خير الانام

و منهم: عمروبن العاص الصحابى القائل

وكم قد سمعنا من المصطفى
وصايا مخصصة فى على
وفى يوم خم رقى منبراً
و بلغ والصحب لم ترحل
فامنحه امرة المؤمنين
من الله مستخلف المنحل
وفى كفه كفه معلناً
ينادى بأمر العزيز العلى
و قال فمن كنت مولى له
على له اليوم نعم الولى

و من اولئك: كميت بن زيد الاسدى الشهيد ١٢٦ حيث يقول:

و يوم الدوح دوح غدير خم
ابان له الولاية لو اطيعا
ولكن الرجال تبايعوها
فلم ار مثلها خطراً مبيعا

ثم نقل عن الحميرى والعبدى الكوفى وغيره من شعراء القرن الثانى والثالث اشعاراً ثم قال: و تبع هؤلاء جماعة من بواقع العلم والعربية الذين لا يعدون مواقع اللغة، ولا يجهلون وضع الالفاظ، ولا يتحرون الا الصحة فى تراكيبهم و شعرهم، كدعبل الخزاعى، والحمانى، والامير أبىفراس، و علم الهدى المرتضى، والسيد الشريف الرضى، والحسينبن الحجاج، و ابن

الرومی، و کشاجم، والصنوبری، والمفجع، والصاحب بن عباد، ثم ذكر عدة اخرى من الشعراء ـالى ان قالـ الى غيرهم من اساطين الادب و اعلام اللغة، ولم يزل آثرهم مقتصاً فى القرون المتتابعة الى يومنا هذا، و ليس فى وسع الباحث أن يحكم بخطاء هؤلاء جميعاً، وهم مصادره فىاللغة، و مراجع الامة فىالادب[13].

و ايضاً يدل على هذا الفهم المذكور استشهادات الصحابة و غيرهم بهذا الحديث للخلافة قال فى دلائل الصدق: وفى رواية لاحمد انه سمعه من النبى (ص) ثلاثون صحابياً و شهدوا به لعلى ـعليهالسلامـ لما نوزع ايام خلافته كما مر، وسيأتى. ثم قال صاحبدلائل الصدق اقول و هذا صريح فى دلالة الحديث على الخلافة[14].

هذا مضافاً الى القرائن الداخلية والخارجية الدالة على تعيين المراد من كلمة المولى، و هى كثيرة، ولا بأس بالاشارة الى بعضها.

القرينة الاولى: هو قوله ـصلىالله عليه و آلهـ: الست اولى بكم من انفسكم فى صدر الحديث فانه يدل على اولوية نفسه على الناس فى الامور والانفس، فتفريع قوله: «فمن كنت مولاه فهذا على مولاه» على الصدر يدل على أن المقصود هو ان يثبت بذلك لعلى ـعليهالسلامـ مثل ما كان لنفسه من ولاية التصرف والاولوية المذكورة فلو اريد من المولى غير الاولوية، فلا مناسبة لتصدير هذه المقدمة و تفريع قوله عليه كما لا يخفى.

و لذا قال العلامة الحلى ـقدسسرهـ: و وجه

١٣. راجع الغدير: ج١ ص ٣٤٠_٣٤٢.
١٤. دلائل الصدق: ج٢ ص ٥٢.

الاستدلال به أن لفظة مــولى تفيد الاولــى لان مقدمة الحديث تدل عليه[15] و تبعه الاعلام والفحول قال العلامة الاميني ـقدس‌سره ـ: وقدرواها (اى المقدمة المذكورة) الكثيرون من علماء الفريقين، و ذكر أربعة و ستيــن منهم و فيهم احمد بن حنبل والطبرى والذهبى و ابن الصباغ والحلبى و ابن‌ماجة والترمذى والحاكم و ابن عساكر والنسائي والكنجي و ابن‌المغازلي والخوارزمي والتفتازاني والبيضاوى و ابــن الاثير والمقــريــزى والسيوطي و غيرهم من الاعلام.

ثم قال أضف الى ذلك مــن رواهـــا (اى المقدمة المذكورة) من علماء الشيعة الذين لايحصى عددهم ـالى ان‌قال ـ ويزيدك وضوحاً و بياناً ما فى «التذكرة» لسبط ابن‌الجوزى الحنفى ص ۲۰ فانه بعد عد معـــان عشرة للمولى و جعل عاشرها الاولى قال: والمراد من الحديث: الطاعة المخصوصة فتعين الوجه العاشر و هو الاولى و معناه: من كنت اولى به من نفسه فعلى اولى به وقــد صرح بهذا المعنى الحافظ ابوالفــرج يحيى بن سعيد الثقفى الاصبهانى فى كتابه المسمى بمرج البحريــن فانه روى هذا الحديث باسناده الى مشايخه و قال فيه: فأخذ رسول‌الله ـصلى‌الله عليه وآله ـ بيد على فقال: من كنت وليه و اولى به من نفسه فعلى وليه الخ[16].

و أيضاً نقل فى احقاق الحق القرينة الاولى مــن العلامة ابن بطريق الاسدى الحلى[17].

القرينة الثانية: هى قوله ـصلى‌الله عليه و آله ـ فى ذيل الحديث: هنئونى هنئونى ان الله تعالى خصنى

۱۵. شرح تجريد الاعتقاد: ص ۳۶۹ الطبع الحديث.
۱۶. الغدير: ج۱ ص ۳۷۰ـ۳۷۲.
۱۷. احقاق الحق: ج۲ ص ۴۶۹.

بالنبوة وخص اهل بيتى بالامامة فلقى عمربن الخطاب اميرالمؤمنين فقال: طوبى لك يا ابـا الحسن اصبحت مولاى و مولى كل مؤمن و مؤمنة رواه فى الغدير عـن شرف المصطفى فراجع[18] قال العلامة الامينى ـ قدس سره ـ: فصريح العبارة هو الامامة المخصوصة بأهل بيته الذين سيدهم و المقدم فيهم هـو اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ و كان هو المراد فى الوقت الحاضر، ثم نفس التهنئة والبيعة والمصافحة والاحتفال بها و اتصالها ثلثة أيام كما مرت هذه كلها ص ۲۶۹ـ۲۸۳ (وقد نقل فى هذه الصفحات قصة تهنئة الشيخين عن الستين من اعاظم علماء اهل السنة) لا تلائـم غيـر معنى الخلافة والاولوية، ولذلك تـرى الشيخين أبابكر و عمـر لقيا اميرالمؤمنين فهنئاه بالولاية[19].

القرينة الثالثة: هى التعبير عن يوم الغدير بيـوم نصب على علماً و اماماً، كما روى فى مودة القربى على ما حكاه فى كتاب الغدير عن عمربن الخطاب انه قال نصب رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه و آله ـ علياً علماً فقال من كنت مولاه فعلى مولاه الحديث[20] و روى فـرائـد السمطين عن زيد بن أرقم والبراء بن عازب و سلمـان و ابى‌ذر والمقداد وعمار، انهم قالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه وآله ـ و هو قائم على المنبر و أنت (والخطاب لعلى عليه‌السلام) الى جنبه و هو يقول: ايها الناس، ان الله عزوجل أمـر أن انصب لكم امامكم والقائم فيكم بعدى و وصيى و خليفتـى الحديث[21]. هذا صريح فى أن المراد من المولى هـو

۱۸. الغدير: ج۱ ص ۲۷۴.
۱۹. الغدير: ج۱ ص ۳۷۵.
۲۰. الغدير: ج۱ ص ۵۷.
۲۱. الغدير: ج۱ ص ۱۶۵.

الاولى بالتصرف لا ساير المعاني.

القرينة الرابعة: الاخبار المفسرة منها ما رواه في الغدير عن طريق العامة عن النبي ـ صلى الله عليه و آله ـ انه لما سئل عن معنى قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه قال: الله مولاى اولى بى من نفسى لا أمر لى معه و انا مولى المؤمنين اولى بهم من انفسهم لا امر لهم معي ومن كنت مولاه اولى به من نفسه لا امر له معي فعلي مولاه اولى به من نفسه لا امر له معه[۲۲].

و منها ما رواه شيخ الاسلام الحمويني في حديث احتجاج اميرالمؤمنين أيام عثمان قوله ـ عليه السلام ـ: ثم خطب رسول الله (ص) فقال: ايها الناس اتعلمون ان الله عزوجل مولاى و أنا مولى المؤمنين، و أنا اولى بهم من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: قم يا علي فقمت فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه. فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ قال ولاء كولاى من كنت اولى به من نفسه فعلي اولى به من نفسه[۲۳] وغير ذلك من الاخبار.

القرينة الخامسة: و هي كما في دلائل الصدق انه ـ صلى الله عليه و آله ـ بين قرب موته كما في رواية الحاكم و رواية الصواعق و غيرهما حيث قال فيه: ايها الناس انه قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا نصف عمر النبي الذى يليه من قبله و انى لاظن انى يوشك أن ادعى فأجيب و انى مسئول و انكم مسئولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك بلغت و جهدت ونصحت فجزاك الله خيرا، الحديث و هو مقتض للعهد بالخلافة و مناسب له فلابد من حمل قوله: «من كنت مولاه

۲۲. الغدير: ج۱ ص ۳۸۶.
۲۳. الغدير: ج۱ ص ۳۸۷.

فعلي مولاه» على العهد لاميرالمؤمنين بالخلافة لا على بيان الحب والنصرة، ولا سيما مع قوله في روايةالحاكم «اني تركت» الى اخره الدال على الحاجة الى عترته و كفايتهم مع الكتاب فيما تحتاج اليه الامة، و قوله في روايةالصواعق: «انىسائلكم عنهما» وقوله «لنيفترقا» بعد امره بالتمسك بالكتاب فان هذا يقتضي وجوب التمسك بهم و اتباعهم فيسأل عنهم و ذلك لا يناسب الا الامامة[٢٤].

القرينة السادسة: هي كما في دلائل الصدق قرائن الحال الدالة على أن ما أراد النبي ـصلىالله عليه وآلهـ بيانه هو أهم الامور و أعظمها كأمره بالصلاة جامعة فيالسفر بالمنزل الوعر بحر الحجاز وقت الظهيرة مع اقامة منبر من الاحداج له، و قيامه خطيبا بين جماهير المسلمين، الذين يبلغعددهم مائةالف أويزيدون، فلابد مع هذا كله أن يكون مراد النبي ـصلىالله عليه و آلهـ بيانامامة اميرالمؤمنين ـعليهالسلامـ التييلزمايضاح حالها والاهتمام بشأنها و اعلام كل مسلم بها، لا مجرد بيان أن علياً محب لمن احببته، و ناصر لمن نصرته و هو لا امر ولا امرة له، و على هذا فبالنظر اليخصوص كل واحدة من تلك القرائن الحالية والمقالية، فضلا عن مجموعها لا ينبغي أن يشك ذو ادراك في ارادة النص على علي ـعليهالسلامـ بالامامة، والا فكيف تستفاد المعاني منالالفاظ، وكيف يدلالكتاب العزيز او غيره علىمعنىمن المعاني، وهليمكن انلا تراد الامامة وقد طلب اميرالمؤمنين عليهالسلام منالصحابة بمجمعالناس بيان الحديث و دعا على من كتمه، اذ لو اريد به مجرد الحب والنصرة لما كان محلا لهذا الاهتمام، ولا كان

٢٤. دلائل الصدق: ج٢ ص ٥٨.

مقتض لان يبقى فی ابی الطفيل منه شیء و هو أمر ظاهر ليس به عظيم فضل، حتی قال له زيد بن ارقم ما تنكر قد سمعت رسول‌الله ـصلی‌الله عليه و آله‌ـ يقول ذلك له كما سبق[۲۵].

ولا كان مستوجباً لتهنئة أبی‌بكر و عمر، لامير المؤمنين ـعليه‌السلام‌ـ بقولهما «اصبحت مولی كل مؤمن و مؤمنة» فان التهنئة لاميرالمؤمنين الذی لم‌يزل محلا لذكر رسول‌الله ـصلی‌الله عليه و آله‌ـ بالفضائل العظيمة والخصائص الجليلة انما تصح علی أمر حادث تقصر عنه سائرالفضائل، وتتقاصر له نفوس الافاضل، و تتشوق اليه القلوب و تتسوف له العيون، فهل يمكن‌ان يكون هو غير الامامة من النصرة و نحوها مما هو آيس فضائله و أظهرها و أقدمها، ولكن كما قال الغزالی فی سر العالمين: «ثم بعد ذلك غاب الهوی و حب الرياسة و عقود البنود و خفقان الرايات وازدحام الخيول و فتح الامصار والامر والنهی فحملهم علی الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به‌ثمناً قليلا فبئس ما يشترون، وقد ذكر جماعة من القوم ان سر العالمين للغزالی كالذهبی فی ميزان الاعتدال بترجمة الحسن بن‌الصباح الاسماعيلی هذا[۲۶].

۲۵. و نقل فيما سبق عن احمد عن حسين محمد و ابی‌نعيم قالا: «حدثنا فطر عن ابی‌الطفيل قال جمع علی‌الناس فی‌الرحبة، ثم قال لهم انشد الله كل امریء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس و قال ابونعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين اخذه بيده فقال للناس اتعلمون انی اولی بالمؤمنين من انفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه قال فخرجت و كان فی نفسی شیء فلقيت زيد بن ارقم فقلت له انی سمعت عليا يقول كذا و كذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله ـصلی‌الله عليه و آله‌ـ يقول ذلك له» راجع دلائل‌الصدق: ج۲ ص ۵۵.
۲۶. دلائل الصدق: ج۲ ص ۵۸ـ۵۹.

و الى غير ذلك من القرائن الكثيرة المذكورة فى المطولات هذا مضافا الى فهم اهل‌البيت الذين كانوا مصونين عن الخطأ والاشتباه بنص الرسول الاعظم ـصلى‌الله عليه و آلهـ ولذا اعظموا يوم الغدير و اوصوا و اكدوا بتعظيمه و جعله عيداً لكونه يوم نصب على ـعليه‌السلامـ للامامة والخلافة بحيث صار مفاد الحديث عند الشيعة قطعياً و يقينياً كما لا يخفى. فالحديث مع ما قد حف به من القرائن نص جلى على خلافة على ـعليه‌السلامـ و على وجوب الاتباع له، كوجوب الاتباع عن النبى ـصلى‌الله عليه و آلهـ هذا كله بالنسبة الى حديث الغدير و بقية الكلام تطلب من دلائل الصدق والغدير والمراجعات و غير ذلك.

و أما الكلام فى حديث المنزلة فوجه الاستدلال به كما فى‌العقائد الحقة أن المستفاد من هذا الخبر ثبوت جميع منازل هارون من موسى و استثنى منزلة النبوة ومن‌جملة المنازل الخلافة بعده[٢٧].

بل يمكن ان يستفاد من حديث المنزلة خلافته و امامته من زمان حياة الرسول الاعظم ـصلى‌الله عليه و آلهـ.

قال فى دلائل الصدق و نعم ما قال: لاريب ان الاستثناء دليل العموم فتثبت لعلى ـعليه‌السلامـ جميع منازل هارون الثابتة له فى الآية سوى النبوة ومن منازل هارون الامامة لان المراد بالامر فى‌قوله تعالى «واشركه فى امرى» هو الاعم من النبوة التى هى التبليغ عن الله تعالى ومن الامامة، التى هى الرياسة العامة، فانهما أمران مختلفان، ـالى ان قالـ و يشهد للحاظ الامامة و ارادتها من الامر فى‌الآية الاخبار السابقة المتعلقة

٢٧. العقائد الحقة: ص ٢٥.

بآخر الآيات، التي ذكرناها فـي الخاتمة المصرحة تلك الاخبار بأن النبي ـ صلى الله عليه و آلـه ـ دعـا فقال: «اللهم انى اسألك بما سألك اخى موسى ان تشرح لى صدرى و ان تيسر لى أمرى و تحل عقدة من لسانـى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من اهلى عليا اخى اشدد به ازرى و اشركه فى امرى» فان المراد هنا بالاشراك فى أمره هو الاشراك بالامامة لا الاشراك بالنبوة كما هو ظاهر، ولا المعاونة على تنفيذ ما بعث فيه لانه قد دعا له أولا بان يكون وزيراً له.

وبالجملة معنى الآية اشركه فى امـانتى الشاملة لجهتى النبوة والامامة، ولذا نقول ان خلافة هـارون لموسى لما ذهب الى الطور ليست كخلافة سائر الناس، ممن لا حكم ولا رياسة له ذاتاً، بـل هى خلافة شريك لشريك أقوى، ولذا لا يتصرف بحضوره فكذا على بحكم الحديث لدلالته على أن له جميع منازل هارون، التى منها شركته لموسى فى أمره سوى النبوة، فيكون علـى اماماً مع النبى فى حياته ـ الى ان قال ـ فلابد أن تستمر امامته الى ما بعد وفاته ولا سيما ان النظر فى الحديث الى ما بعد النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ ايضاً و لذا قال: الا أنه لا نبى بعدى ولو تنزلنا عن ذلك فلا اشكال بأن من منازل هارون ان يكون خليفة لموسى لو بقى بعده، لان الشريك أولى الناس بخلافة شريكه فكذا يكون على ـ عليه السلام ـ ـ الى أن قال ـ وقد علم على جميع الوجوه انه لا ينافى الاستدلال بالحديث على المدعى موت هارون قبل موسى كما علم بطلان أن يكون المراد مجرد استخلاف امير المؤمنين فى المدينة خاصة، فان خصوص المورد لا يخصص العموم الـوارد، ولا سيمـا ان الاستخلاف بـالمدينة ليس مختصاً بـامير المؤمنين ـ عليه السلام ـ

لاستخلاف النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ غيره بها فى باقى الغزوات، و مقتضى الحديث ان الاستخلاف منزلة خاصة به كمنزلة هارون من موسى التى لم يستثن منها الا النبوة. فلابد أن يكون المراد بالحديث اثبات تلك المنزلة العامة له الى ما بعد النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ الى ان قال ـ ويدل على عدم ارادة ذلك الاستخلاف الخاص (اى فى غزوة تبوك) بخصوصه ورود الحديث فى موارد لادخل لها به (فمنها) ما سيجىء ان شاء الله تعالى من أن النبى ـ صلى الله عليه وآله ـ علل تحليل المسجد لعلى جنبا بانه منه بمنزلة هارون من موسى (و منها) مارواه فى كنز العمال عن ام سليم ان النبى ـ صلى الله عليه وآله ـ قال لها ياام سليم ان علياً لحمه من لحمى و دمه من دمى و هو منى بمنزلة هارون من موسى (ومنها) ما رواه فى الكنز ايضا عن ابن عباس ان عمر قال: «كفوا عن ذكر على بن ابيطالب فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ يقول فى على ثلاث خصال لان يكون لى واحدة منهن احب الى مما طلعت عليه الشمس: كنت و ابوبكر و ابوعبيدة و نفر من اصحاب رسول الله والنبى متكىء على على حتى ضرب على منكبه ثم قال انت يا على اول المؤمنين ايماناً و اولهم اسلاماً ثم قال: انت منى بمنزلة هارون من موسى و كذب من زعم انه يحبنى و يبغضك» ـ الى ان قال ـ الى غيرها من الموارد الكثيرة»[٢٨] ثم ان الاحاديث المذكورة شطر من الاحاديث الكثيرة الدالة على امامة على و اولاده ـ عليهم السلام ـ فعليك بالكتب الكلامية و جوامع الحديث والسير والتفاسير.

الرابع: فى الآيات وهى كثيرة وقد اشير اليها فى

٢٨. دلائل الصدق: ج٢ ص ٢٥٢ـ٢٥٤.

الكتب التفسيرية والكلامية والمصنف ـ قدس سره ـ اكتفى باية واحدة، وهى آية الولاية و هى من الآيات الباهرات، و تقريب تلك الآية على ما فى العقائد الحقة وغيرها: ان وجه الاستدلال ان لفظة انما للحصر لاتفاق أهل العربية عليه، والولى و ان ذكر له معان لكن لا يناسب مع الحصر المذكور معنى غير الاولى بالتصرف، كقولهم السلطان ولى من لا ولى له و ولى الدم و ولى الميت وقوله ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل، وقد ذكر المفسرون أن المراد بهذه الاية الشريفة على بن ابى طالب ـ صلوات الله عليه ـ لانه لما تصدق بخاتمه حال ركوعه نزلت هذه الآية[٢٩].

قال العلامة الحلى ـ قدس سره ـ: أجمعوا على نزولها فى على ـ عليه السلام ـ و هو مذكور فى الصحاح الستة لما تصدق بخاتمه على المسكين فى الصلاة بمحضر من الصحابة، والولى هو المتصرف، وقد أثبت الله تعالى الولاية لذاته و شرك معه الرسول و امير المؤمنين و ولاية الله عامة فكذا النبى والولى[٣٠] فالمحصور فيه الولاية معلوم للصحابة على ما يشهد له الاخبار الواردة فى الصحاح و هو على ـ عليه السلام ـ.

و قال الاستاذ الشهيد آية الله المطهرى ـ قدس سره ـ: لم يرد فى الشرع أمر بأداء الزكاة فى حال الركوع حتى يكون ذلك قانوناً كليا وله افراد، فالاية اشارة الى قضية خارجية لم تقع الا مرة واحدة والشيعة و اهل التسنن اتفقوا على أن هذه القضية هى التى وقعت من على عليه السلام حال ركوعه فى الصلوة فالاية نزلت فى حقه، و عليه فالاية لا تدل الا على ولاية على عليه ـ

٢٩. العقائد الحقة: ص ١٩ـ٢٠.
٣٠. دلائل الصدق: ص ٤٤.

السلام[۳۱].

وبالجملة فالحصر فى المقام يدل على أن المراد من الولاية هو الاولى بالتصرف لا غير، و الا فلا يصح الحصر اذ المحبة والنصرة لا اختصاص لهما بقوم دون قوم، هذا مضافا الى وحدة السياق فان المراد من الولى فى الله تعالى و رسوله الاعظم هو الاولى بالتصرف و هكذا فى الذين آمنوا... الاية، كما ان خارجية القضية تشهد بكون المراد منها هو ما وقعت من على ـ عليه السلام ـ بمحضر الصحابة و هذا التقريب اسد واخصر مما فى دلائل الصدق حيث قال لا يبعد ان الولى مشترك معنى موضوع للقائم بالامر اى الذى له سلطان على المولى عليه ولو فى الجملة فيكون مشتقا من الولاية بمعنى السلطان، و منه ولى المرأة والصبى والرعية اى القائم بامورهم و له سلطان عليهم فى الجملة، و منه ايضا الولى بمعنى الصديق والمحب فان للصديق ولاية و سلطاناً فى الجملة على صديقه و قياماً باموره، و كذا الناصر بالنسبة الى المنصور والحليف بالنسبة الى حليفه والجار بالنسبة الى جاره الى غير ذلك، فحينئذ يكون معنى الآية انما القائم باموركم هو الله و رسوله و امير المؤمنين ولا شك أن ولاية الله تعالى عامة فى ذاتها مع أن الآية مطلقة، فتفيد العموم بقرينة الحكمة، فكذا ولاية النبى والوصى فيكون على ـ عليه السلام ـ هو القائم بامور المؤمنين والسلطان عليهم والامام لهم.

ولو سلم تعدد المعانى و اشتراك الولى بينها لفظاً فلا ريب أن المناسب لانزال الله الآية فى مقام التصدق أن يكون المراد بالولى هو القائم بالامور لا الناصر، اذ أى عاقل يتصور أن اسراع الله سبحانه بذكر فضيلة

۳۱. امامت و رهبرى: ص ۶۰ـ۶۱.

التصدق و اهتمامه في بيانها بهذا البيان العجيب لايفيد الا مجرد بيان أمر ضروري، و هو نصرة علي -عليه السلام- للمؤمنين.

ولو سلم أن المراد الناصر فحصر الناصر بالله و رسوله و علي لا يصح الا بلحاظ احدى جهتين (الاولى) ان نصرتهم للمؤمنين مشتملة على القيام والتصرف بامورهم و حينئذ يرجع الى المعنى المطلوب.

(الثانية) انتكون نصرة غيرهم للمؤمنين كلا نصرة بالنسبة الى نصرتهم و حينئذ يتم المطلوب ايضاً اذ من لوازم الامامة النصرة الكاملة للمؤمنين، ولا سيما قد حكم الله عزوجل بانها في قرن نصرته و نصرةرسوله.

وبالجملة قد دلت الاية الكريمة على انحصارالولاية باى معنى فسرت بالله و رسوله و اميرالمؤمنين و ان ولايتهم من سنخ واحد، فلابد أن يكون اميرالمؤمنين -عليه‌السلام- ممتازاً على الناس جميعاً بما لا يحيط به وصف الواصفين، فلا يليق الا ان يكون اماماً لهم ونائباً منالله تعالى عليهم جميعاً.

و يشهد لارادة الامامة من هذه الاية الاية التي قبلها الداخلة معها في خطاب واحد و هي قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوفيأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضلالله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله و رسوله» الآية فانها ظاهرة في آن من يأتي بهم الله تعالى من اهل الولاية على الناس والقيام بامورهم، لان معناها يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مخصوصين معه بالمحبة بينه و بينهم اذلة على المؤمنين اي متواضعين لهم

تواضع ولاة عليهم للتعبير بعلى التى تفيد العلو والارتفاع، اعزة على الكافرين اى ظاهرى العزة عليهم والعظمة عندهم ومن شانهم الجهاد فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، و من المعلوم ان هذه الاوصاف انما تناسب ذا الولاية والحكم والامامة فيكون تعقبها بقوله تعالى: «انما وليكم الله» الاية دليلا على أن المراد بولى المؤمنين امامهم القائم بامورهم للارتباط بين الايتين[٣٢].

و هنا تقريب اخر مذكور فى كتاب الامامة والولاية حيث قال: ان هذا الخطاب الالهى يتوجه الى الامة الاسلامية ليحدد لها اوليائها بالخصوص و ان من الواضح جداً هنا أن المولى غير المولى عليه فالذين آمنوا ـ فى تعبير الاية ـ هم غير المخاطبين المولى عليهم، و سياق هذه الاية ليس كسياق الاية الشريفة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) لان الاية فى مقام بيان الاولياء من الله تعالى والرسول الاعظم والذين آمنوا و هو امر لا يخفى على العارف بأساليب الكلام.

و عليه فـ«الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون» هم افراد معينون، لهم شأن و امتياز عن الاخرين، و ذلك اما لان هذه الصفات المذكورة تتجلى بكل واقعها فيهم اولانهم سبقوا غيرهم اليها، كما أن من الواضح ايضا أن حقيقة هذه العلاقة المعبر عنها بالولاية، بين الله و رسوله و هؤلاء الذين آمنوا، و بين أفراد الامة الاسلامية ليست كالرابطة المتقابلة بين فردين او جماعتين من الامة أى رابطة الحب والتعاون والتناصر، و انما هى علاقة خاصة يكون أحد الطرفين فيها مؤثراً فى الآخر دون العكس وليست

٣٢. راجع دلائل الصدق: ج٢ ص ٤٤ـ٤٦.

هى الا الاولوية فى التصرف، و ان اختلفت بالنسبة الى الله تعالى و الى غيره اصالة و تبعاً و شدة و ضعفاً، فولاية الله تعالى هى الاصيلة فى حين ان ولاية الرسول ومن يتلوه هى ولاية مستمدة من ولاية الله تعالى.

اذا لاحظنا هذا الذى قلناه و ادركنا الربط بين الحكم الوارد فى هذه الاية و مدى تناسبه مع موضوعه و ركزنا على جعل ولاية الذين آمنوا ـ هؤلاء ـ فى سياق ولاية الله تعالى و رسوله عرفنا بدقة أن المراد منهم اولوا الامر الذين افترض الله طاعتهم على المؤمنين و قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ـ الى ان قال ـ وقد جاءت الولاية المعطاة لهؤلاء مطلقة فى الآية بلا اى تقييد بجانب معين من الجوانب، ولذا فيلتزم بهذا الاطلاق الا ما خرج بالدليل القطعى و هو الاستقلال بالولاية التكوينية والتشريعية فولايتهم على اى حال تبعية متفرعة على ولاية الله تعالى الاصيلة المستقلة[٣٣].

وبالجملة مقتضى مغايرة المضاف مع المضاف اليه فى قوله «انما وليكم» ان المراد من الولى هو الاولى بالتصرف و الا فلا مغايرة بعد كون النصرة او المحبة لا تختص بقوم دون قوم لان كل مؤمن بالنسبة الى آخر يكون كذلك، مع ان سياق الآية لا يكون فى مقام بيان كون المؤمنين بعضهم محباً أو ناصراً للبعض، اذ الآية فى مقام بيان تعيين الاولياء من طرف واحد وهم الله والرسول والذين آمنوا. و كيف كان فالاية من آيات الولاية والامامة، و يؤيدها الاخبار الكثيرة، منها ماعن الثعلبى عن ابى ذر الغفارى قال: اما انى صليت مع رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ يوماً من الايام الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه

٣٣. الامامة والولاية: ص ٦٢ـ٦٤.

الى السماء و قال: اللهم اشهد انى سألت فى مسجد نبيك محمد ـصلى‌الله عليه و آله‌ـ فلم يعطنى أحد شيئاً، و كان على ـرضى‌الله عنه‌ـ فى‌الصلاة راكعاً فاومأ اليه بخنصره اليمنى و فيه خاتم فاقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره و ذلك بمرأى من النبى ـصلى الله عليه و آله‌ـ و هو فى‌المسجد فرفع رسول الله ـصلى‌الله عليه و آله‌ـ طرفه الى السماء و قال: «اللهم ان اخى موسى سألك فقال رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى و اشركه فى‌امرى» فانزلت عليه قرآناً «سنشد عضدك باخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما» اللهم و انى محمد نبيك و صفيك اللهم واشرح لى صدرى و يسر لى امرى واجعل لى وزيراً من أهلى علياً اشدد به ظهرى قال ابوذر ـرضى‌الله عنه‌ـ فما استتم دعائه حتى نزل جبرئيل ـعليه‌السلام‌ـ من عندالله عزوجل قال يا محمد اقرأ «انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة وهم راكعون»[٣٤].

و منها ما رواه الكلينى ـقدس‌سره‌ـ عن أبى‌جعفر ـعليه‌السلام‌ـ قال امرالله عزوجل رسوله بولاية على و انزل عليه «انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة وهم راكعون الحديث»[٣٥].

و منها ما رواه ابن بابويه عن ابى‌جعفر ـعليه السلام‌ـ فى قول الله عزوجل: «انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا» قال «ان رهطاً من اليهود اسلموا منهم

٣٤. الامامة والولاية: ص ٦٥ نقلا عن غاية‌المرام والغدير.
٣٥. الامامة والولاية: ص ٦٧ـ٦٨.

عبدالله بن سلام و اسد و ثعلبة و ابن يـامين و ابـن صوريا فأتوا النبى -صلى‌الله عليه و آله- فقالوا يانبى الله ان موسى -عليه‌السلام- اوصى الى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول‌الله ومن ولينا بعدك فنزلت هـذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون، قـال رسول‌الله -صلى‌الله عليه و آله- قوموا فقاموا و أتوا المسجد فاذا سائل خارج فقال ياسائل ماءاعطاك أحدشيئاً قال نعم هذا الخاتم قال من اعطاكه قال اعطانيه ذلك الرجل الذى يصلى، قال على أى حال أعطاك، قال كان راكعـاً فكبر النبى -صلى‌الله عليه و آله- و كبر اهل المسجد فقال النبى -صلى‌الله عليه و آله- على وليكم بعدى قالوا رضينا بالله رباً و بالاسلام ديناً و بمحمد -صلى‌الله عليه و آله- نبياً و بعلى بن ابيطالب ولياً، فأنزل الله عزوجل: «ومن يتول الله و رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون»[36] و بقية الكلام تطلب من المطولات.

و اما مفاد نص الدار فهو واضح ولا كلام فيه و يستفاد منه ان الدعوة الى الامامـة مقرونة مع دعـوى الرسالة و هو حاك عن اهمية الامامة كما انه يحكى عـن عظمة على -عليه‌السلام- مع كونه عند ذلك فى حوالى عشر سنة حيث قام باجابة دعوة الرسول والايمان به و نصرته مع مخالفة كبراء عشيرة النبى -صلى‌الله عليه وآله- لدعوته.

۳۶. الامامة والولاية: ص ۶۸.

٨- عقيدتنا فى عدد الائمة

و نعتقد أن الائمة ـ الذين لهم صفة الامامة الحقة، هم مرجعنا فى الاحكام الشرعية المنصوص عليهم بالادلة ـ اثناعشر اماماً نص عليهم النبى صلى الله عليه و آله جميعاً باسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو الآتى:

١ـ ابوالحسن على بن ابى طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها

٢ـ ابومحمد الحسن بن على «الزكى» (٢ـ٥٠)

٣ـ ابوعبدالله الحسين بن على «سيدالشهداء» (٣ـ٦١)

٤ـ ابومحمد على بن الحسين «زين العابدين» (٣٨ـ٩٥)

٥ـ ابوجعفر محمد بن على «الباقر» (٥٧ـ١١٤)

٦ـ ابوعبدالله جعفر بن محمد «الصادق» (٨٣ـ١٤٨)

٧ـ ابوابراهيم موسى بن جعفر «الكاظم» (١٢٨ـ١٨٢)

٨ـ ابوالحسن على بن موسى «الرضا» (١٤٨ـ٢٠٣)

٩ـ ابوجعفر محمد بن على «الجواد» (١٩٥ـ٢٢٠)

١٠ـ ابوالحسن على بن محمد «الهادى» (٢١٢ـ٢٥٤)

١١ـ ابومحمد الحسن بن على «العسكرى» (٢٣٢ـ٢٦٠)

١٢ـ ابوالقاسم بن الحسن «المهدى» (٢٥٦ـ٠٠٠)

و هو الحجة فى عصرنا الغائب المنتظر عجل الله فرجه و سهل مخرجه ليملأ الارض عدلا و قسطاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً (١).

---

(١) يكفيك جوامع الحديث منها: الاصول من الكافي، و بحارالانوار، و اثبات الهداة، و غاية المرام، وقد أوردوا فيها النصوص التى وردت من طرق الشيعة

والعامة لتعيين الائمة الطاهرين عليهم السلام، و هذه الروايات كثيرة و متواترة جداً.

قال الشيخ الحر العاملي ـقدس سره ـ في اثبات الهداة: اذا عرفت هذا ظهر لك تواتر النصوص والمعجزات الآتية انشاءالله تعالى، بل تجاوزها حد التواتر بمراتب، فانها اكثر بكثير من كل ما اتفقوا على تواتره لفظاً أو معنى، مثل وجوب الصلوة والزكوة، و تحريم الخمر، و أخبار المعاد، و كرم حاتم، و غزاة بدر و احد و حنين، و خبر الخضر و موسى، و ذى القرنين، و امثال ذلك، و كثرة النقلة ـمن الشيعة و غيرهم بحيث لا يحصى لهم عدد ـ ظاهر و اجتماع الشرائط المذكورة واضح، لاريب فيه، ومن خلا ذهنه من شبهة او تقليد حصل له العلم من هذه الاخبار بحيث لا يحتمل النقيض عنده اصلا، ولو انصف العامة لعلموا ان نصوص ائمتنا ـعليهم السلام ـ و معجزاتهم اوضح تواتراً من نصوص النبى ـصلى الله عليه و آله ـ و معجزاته ولو انصف اليهود والنصارى وامثالهم لعلموا ان تواتر نصوص نبينا و ائمتنا ـعليهم السلام ـ و معجزاتهم اوضح و أقوى من تواتر نصوص انبيائهم و معجزاتهم، كما أشرنا اليه سابقاً[١].

ثم ان الشيخ الحر العاملى مع انه جمع النصوص فى سبعة اجلاد ضخمة قال: وقد تركت أحاديث كثيرة ـمن الكتب التى رأيتها و طالعتها، لضعف دلالتها، و احتياجها الى بعض التوجيهات، وضم بعض المقدمات ـ لعدم الاحتياج الى ذلك القسم، و من جملته أحاديث تفضيل امير المؤمنين و سائر الائمة ـعليهم السلام ـ فانها أكثر من أن تحصى، ومالم انقله منه ربما كان اكثر

١. اثبات الهداة: ج١ ص ٣٥ـ٣٦.

مما نقلته، ولكن لكثرة النصوص والمعجزات اكتفيت بما ذكرته، ومن شك او شكك أو تعصب بعد الاطلاع على ما جمعته فالله تعالى حاكم بيننا و بينه، فانه قد تجاوز حد التواتر اللفظى والمعنوى، ولا يوجد في شيء من المتواترات اللفظية والمعنوية ما يماثله ولا يقاربه، و ناهيك بنقل جميع الخصوم له و عدم خلو شيء من مؤلفات الفريقين منه الا النادر والله ولى التوفيق[٢].

ولذا قال الخواجه نصيرالدين الطوسي ـ قدس سره ـ بعد اثبات امامة على عليه السلام: والنقل المتواتر دل على الاحد عشر.

و كيف كان فالروايات على أصناف و طوائف، منها: ما يدل على أن الائمة اثناعشر من قريش، وقد مرت الاشارة اليها.

و منها: ما يدل على أنهم كانوا معينين عند الرسول الاعظم عليه الصلوات والسلام، كقوله ـ صلى الله عليه و آله ـ أخبرنى جبرئيل بأسمائهم و أسماء آبائهم[٣].

و منها: ما يدل على ذكر بعض خصوصياتهم كقوله ـ صلى الله عليه و آله ـ: من سره أن يحيى حياتى و يموت ميتتى و يدخل الجنة التى وعدنيها ربى، و يتمسك بقضيب، غرسه ربى بيده، فليتول على بن ابيطالب و اوصيائه من بعده، فانهم لا يدخلونكم فى باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم، الحديث[٤].

وكقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ: أنا رسول الله

٢. اثبات الهداة: ج١ ص ٧٥ـ٧٦.
٣. اثبات الهداة: ج١ ص ٢٤٩.
٤. اثبات الهداة: ج٢ ص ٢٥٤.

الى الناس اجمعين، ولكن سيكون من بعدى ائمة على الناس من الله من اهل بيتى، يقومون فى الناس فيكذبون، و يظلمهم ائمة الكفر والضلال واشياعهم، الحديث[5].

و كقول على -عليه السلام-: ان ليلة القدر فى كل سنة و انه ينزل فى تلك الليلة أمر السنة، و ان لذلك الامر ولاة بعد رسول الله، فقيل من هم فقال انا و أحد عشر من صلبى ائمة محدثون[6].

وكقول ابى جعفر -عليه السلام-: نحن اثناعشر اماماً منهم حسن و حسين ثم الائمة من ولد الحسين -عليه السلام-[7].

وكقول رسول الله -صلى الله عليه و آله-: من بعدى اثناعشر نقيباً نجيباً محدثون مفهمون آخرهم القائم بالحق يملاها كما ملئت جوراً، و هكذا زادت الروايات بياناً من جهة الاسماء والصفات و ساير الخصوصيات حتى لا يبقى مجال للترديد والتشكيك فكل واحد من الائمة الاثنى عشر، منصوص من قبل الامام السابق، حتى ينتهى الى تنصيص الرسول -صلى الله عليه وآله- و تنصيصه ينتهى الى تنصيص الله سبحانه و تعالى.

قال الشارح العلامة -قدس سره- عند تبيين امامة الائمة الاحد عشر «واستدل على ذلك بوجوه ثلاثة، الوجه الاول: النقل المتواتر من الشيعة خلفاً عن سلف، فانه يدل على امامة كل واحد من هؤلاء بالتنصيص، وقد نقل المخالفون ذلك من طرق متعددة تارة على الاجمال، و اخرى على التفصيل، كما روى عن رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- متواتراً انه قال للحسين -عليه السلام-: هذا ابنى امام ابن امام اخو

۵ و ۶. اثبات الهداة: ج٢ ص ٢۵۶.
٧. اثبات الهداة: ج٢ ص ٢٩٨.

امام ابو ائمة تسعة تاسعهم قائمهم، و غير ذلك من الاخبار، وروى عن مسروق و قال بينا نحن عند عبدالله بن مسعود اذ قال له شاب هل عهد اليكم نبيكم ـ صلى الله عليه و آله و سلم ـ كم يكون من بعده خليفة قال انك لحديث السن و ان هذا شيء ما سألنى أحد عنه، نعم عهد الينا نبينا ـ صلى الله عليه و آله وسلم ـ أن يكون بعده اثناعشر خليفة عدد نقباء بني اسرائيل.

الوجه الثاني: قد بينا أن الامام يجب ان يكون معصوماً، و غير هؤلاء ليسوا معصومين اجماعاً فتعينت العصمة لهم، و الا لزم خلو الزمان عن المعصوم، وقد بينا استحالته.

الوجه الثالث: ان الكمالات النفسانية والبدنية بأجمعها موجودة فى كل واحد منهم، و كل واحد منهم كما هو كامل فى نفسه، كذا هو مكمل لغيره و ذلك يدل على استحقاقه الرياسة العامة لانه أفضل من كل احد فى زمانه و يقبح عقلا تقديم المفضول على الفاضل فيجب أن يكون كل واحد منهم اماماً و هذا برهان لمى[٨].

هذا كله مضافا الى دعوى الامامة عن كل واحد من الائمة الاثنى عشر، و ظهور المعجزة فى أيديهم، وقد تواترت معجزاتهم عند خواصهم و شيعتهم كما هو مسطورة فى كتب الاثار عن الائمة الاطهار، و هى شاهدة على صدقهم فى دعويهم، ولذا تسلم الامامية لامامتهم، و اجمعوا عليها جيلا بعد جيل، و نسلا بعد نسل، كما هو واضح.

ثم انك بعد ما عرفت من قطعية أن الائمة هم الاثنا عشر لا اقل ولا اكثر، نعلم بطلان دعوى الامامة عن غيرهم، كما نعلم بعد قطعية الخاتمية، بطلان دعوى

٨. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٩٨ الطبع الحديث.

النبوة بعد نبوة نبينا محمد ـ صلى‌الله عليه و آله ـ ولا حاجة بعد بطلانها الى الفحص والتحرى حول مدعى من ادعى الامامة، كما لاحاجة الى الفحص والتحرى حول مدعى النبوة بعد العلم ببطلان دعواها كما لا يخفى.

٩ـ عقيدتنا في المهدي «ع»

ان البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخرالزمان ليملأ الارض قسطاً و عدلا بعد ما ملئت ظلماً و جوراً ثابتة عن النبي صلى‌الله عليه و آله بالتواتر، و سجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم، و ليست هي بالفكرة المستحدثة عند (الشيعة) دفع اليها انتشار الظلم والجور فحلموا بظهور من يطهر الارض من رجس الظلم، كما يريد أن يصورها بعض المغالطين غير المنصفين.

و لولا ثبوت (فكرة المهدي) عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين و تشبعت في نفوسهم واعتقدوها لما كان يتمكن مدعوا المهدية في القرون الاولى كالكيسانية والعباسيين، و جملة من العلويين وغيرهم، من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم، طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم المهدية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة و بسط نفوذهم عليهم.

و نحن مع ايماننا بصحة الدين الاسلامي، و أنه خاتمة الاديان الالهية ولا نترقب ديناً اخر لاصلاح البشر، و مع ما نشاهد من انتشار الظلم و استشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة، و مع ما نرى من انكفاء المسلمين انفسهم عن دينهم و تعطيل احكامه و قوانينه في جميع الممالك الاسلامية و عدم التزامهم بواحد من الالف من احكام الاسلام، نحن مع كل ذلك لابد ان ننتظر الفرج بعودة الدين الاسلامي الى قوته و تمكينه من اصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ثم لا يمكن أن يعود الاسلام الى قوته و سيطرته على البشر عامة و هو عليه اليوم و قبل اليوم من اختلاف معتنقيه في قوانينه و احكامه وفي افكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم و قبل اليوم من البدع

والتحريفات فى قوانينه والضلالات فى ادعاءاتهم.

نعم لا يمكن ان يعود الدين الى قوته الا اذا ظهر على رأسه مصلح عظيم يجمع الكلمة، و يرد عن الدين تحريف المبطلين، ويبطل ما الصق به من البدع والضلالات بعناية ربانية وبلطف الهى. ليجعل منه شخصا هاديا مهديا، له هذه المنزلة العظمى والرياسة العامه والقدرة الخارقة ليملأ الارض قسطاً و عدلا بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

والخلاصة أن طبيعة الوضع الفاسد فى البشر البالغة الغاية فى الفساد والظلم مع الايمان بصحة هذا الدين و انه الخاتمة للاديان يقتضى انتظار هذا المصلح «المهدى (ع)»، لانقاذ العالم مما هو فيه.

ولاجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة، بل الامم من غير المسلمين غير أن الفرق بين الامامية و غيرها هو أن الامامية تعتقد ان هذا المصلح المهدى هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً هو ابن الحسن العسكرى و اسمه (م‌ح‌م‌د).

و ذلك بما ثبت عن النبى و آل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته و احتجابه.

ولا يجوز ان تنقطع الامامة و تحول فى عصر من العصور و ان كان الامام مخفياً ليظهر فى اليوم الموعود به من الله تعالى الذى هو من الاسرار الالهية التي لا يعلم بها الا هو تعالى.

ولا يخلو من ان تكون حياته و بقاؤه هذه المدة الطويله معجزة جعلها الله تعالى له و ليست هى بأعظم من معجزة أن يكون اماماللخلق و هو ابن خمس سنين يوم رحل والده الى الرفيق الاعلى ولا هى بأعظم من معجزة عيسى اذ كلم الناس فى المهد صبياً و بعث فى الناس نبياً.

و طول الحياة أكثر من العمر الطبيعى أو الذى يتخيل أنه العمر الطبيعى لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها، غير أن الطب بعد، لم يتوصل الى ما يمكنه من تعمير حياة الانسان.

و اذا عجز عنه الطب فان الله تعالى قادر على كل شيء، وقد وقع فعلا تعمير نوح، و بقاء عيسى عليهماالسلام كما اخبر عنهما القرآن الكريم... ولو شك الشاك فيما اخبر به القرآن فعلى الاسلام السلام.

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن امكان ذلك، وهو يدعى الايمان بالكتاب العزيز.

و مما يجدر أن نذكره في هذا الصدد و نذكر انفسنا به، أنه

ليس معنـى انتظار هـذا المصلح المنقذ (المهدى (ع))، أن يقف المسلمون مكتوفي الايدى فيما يعود الى الحق مـن دينهم، ومـا يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله، والاخذ بأحكامه والامربالمعروف والنهى عن المنكر.

بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما انزل من الاحكام الشرعية، و واجب عليه السعى لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرقالموصلة اليها حقيقة، و واجب عليه أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك و بلغت اليه قدرته (كلكم راع و كلكم مسئول عـن رعيته). فلا يجوز له التأخر عـن واجباته بمجـرد الانتظار للمصلح «المهدى (ع)» والمبشر الهادى.

فان هذا لا يسقط تكليفاً ولا يؤجل عملا ولا يجعل الناس هملا كالسوائم(١).

---

(١) يقع البحث فى مقامات:

احدها: ان مقتضى ما مر من أدلة لزوم الامـامة والعصمة، هو عدم خلو كل عصر و زمان عنوجود الامام المعصوم سواء قام بالسيف اولم يقم، ظهر اولم يظهر، و عليه فنعتقد بوجود الامام المعصوم الحى فى كلزمان.

و بهذا الامر الثابت يظهر بطلان المذاهب التى أهمل أصحابها هذا الاصل الاصيل كالزيدية الـذين قالوا بامامة كل فاطمى عالم زاهد خرج بالسيف مـع ادعاء الامامة[١] فانهم اهملوا العصمة بمـا اعتقدوا و ذهبوا اليه هذا مضافاً الى ان بعض الائمة الذين لـم يشهروا سيفهم، كعلى بن الحسين، والامـام الباقـر والامام الصادق الى الامام الثانىعشر ممن نص النبى ـصلىالله عليه و آلهـ والائمة الاول علـى امـامتهم، فاشتراط القيام بالسيف اشتراط شىء فـى قبال نص النبى ـصلىالله عليه و آلهـ على امامتهم الا ترى ما روى فى كتب الفريقين عن النبى ـصلىالله عليه وآلهـ

١. فرق الشيعة: ص ٧٨.

فـى الحسن والحسين ـعليهما السلامـ: هـذان ولداى امامان قاما او قعدا، ولو كان القيام بالسيف شرطاً لما صدر ذلك عن النبى ـصلى الله عليه و آلهـ قال العلامة الحلى ـقدس سرهـ: كلام الزيدية باطل من وجوه. الاول: قولهم بعدم العصمة وهم يشاركون كل من خالف الامامية فى هذه المقالة الى أن قال: الخامس ليس القيام بالسيف شرطاً لقوله ـعليه السلامـ فى الحسن والحسين ـعليهما السلامـ هذان ولداى امامان قاما اوقعدا، ولوكان القيام بالسيف شرطاً لما صح نفيه عنهما كالعلم والعدالة[٢] و مما ذكر يظهر ايضاً بطلان مذهب الفطحية الذين قالوا بامامة عبدالله بن جعفر وهكذا بطلان مذهب الاسماعيلية الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر مـع انهمـا ليسا بمعصومين وليسا بـداخلين فيمـا نص النبى والائمة السابقة ـعليهم الصلوات والسلامـ على امامتهم.

ثانيهما: ان مقتضى الاخبار المتواترة ان الائمة عليهم السلام هم الاثنا عشر، لااقـل ولا اكثر، و لازم ذلك ايضاً بطلان اعتقاد من ذهب الى الازيد، كالزيدية، او الـى الاقـل كالكيسانية الـذين قالـوا بـامـامة على عليه السلام و بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية، و قالوا انه الامام المنتظر اعنى المهدى الذى يملا الارض عدلا و هو الى الان مستتر فى جبل رضوى بقرب المدينة[٣].

هذا مضافاً الى اهمالهم العصمة و اعراضهم عـن النصوص الخاصة مـن النبى والائمة المـاضين علـى اشخاص الائمة اللاحقين عليهم السلام.

٢. كشف الفوائد: ص ٨٣.
٣. راجع كشف الفوائد: ص ٨٢.

و مما ذکر یظهر ایضاً بطلان مذهب الناووسية الذين وقفوا على امامة الامام جعفر الصادق عليه‌السلام و بطلان مذهب الواقفية الذين وقفوا على امامة الامام موسى الكاظم عليه‌السلام، وعليه‌فالحق هو مذهب الاثنى عشرية الذين قالوا بامامة اثنى‌عشر كما نص النبى والائمة الاول صلوات الله عليهم على اشخاصهم.

ثالثها: ان فكرة وجود الامام فى كل عصر و زمان ليست فكرة حديثة بل هى امر له سابقة من لدن خلقة البشر، لما عرفت من اقامة البراهين التامة على لزوم الارتباط بين الخلق و خالقه بالنبوة أو الامامة واكدها النبى صلى‌الله عليه و آله بجملات، منها من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية[۴] فالاعتقاد بالامامة كان مبتنياً على اساس قويم برهانى، بل فكرة كون الائمة فى‌الاسلام اثنى‌عشر، و فكرة كون الائمة الاحد عشر ـعليهم‌السلامـ من نسل النبى، و نسل على و فاطمة. و نسل الحسين عليهم‌السلام، و بعض‌خصوصيات اخر أمر سماوى اخبر به الانبياء السالفة و نبينا ـصلى‌الله عليه و آلهـ بالتواتر من الاخبار.

روى فى منتخب الاثر عن كفاية الاثر باسناده الى ام‌سلمة قالت قال رسول‌الله ـصلى‌الله عليه و آلهـ:لما اسرى بى الى السماء نظرت فاذا مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول‌الله أيدته بعلى و نصرته بعلى ورأيت أنوار على و فاطمة والحسن والحسين، و انوار على‌بن الحسين و محمدبن على و جعفربن محمد وموسى بن جعفر و على بن موسى و محمدبن على، و على‌بن محمد، والحسن بن على، و رأيت نورالحجة يتلا لامن

۴. موسوعة الامام المهدى: ص ۹ نقلا عن احمدبن حنبل فى مسنده: ج۲ ص ۸۳، و ج ۳ ص ۴۴۶، و ج ۴ ص ۹۶۰ و غيره من الاعلام فراجع.

بينهم كأنه كوكب درى فقلت يارب من هذا؟ ومن هؤلاء؟ فنوديت يامحمد هذا نور على وفاطمة وهذا نور سبطيك الحسن والحسين و هذه انوار الائمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، و هذا الحجة الذى يملا الارض (الدنيا نخ) قسطاً و عدلا[5].

و عليه ففكرة ظهور الامام الثانى عشر ارواحنا فداه و غلبته على الظلم والجور، واقامته للعدل والقسط والحكومة الالهية الاسلامية في جميع اقطار الارض، أمر سماوى أخبر به الانبياء السابقة و نبينا محمد ـصلى الله عليه و آلهـ والائمة الاطهار ـصلوات الله عليهمـ بالتواتر، و وقع كما اخبروا من دون ريب و شبهة بل يمكن اقامة البرهان عليه بمايلى:

قال العلامة الطباطبائي ـقدس سرهـ فى «الشيعة فى الاسلام» تحت عنوان بحث فى ظهور المهدى (عج) من وجهة نظر العامة: و كما اشرنا فى بحث النبوة والامامة وفقاً لقانون الهداية الجارية فى جميع انواع الكائنات، فالنوع الانسانى منه مجهز بحكم الضرورة بقوة (قوة الوحى والنبوة) ترشده الى الكمال الانسانى والسعادة النوعية، و بديهى ان الكمال والسعادة لولم يكونا أمرين ممكنين و واقعين للانسان الذى تعتبر حياته حياة اجتماعية لكان أصل التجهيز لغواً و باطلا ولا يوجد لغو فى الخلقة مطلقاً.

و بعبارة اخرى ان البشر منذ أن وجد على ظهر البسيطة كان يهدف الى حياة اجتماعية مقرونة بالسعادة، و كان يعيش لغرض الوصول الى هذه المرحلة، ولولم تتحقق هذه الامنية فى الخارج، لما منى الانسان نفسه بهذه الامنية فلولم يكن هناك غذاء لم يكن هناك جوع

۵. منتخب الاثر: ص ۱۱۴.

و اذا لم يكن هناك ماء لم يكن عطش و اذا لم يكن تناسل لم تكن علاقة جنسية.

فعلى هذا و بحكم الضرورة (الجبر) فان مستقبل العالم سيكشف عن يوم يهيمن فيه العدل والقسط على المجتمع البشرى و يتعايش ابناء العالم فى صلح و صفاء و مودة و محبة تسودهم الفضيلة والكمال وطبيعى ان استقرار مثل هذه الحالة بيد الانسان نفسه، والقائد لمثل هذا المجتمع سيكون منجى العالم البشرى، و على حد تعبير الروايات سيكون المهدی[٦].

و كيف كان فنذكر من الروايات الكثيرة المتواترة رواية واحدة، و هی ما رواه فی فرائد السمطين عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ـ صلى‌الله عليه و آله و سلم ـ: ان خلفائی و أوصيائی و حجج الله على الخلق بعدی لاثناعشر، اولهم أخی و آخرهم ولدی قيل يا رسول‌الله و من اخوك؟ قال علی بن ابی‌طالب، قيل فمن ولدك؟ قال المهدی الذی يملاها قسطا و عدلا، كما ملئت جوراً و ظلماً والذی بعثنی بالحق بشيرا لولم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتی‌يخرج فيه ولدی المهدی فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلی خلفه، و تشرق الارض بنور ربها، و يبلغ سلطانه المشرق والمغرب[٧].

قال الشهيد السيد محمدباقر الصدر ـ قدس‌سره ـ: «ان فكرة المهدی بوصفه القائد المنتظر لتغير العالم الى الافضل قد جاءت فی‌أحاديث الرسول الاعظم عموماً، وفی روايات ائمة اهل‌البيت خصوصا، و أكدت فی نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى اليها الشك،

٦. الشيعة فی‌الاسلام تعريب بهاءالدين: ص ١٩٥.
٧. موسوعة الامام المهدی: ص ٧٥ نقلا عن فرائد السمطين: ج٢ ص ٥٦٢.

وقد أحصى أربعمائة حديث عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ من طرق اخواننا أهل السنة كما أحصى مجموع الاخبار الواردة في الامام المهدي من طرق الشيعة والسنة، فكان اكثر من ستة آلاف رواية. هذا رقم احصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الاسلام البديهية التي لا شك فيها لمسلم عادة»[٨].

ثم مما ذكر يظهر وجه ضعف القول بأن فكرة ظهور المهدي مستحدثة عند الشيعة هذا مضافاً الى ما اشار اليه في المتن من أنه لولا ثبوت فكرة المهدي عن النبي ـ صلى الله عليه و آله ـ على وجه عرفها جميع المسلمين و تشبعت في نفوسهم و اعتقدوها لما كان يتمكن مدعو المهدية في القرون الاولى كالكيسانية والعباسيين و جملة من العلويين و غيرهم من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان فجعلوا ادعائهم المهدية الكاذبة طريقا للتأثير على العامة و بسط نفوذهم عليهم.

ثم لا يخفي عليك قصورما أفاده المصنف من أن طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم مع الايمان بصحة هذا الدين و انه الخاتمه للاديان يقتضي انتظار هذا المصلح (المهدي) لانقاذ العالم مما هو فيه و لاجل ذلك آمنت بهذا الانتظارجميع الفرق المسلمة الخ.

فان مجرد طبيعة الوضع الفاسد يقتضي اظهار مصلح و اخراجه حتى يتمكن به اصلاح العالم مما هو فيه ولا يدل على وقوع هذا الاصلاح الا بضميمة ما بشر الله به في الكتاب العزيز من غلبة الدين الاسلامي على جميع الاديان كقوله: «هو الذي ارسل رسوله بالهدى و

٨. بحث حول المهدي: ص ٦٣ـ٦٤.

دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» أو بضميمة بشارة النبي والائمة الماضين ـعليهم السلام ـ بوقوع هذا الامر وحتميته و هذا هو السبب في ايمان جميع الفرق المسلمة بذلك الانتظار لا مجرد طبيعة الوضع الفاسد فلا تغفل.

رابعها: ان الفرق بين الامامية و غيرها من الفرق المسلمة بل الامم من غير المسلمين هو ان الامامية تعتقد بوجود هذا المصلح، و انه المهدي بن الحسن العسكري و متولد في سنة ۲۵۶ هجرية ولا يزال حيا.

والدليل عليه هو أمران، احدهما: الروايات الدالة على خصوص شخصه، و أنه ثاني عشر من الائمة و انه التاسع من ولد الحسين ـعليه السلام ـ و نحو ذلك فان مثل هذه الروايات الكثيرة المتواترة تدل على وجوده و الا لم يكن تاسعاً من ولد الحسين أو ثاني عشر من الائمة الذين لا يخلو الارض منهم، و هذه الروايات نقلت قبل وجوده و شاعت و كانت محفوظة و مسطورة في الجوامع.

قال الشهيد السيد محمدباقر الصدر ـقدس سره ـ في ذيل قوله ـصلى الله عليه و آله ـ «الخلفاء والامراء اثناعشر»: «قد احصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت اكثر من مأتين و سبعين رواية مأخوذة من اشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة، بما في ذلك البخاري و مسلم والترمذي و ابي داود و مسند احمد و مستدرك الحاكم على الصحيحين و يلاحظ ان البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للامام الجواد والامامين الهادي والعسكري عليهما السلام»[۹].

و ثانيهما: هو ما اشار اليه في المتن حيث قال وما

۹. بحث حول المهدي: ص ۶۵ـ۶۶.

تواتر عندنا من ولادته واحتجابه ولا يجوز ان تنقطع الامامة و تحول في عصر من العصور و ان كان الامام مخفياً الخ.

ولقد أفاد و أجاد الشهيد السيد محمدباقر الصدر ـ قدس سره ـ حيث قال: «ان المهدى حقيقة عاشتها امة من الناس و عبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الاخرين، ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام أو تحايلا في التصرف، أو تهافتاً في النقل، فهل تتصور ـ بربك ـ ان بامكان اكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، و يمارسها أربعة على سبيل الترتيب، كلهم ينفقون عليها و يظلون يتعاملون على اساسها و كأنها قضية يعيشونها بانفسهم ويرونها باعينهم دون ان يبدر منهم اى شيء يثير الشك و دون أن يكون بين الاربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ و يكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع، و ايمانهم بواقعية القضية، التى يدعون انهم يحسونها ويعيشون معها ـ الى ان قال ـ و هكذا نعرف ان ظاهرة الغيبة الصغرى، يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لاثبات ما لها من واقع موضوعى و التسليم بالامام القائد بولادته و حياته و غيبته و اعلانه العام عن الغيبة الكبرى لتى استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لاحد»[١٠].

هذا مضافاً الى اخبار الامام العسكرى ـ عليه السلام ـ بولادته لاصحابه و رواية جمع منهم اياه، قبل وفاة ابيه كاحمد بن اسحاق و غيره و ظهور المعجزة على يده، وقد ذكر الطبرسى ـ قدس سره ـ جمعاً كثيراً ممن رآه في حال غيبته و وقف على معجزاته من الوكلاء وغيرهم،

١٠. بحث حول المهدى: ص ٧١ـ٧٢.

و قال: «و اما غیبته الصغری منها فهی التی کانت فیها سفراؤه موجودین و ابوابه معروفین لا تختلف الامامیة القائلون بامامة الحسن بن علی فیهم، فمنهم ابوهاشم داود بن القاسم الجعفری و محمدبن علی بن بلال و ابوعمر و عثمان بن سعید السمان و ابنه ابوجعفر محمد بن عثمان و عمر الاهوازی و احمد بن اسحاق و ابو محمد الوجنانی وابراهیم بن مهزیار ومحمدبن ابراهیم فی جماعة اخری ربما یاتی ذکرهم عند الحاجة الیهم فی‌الروایة عنهم، و کانت مدة هذه الغیبة اربعاً وسبعین سنة، و کان ابوعمر و عثمان بن سعید العمری باباً لابیه و جده من قبل، وثقه لهما، ثم تولی الباقیة من قبله و ظهرت المعجزات علی یده الخ»[۱۱].

و قال الشیخ المفید ـقدس‌سرهـ فی ذیل باب من رای الامام الثانی عشر و طرف من دلایله و بیناته و امثال هذه الاخبار فی معنی ما ذکرناه کثیرة والذی اقتصرنا علیه منها کاف فیما قصدناه[۱۲].

و قال ایضاً فی ذیل باب (دلائله و معجزاته): «والاحادیث في هذا المعنی کثیرة، و هی موجودة فی الکتب المصنفة المذکورة فیها اخبار القائم علیه‌السلام و ان ذهبت الی ایراد جمیعها طال بذلک الکتاب، وفیما اثبته منها مقنع و لله الحمد والمنة»[۱۳].

هذا مع رؤیة جمع کثیر ایاه ـعلیه‌السلامـ فی‌حال غیبته الکبری، وقد تصدی بعض الاعلام لذکر قصصهم و یکفیک النجم الثاقب، ولنا طرق صحیحة لرؤیة بعض الاعزة الکرام، و اتصالهم معه، أرواحنا فداه، و سنشیر

۱۱. اعلام‌الوری: ص ۴۱۶ـ۴۲۵.
۱۲. ارشاد المفید: ص ۳۲۹ـ۳۳۰.
۱۳. ارشاد المفید: ص ۳۳۶.

اليها عند المناسبة.

قال فی منتخب الاثر فی ذيل الفصل الخامس الباب الاول فی معجزاته فیغيبته الكبری. «وقد ذكر فیالبحار حكايات كثيرة جداً فـی ذلك، و هكذا ذكـر المحدث النوری فی دار السلام، و جنة الماوی، والنجم الثاقب، والفاضل الميثمی العراقی فی دار السلام، و غيرهم من المحدثين والعلمـاء معجـزات كثيرة تتجاوز عـن حد التواتر قطعاً، و اسناد كثير، منهـا فـی غاية الصحة والمتانة رواها الزهاد والاتقياء من العلماء. هذا مع ما نری فی كل يوم و ليلة من بركات وجـوده و ثمـرات التوسل والاستشفاع به مما جربناه مراراً»[۱۴] و قـال أيضا فی ذيل الفصل المذكور الباب الثانی فيمن راه فی غيبته الكبری: «واعلم أن ما ذكرناه فی هذا الفصلليس الا قليلا منالحكايات والاثارالمذكورة فیالكتبالمعتبرة والاكتفاء به لعدم اتساع هذا الكتاب لازيد منه مضافاً الی أن هذه الاثار والحكايات بلغت فی الكثرة حدايمتنع احصاؤها وقد ملاوا العلماء كتبهم عنها فراجع البحار والنجم الثاقب و جنة الماوی، ودارالسلام المشتمل علی ذكر من فاز بسلام الامام والعبقری الحسان و غيرهاحتی تعرف مبلغاً من كثرتها، ومن تصفح الكتب المدونة فيها هذه الحكايات التی لا ريب فی صحة كثير منهـا لقوة اسناده، و كون ناقليه منالخواص، و الرجال المعروفين بالصداقة والامـانة والعلم والتقوی يحصل لـه العلم القطعی الضروری بوجوده عليهالسلام»[۱۵].

خـامسها: أن مسألة الغيبة للامـام الثانـی عشر

۱۴. منتخب الأثر: ص ۴۱۱.
۱۵. منتخب الأثر: ص ۴۲۵.

أرواحنا فداه مما نص عليه النبى ـصلىالله عليه وآلهـ والائمة الاطهار ـعليهمالسلامـ قبل ولادته و غيبته و اليك بعض هذه الاخبار.

قال رسولالله ـصلىالله عليه و آلهـ: «المهدى من ولدى يكون له غيبة و حيرة تضل فيهما الامم يأتى بذخيرة الانبياء فيملاها عدلا و قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً»[١٦].

و قال ـصلىالله عليه و آلهـ ايضاً: «طوبى لمن أدرك قائم أهلبيتى و هو يأتم به فى غيبته قبل قيامه، و يتولى اولياءه، و يعادى أعداءه ذاك من رفقائى وذوى مودتى، و أكرم امتى يوم القيامة»[١٧].

و قال اميرالمؤمنين ـعليهالسلامـ: «للقائم منا غيبة أمدها طويل كأنى بالشيعة يجولون جولان النعم فى غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، الا فمن ثبت منهم على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة امامه فهو معى فى درجتى يوم القيامة»[١٨].

و قال الامام الحسن بن على ـعليهماالسلامـ: «اذا خرج ذاك التاسع من ولد اخى الحسين ابن سيدة الاماء يطيل الله عمره فى غيبته ثم يظهره بقدرته فى صورة شاب ابن دون اربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»[١٩].

و قال الامام الحسين بن على ـعليهماالسلامـ: «قائم هذه الامة هو التاسع من ولدى و هو صاحب الغيبة و هو الذى يقسم ميراثه و هو حى»[٢٠].

١٦. اثبات الهداة: ج۶ ص ٣٩٠.
١٧. بحارالانوار: ج٥١ ص ٧٢.
١٨. بحارالانوار: ج٥١ ص ١٠٩.
١٩ و ٢٠. بحارالانوار: ج٥١ ص ١٣٢.

روى المفضل عن الصادق ـعليه‌السلام‌ـ انه قال: «ان لصاحب‌هذا الامر لغيبتين، أحدهما أطول من‌الاخرى الحديث.

قال الشيخ الطوسى بعد نقل هذا الحديث: «و يدل ايضاً على امامة ابن الحسن ـعليه‌السلام‌ـ و صحة غيبته ما ظهر و اشتهر من الاخبار الشايعه الذايعة عن‌آبائه ـعليهم‌السلام‌ـ قبل هذه الاوقات بزمان طويل من أن لصاحب هذا الامر غيبة و صفة غيبته، وما يجرى فيها من الاختلاف، و يحدث فيها من الحوادث، و انه يكون له غيبتان احديهما أطول من الاخرى، و ان الاولى‌تعرف فيها أخباره، والثانية لا تعرف فيها اخباره، فوافق ذلك على ما تضمنته الاخبار، ولولا صحتها و صحة امامته، لما وافق ذلك، لان ذلك لا يكون الا باعلام الله على‌لسان نبيه»[۲۱].

و قال أمين الاسلام الطبرسى ـقدس‌سره‌ـ: «ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين من الشيعة الحسن‌بن محبوب الزراد و قد صنف كتاب المشيخة الذى هو فى اصول الشيعة أشهر من كتاب المزنى و امثاله، قبل‌زمان الغيبة باكثر من مائة سنة تذكر فيه بعض ما اوردناه من اخبار الغيبة فوافق الخبر الخبر و حصل كل ماتضمنه الخبر بلا اختلاف»[۲۲]. فاخبار الغيبة متواترة و مسطورة فى‌الكتب قبل‌ولادته ـعليه‌السلام‌ـ قال‌المحقق اللاهيجى ـقدس‌سره‌ـ ان وجوب غيبة الامام الثانى عشر متواتر عن النبى، و كل واحد من الائمة ـ عليهم‌الصلوات والسلام[۲۳].

۲۱. اثبات‌الهداة: ج۷ ص ۳ـ۴.
۲۲. اعلام‌الورى: ص ۴۱۶.
۲۳. سرمايه ايمان: ص ۱۴۶.

قال المحقق القمی ـ قدس سره ـ: «ان کثیراً من جوامع الشیعة الفت قبل ولادة جنابه علیه السلام، فهذه الاخبار مضافاً الی کونها متواترة و مفیدة للیقین تکون مقرونة بالاعجاز، لاشتمالها علی الاخبار بتولده ووقوع ما اخبروا به»[٢٤].

ثم ان الغیبة الصغری وقعت من سنة ٢٦٠ الهجریة الی سنة ٣٢٩ و هی تقرب سبعین سنة والغیبة الکبری وقعت من سنة ٣٢٩ و دامت الی یومنا هذا سنة ١٤٠٩ الهجریة و تدوم الی یوم الظهور عجل الله تعالی فرجه الشریف، و جعلنا من أعوانه و انصاره بلطفه و کرمه، و لعل الغیبة الصغری وقعت علی ما لها من نوع ارتباط خاص بین نوابه الخاصة و بین المؤمنین به تمهیداً، لوقوع الغیبة الکبری التی لاصلة بینه و بین المؤمنین ولو بعنوان النیابة الخاصة و انما کانت وظیفة المؤمنین فیها هو الرجوع الی النواب العامة.

قال الشهید السید محمد باقر الصدر ـ قدس سره ـ: «وقد لوحظ ان هذه الغیبة اذا جاءت مفاجاة حققت صدمة کبیرة للقواعد الشعبیة للامامة فی الامة الاسلامیة لان هذه القواعد کانت معتادة علی الاتصال بالامام فی کل عصر والتفاعل معه، والرجوع الیه فی حل المشاکل المتنوعة فاذا غاب الامام عن شیعته فجأة و شعروا بالانقطاع عن قیادتهم الروحیة والفکریة سببت هذه الغیبة المفاجاة، الاحساس بفراغ دفعی هائل قد یعصف بالکیان کله، و یشتت شمله فکان لابد من تمهید لهذه الغیبة لکی تألفها هذه القواعد بالتدریج و تکیف نفسها شیئاً فشیئاً علی اساسها و کان هذا التمهید هو الغیبة الصغری، التی اختفی فیها الامام المهدی عن المسرح

٢٤. اصول دین: ص ٦٣.

العام غير أنه كان دائم الصلة بقواعده و شيعته عن طريق وكلائه و نوابه، والثقاة من اصحابه، الذين يشكلون همزة الوصل بينه و بين الناس المؤمنين بخطه الامامى»[٢٥].

ثم ان النواب الخاصة فى الغيبة الصغرى اربعة وهم ابوعمر و عثمان بن سعيد العمرى (بفتح العين وسكون الميم) وابوجعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمرى و ابوالقاسم حسين بن روح نوبختى وابوالحسن على بن محمد السمرى وهم الاجلاء الكرام والوجوه المظام.

قال الشيخ الطوسى ـ قدس سره ـ: «فاما السفراء الممدوحون فى زمان الغيبة، فأولهم من نصبه ابوالحسن على بن محمد العسكرى، و ابومحمد الحسن بن على بن محمد ابنه ـ عليه السلام ـ و هو الشيخ الموثوق به ابوعمر و عثمان بن سعيد العمرى و كان اسدياً الى أن نقل فى حقه عن الامام على بن محمد الهادى ـ صلوات الله عليه ـ انه قال هذا ابوعمر والثقة الامين ما قاله لكم فعنى يقوله، وما أداه اليكم فعنى يؤديه، و الى أن نقل فى حقه و ابنه عن ابى محمد الحسن ـ عليه السلام ـ و اشهدوا على ان عثمان بن سعيد العمرى وكيلى و ان ابنه محمداً وكيل ابنى مهديكم الى ان قال و كانت توقيعات صاحب الامر ـ عليه السلام ـ تخرج على يدى عثمان بن سعيد و ابنه ابى جعفر محمد بن عثمان الى شيعته و خواص ابيه أبى محمد بالامر والنهى والاجوبة عما تسأل الشيعة عنه اذا احتاجت الى السئوال فيه بالخط الذى كان يخرج فى حياة الحسن ـ عليه السلام ـ فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما الى ان توفى عثمان بن سعيد رحمه الله و غسله ابنه ابوجعفر، و

٢٥. بحث حول المهدى: ص ٦٨.

تولى القيام به، و حصل الامر كله مردوداً اليه، والشيعة مجتمعة على عدالته و ثقته و أمانته، لما تقدم له من النص عليه بالامانة، والامر بالرجوع اليه، فی حياة الحسن، و بعد موته فی حياة ابيه عثمان ـ رحمه‌الله ـ الی أن قال: خرج التوقيع الى الشيخ ابی‌جعفر محمدبن عثمان بن سعيد العمری ـ قدس‌الله روحه ـ فی التعزية بأبيه ـ رضی‌الله عنه ـ و جاء فی‌التوقيع المذكور اجزل الله لك الثواب و أحسن لك العزاء رزئت و رزئنا، و أوحشك فراقه و أوحشنا، فسره الله فی منقلبه، و كان من كمال سعادته أن‌رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من‌بعده، و يقوم مقامه بأمره و يترحم عليه و أقول الحمد لله، فان الانفس طيبة بمكانك وما جعله الله عزوجل فيك و عندك اعانك الله و قواك و عضدك و وفقك و كان‌لك ولياً و حافظاً و راعيا.

ثم قال الشيخ ـ قدس‌سره ـ والتوقيعات‌تخرج على يده الى الشيعة فی المهمات طول حياته بالخط الذی كانت تخرج فی حياة أبيه عثمان لا يعرف الشيعة فی هذا الامر غيره، ولا يرجع الى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة و معجزات الامام (التی) ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم فی‌هذا الامر بصيرة، و هی مشهور عند الشيعة وقد منا طرفاً منها فلا نطول باعادتها، الى ان روی انه لما حضرت ابا جعفر محمد ابن عثمان العمری الوفاة كان جعفر بن احمد بن متيل جالساً عند رأسه و ابوالقاسم بن روح جالساً عندرجليه، فالتفت الى جعفربن احمد بن متيل و قال أمرت أن اوصی الى ابی‌القاسم الحسين بن روح فقام جعفر بن احمد بن متيل من عند رأسه، و أخذ بيد أبی‌القاسم و أجلسه فی مكانه و تحول نفسه الى عند رجليه.

الى أن قال: لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، الى أن قال: فدخلوا على أبي جعفر -رضي‌الله عنه- فقالوا له ان حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم هذا أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي‌بحر النوبختي، القائم مقامي والسفير بينكم و بين صاحب الامر، والوكيل له، والثقة الامين، فارجعوا اليه في اموركم، وعولوا عليه فى مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت.

الى أن قال الشيخ: و كان ابوالقاسم -رحمه‌الله- من أعقل الناس عند المخالف والموافق، الى أن قال: وأوصى ابوالقاسم الى أبي‌الحسن علي‌بن محمد السمرى -رضي‌الله عنه- فقام بما كان الى أبي‌القاسم فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه فلم يظهر شيئاً من ذلك وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى الى أحد بعده فى هذا الشأن الى أن قال فأخرج الى الناس توقيعاً قبل وفاته نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن محمد السمرى اعظم الله أجر اخوانك فيك فانك ميت ما بينك و بين ستة ايام فاجمع أمرك ولا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره، و ذلك بعد طول الامد و قسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً و سيأتي شيعتي من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج‌السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

قال الشيخ قال راوى الخبر فنسخنا هذا التوقيع و خرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا اليه و هو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك فقال لله

أمر هو بالغه و قضى، فهذا آخر كلام سمع منه ـ رضى الله عنه و أرضاه ـ»[٢٦].

فالمستفاد من ملاحظة الكلمات المذكورة هوظهور تسلم الشيعة على نيابتهم الخاصة، و وجه ذلك ماعرفت من ظهور الكرامات والمعجزات على أيديهم بحيث يكشف عن صلتهم مع الامام الثانى عشر ارواحنا فداه.

هذا مضافاً الى ما ورد في وثاقتهم و جلالتهم، و كيف كان فقد تمهدت جامعة الشيعة بعد مضى زمان النواب الاربعة أن تصطبر لطيلة غيبة الكبرى لامامه الثانى عشر ارواحنا فداه، حتى يظهر باذن الله تعالى.

سادسها: ان السبب فى الغيبة ليس من ناحية الله تعالى ولا من ناحية الامام الثانىعشر ـ عليه السلام ـ لان كمال لطفه تعالى يقتضى ظهور وليه، كما أن مقتضى عصمة الامام الثانى عشر ارواحنا فداه هو ان لا يغيب عن وظائفه و هداية الناس و ارشادهم، و لذلك قال المحقق الخواجه نصيرالدين الطوسى ـ قدس سره ـ على ما حكى عنه: «ليست غيبة المهدى ـ عليه السلام ـ من الله سبحانه، ولامنه ـ عليه السلام ـ بل من المكلفين والناس، و هى من غلبة الخوف و عدم تمكين الناس من اطاعة الامام، فاذا زال سبب الغيبة وقع الظهور»[٢٧].

و أيضاً قال الفاضل المقداد: «و اما سبب خفائه فاما لمصلحة استأثر الله بعلمها، أو لكثرة العدو، و قلة الناصر، لان حكمته تعالى و عصمته عليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف، فيكون من الغير المعادى وذلك هو المطلوب»[٢٨].

٢٦. راجع البحار: ج٥١، ص ٣٤٤ـ٣٦١.
٢٧. راجع رسالة الامامة الفصل الثالث: ص ٢٥ نقلا عن كتاب نويد أمن وأمان.
٢٨. شرح الباب الحادىعشر: ص ٥٢ الطبع الجديد.

و يؤيد ذلك ما ورد عن مولينا اميرالمؤمنين ـعليه‌السلام‌ـ انه قال: «واعلموا أن الارض لا تخلو من حجة لله ولكن الله سيعمى خلقه منها بظلمهم وجورهم، و اسرافهم على انفسهم»[۲۹].

فالغيبة ناشئة من تقصير الناس وقد يوجه ذلك بان اقامة العدل العام العالمى تتوقف على قبول نصاب من عامة الناس فى اقطار العالم لاقامة العدل العالمى الالهى من ناحية الرجل الالهى، ولما يحصل هذا النصاب و ان قرب الناس الى‌قبوله، لازدياد احساس ان البشر من‌دون امداد غيبى لا يتمكن من الاصلاح العالمى ولو اخذوا بالمؤتمرات والمجالس المعدة للقيام بالعدل والاصلاح فان هذه المؤتمرات والمجالس عجزت عن ذلك المقصد العالى لانهم ليسوا أهلا له.

هذا مضافاً الى سلطة المفسدين من الدول القوية عليهم، ولذلك بسط الظلم والفساد فى النظام العالمى، و كلما ازدادت الايام زادت المفاسد والمظالم فى اقطار الارض، ولا يرفع تلك الا بأن يرجع اهل العالم فى‌اقطار الارض عن‌انحرافهم الى‌الصراط المستقيم، ويتمهدون لقبول العدل الالهى العالمي حتى يظهر الله تعالى وليه الاعظم، ارواحنا فداه، لاقامة العدل و ازالة الجور، و اليه يؤول ما اشار اليه المحقق اللاهيجى قدس‌سره حيث قال: اذا كان الامام المعصوم موجوداً و غائبا، فليس علينا بيان‌سبب غيبته بالتفصيل نعم يعلم‌اجمالاأن‌السبب فى غيبته ليس من جانبه، لانه معصوم، و يمتنع ترك الواجب منه، مع أن الظهور والقيام بأمر الامامة واقامة الشرايع من الواجبات، فسبب غيبة‌الامام من‌طرف رعيته لعدم نصرتهم اياه، فاذا تحقق مظنة النصرة من قبل

۲۹. مكيال‌المكارم: ج‌۱ ص ۱۳۲ الطبع الحديث.

الرعية وجب ظهوره[٣٠] ولقد افاد و اجاد الشهيد السيد محمدباقر الصدر ـقدس‌سرهـ حيث قال: «و على هذا الضوء ندرس موقف الامام المهدى ـعليه‌السلامـ لنجدان عملية التغيير التى اعد لها ترتبط من الناحية التنفيذية كأى عملية تغيير اجتماعى اخرى، بظروف موضوعية تساهم فى توفير المناخ الملائم لها، و من هنا كان من الطبيعي ان توقت وفقاً لذلك و من المعلوم أن المهدى لم يكن قد اعد نفسه لعمل اجتماعى محدود ولا لعلمية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك لان رسالته التى ادخر لها من قبل الله سبحانه و تعالى، هى تغيير العالم تغييراً شاملا واخراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور الى نور العدل و عملية التغيير الكبرى هذه لا يكفى فى ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح، والا لتمت شروطها فى عصر النبوة بالذات، وانما تتطلب مناخا عالمياً مناسباً و جوأ عاماً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية.

فمن الناحية البشرية يعتبر شعور انسان الحضارة بالنفاد عاملا اساسياً فى خلق ذلك‌المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة، و هذا الشعور بالنفاد يتكون و يترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التي‌يخرج منها انسان الحضارة مثقلا بسلبيات ما بنى مدركاًحاجته الى العون متلفتاً بفطرته الى الغيب أو الى المجهول[٣١].

هنا سئوال و هو انا نسلم ان القيام بالعدل العالمى يتوقف على قبول الناس لذلك و قبولهم يرتبط بشعور حاجتهم الى الاستمداد من الغيب، ولكن ذلك لا يوجه

٣٠. سرمايه ايمان: ص ١٥٢.

٣١. بحث حول‌المهدى: ص ٧٩ـ٨٠.

غيبته عن الناس، لا مكان أن يعيش بينهم، و يصبر حتى يجد الظرف الصالح لاقامة العدل الالهى.

والجواب عنه ان الامام ـعليه‌السلامـ ان ظهر قبل الموعد فان اتقى عن حكومة الجور فهو لا يناسبه و ان لم يتق فهم قتلوه فالغيبة مانعة عن قتله، و هذا امر تدل عليه الاخبار.

منها ما عن أبى‌عبدالله ـعليه‌السلامـ قال: «قال رسول‌الله ـصلى‌الله عليه وآلهـ: لابد للغلام من غيبة فقيل له ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل»[۳۲].

و منها ما عن ابى‌عبدالله ـعليه‌السلامـ انه قال: «صاحب هذا الامر تعمى ولادته على (هذا) الخلق لئلا يكون لاحد فى عنقه بيعة اذا خرج»[۳۳].

قال الشيخ الطوسى ـقدس‌سرهـ: «لا علة تمنع من ظهوره عليه‌السلام الا خوفه على نفسه من القتل لانه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار وكان يتحمل المشاق والاذى فان منازل‌الائمة وكذلك‌الانبياء ـعليهم‌السلامـ انما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة فى ذات‌الله تعالى.

فان قيل، هلا منع الله من قتله بما يحول بينه و بين من يريد قتله؟ قلنا: المنع الذى لا ينافى التكليف هو النهى عن‌خلافه والامر بوجوب اتباعه و نصرته، والزام الانقياد له، و كل ذلك فعله تعالى، و أما الحيلولة بينهم وبينه فانه ينافى التكليف وينقض الغرض، لان الغرض بالتكليف استحقاق الثواب، والحيلولة تنافى ذلك و ربما كان فى‌الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق فلا يحسن من الله فعلها[۳۴].

۳۲. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۹۰.
۳۳. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۹۵.
۳۴. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۹۸ـ۹۹.

و اما كون الغيبة موجبة لامتحان الخلق و تمحيصهم كما افيد فى بعض الاخبار عن موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ: «اذا فقد الخامس من ولد السابع من الائمة فالله فى أديانكم، لا يزيلنكم عنها أحد، يا بنى انه لابد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به انما هى محنة من الله امتحن الله بها خلقه»[۳۵] وغيره فهو بيان فائدة الغيبة لا سببها، ولذلك قال الشيخ ـ قدس سره ـ: «و اما ما روى من الاخبار من امتحان الشيعة فى حال الغيبة و صعوبة الامر عليهم و اختبارهم للصبر عليه، فالوجه فيها الاخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق، الى أن قال: بل سبب الغيبة هو الخوف على ما قلناه، و أخبروا بما يتفق فى هذه الحال، وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك، والتمسك بدينه الى أن يفرج الله (تعالى) عنهم»[۳۶].

سابعها: ان جميع ابعاد وجود الامام لطف فوجوده فى نفسه مع قطع النظر عن ساير ابعاده لطف لانه وجود انسان كامل فى النظام الاحسن و هو مما يقتضيه علمه تعالى به و رحمته المطلقة و كماله المطلق هذا مضافاً الى ان مقتضى تمامية الفاعل و قابلية القابل كما هو المفروض فى وجود ائمتنا ـ عليهم السلام ـ هو لزوم وجودهم والالزم الخلف، اما فى تمامية الفاعل أو قابلية القابل، والاول محال لعدم العجز والنقصان والبخل فيه تعالى والثانى خلاف المفروض فان قابلية الائمة ـ عليهم السلام ـ لكمال الانسانية واضحة وبديهية عند الشيعة الامامية و فى لسان الاخبار فيدوم الخلافة الالهية

۳۵. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۱۳.
۳۶. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۵۵.

بوجودهم، كما دل في قوله تعالى: «اني جاعل في الارض خليفة» على استمرار هذه الخلافة الالهية، و لذا استدل الامام الصادق والامام الكاظم ـعليهما السلامـ في موثقة اسحاق بن عمار على استمرار الخلافة و عدم انقطاعها بقوله تعالى: «اني جاعل في الارض خليفة» و قالا و ان الله عزوجل اذا قال قولا وفى به[٣٧] و يؤيده ما ورد في الحديث القدسي عنه تعالى انه قال كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف[٣٨] اذ يعلم منه ان الباعث على ايجاد الانسان هو المعرفة الكاملة به تعالى، فليكن في كل وقت فرد بين آحاد الانسان يعرفه كما هو حقه، ولا يحصل ذلك في غير النبي والامام، فلابد من وجود النبي أو الامام بين الناس حتى تحصل المعرفة الكاملة به تعالى كما هو حقه.

و لعل اليه يرجع الروايات الدالة على أنه لولا محمد و آله ـعليهم السلامـ لما خلق الله الخلق، كما قال رسول الله ـصلى الله عليه و آلهـ: «يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض»[٣٩].

و يؤكد ذلك ما استفيض من الاخبار الدالة على أن الائمة ـعليهم السلامـ علة غائية للخلقة كما ورد «نحن الذين بنا يمسك الله السماء ان تقع على الارض الا باذنه و بنا يمسك الارض ان تميد باهلها و بنا ينزل الغيث و ينشر الرحمة و يخرج بركات الارض و لولا ما في الارض منا لساخت باهلها»[٤٠] و ورد من الناحية

٣٧. تفسير نورالثقلين: ج١ ص ٤٢ نقلا عن الكافي.
٣٨. مصابيح الانوار: ج٢ ص ٤٠٥.
٣٩. غاية المرام: ج١ ص ٢٦ الطبع الثاني.
٤٠. فرائد السمطين: ج١ ص ٤٥ بنقل وابستگى جهان به امام زمان: ص ٣٨.

المقدسة على يد محمد بن عثمان... و اني لامان لاهل الارض كما أن النجوم امان لاهل السماء[٤١].

قال العلامة المجلسي ـقدس سره ـ: «ثبت بالاخبار المستفيضة انهم العلل الغائية لايجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود الى غيرهم، و ببركتهم والاستشفاع بهم، والتوسل اليهم، يظهر العلوم والمعارف على الخلق، و يكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح اعمالهم، أنواع العذاب»[٤٢] و الى غير ذلك من شواهد الاخبار و هذا كله بالنسبة الى اصل وجوده ثم ان تصرفه أيضاً لطف سواء كان ظاهرياً او باطنياً و سواء كان في الانس أو الجن، او غيرهما فاذا منع مانع عن ظهوره للناس بحيث يستر و يغيب فلا يضر بكونه لطفاً من جهة او جهات اخر، فان المانع يمنعه عن نوع من انواع لطف ابعاد وجوده.

هذا مضافاً الى ان تصرفه في الناس لا يتوقف جميع انواعه على الظهور، بل له ان يتصرف في بعض الامور مع غيبته عن الناس.

قال العلامة الطباطبائي ـقدس سره ـ: «ان وظيفة الامام و مسئوليته لم تنحصر في بيان المعارف الالهية بشكلها الصورى ولم يقتصر على ارشاد الناس من الناحية الظاهرية، فالامام فضلا عن توليه ارشاد الناس الظاهرى يتصف بالولاية والارشاد الباطني للاعمال ايضاً، و هو الذى ينظم الحياة المعنوية للناس و يتقدم بحقائق الاعمال الى الله جل شأنه، وبديهي أن حضور او غيبة الامام الجسماني في هذا المضمار ليس له أى تأثير، والامام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس و يشرف عليها

٤١. بحارالانوار: ج٥٢ ص ٩٢.
٤٢. بحارالانوار: ج٥٢ ص ٩٣.

و ان بعد عن الانظار، و خفي عن الابصار، فان وجوده لازم دائماً و ان تأخر وقت ظهوره و اصلاحه للعالم[٤٣] بل اتمام الحجة به على المتمردين متوقف على وجوده بخلاف ما اذا لم يكن موجوداً فان تعذيب الناس حينئذ قبيح لعدم اتمام الحجة من الله عليهم[٤٤].

على ان غيبته عن الناس لا يستلزم غيبته عن جميع آحادهم، بل له أن يظهر لبعضهم و ارشاده لهم كما ثبت ذلك بالتواتر من الحكايات الواردة في تشرفهم خدمته و حل مشاكلهم و اهتدائهم بهدايته، كما لا يستلزم غيبته عن الجن من الخلق، مع أنه امام لهم فانهم ايضا محجوجون بوجوده فبمثل ما ذكر يظهر أن لطف وجود الامام لطف مضاعف و لطف على لطف، كماهو نور على نور، و عليه ففوائد وجوده في زمن الغيبة واضحة، فلا وجه للقول بأنه لا فائدة لوجوده بعد ما غاب عن الناس، و هذا أمر اشير اليه في الاخبار أيضاً و اليك بعضها:

روى الاعمش عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «لم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور او غائب مستور، ولا تخلو الى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، و لولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان فقلت للصادق ـ عليه السلام ـ: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور، فقال كماينتفعون بالشمس اذا سترها السحاب»[٤٥].

ثامنها: ان مسألة طول عمر الامام الثاني عشر ارواحنا فداه سهلة، لمن اعتقد بالمعجزات و خوارق

٤٣. الشيعة في الاسلام: ص ١٩٩ تعريب جعفر بهاءالدين.
٤٤. راجع كتاب سرمايه ايمان: ص ١٥٢.
٤٥. بحارالانوار: ج٥٢ ص ٩٢.

العادات اذ الامتناع العادى لا يمنع عن امكانه كساير المعجزات، فان العلل والاسباب لا دليل على انحصارها فىالاسباب العادية الموجودة المألوفة.

قال العلامة الطباطبائي ـقدس‌سره ـ: «لكن الذى يطالع الاخبار الواردة عن الرسول الاعظم فى خصوص الامام‌الغائب، وكذا سايرائمةاهل‌البيت ـعليهم‌السلام ـ سيلا حظ ان نوع الحياة للامام الغائب تتصف بالمعجزة خرقا للعادة، و طبيعي أن خرق العادة ليس بالامر المستحيل، ولا يمكن نفى خرق العادة عن طريق العلم مطلقاً.

لذا لا تنحصر العوامل والاسباب التى تعمل فى الكون فى حدود مشاهدتنا و التى تعرفنا عليها ولا نستطيع نفى عوامل اخرى و هى بعيدة كل البعد عنا، ولا علم لنا بها، أو أننا لا نرى آثارها و أعمالها، أو نجهلها ومن هذا يتضح امكان ايجاد عوامل فى فرد أو افراد من البشر، بحيث يستطيع تلك العوامل ان تجعل الانسان يتمتع بعمر طويل جداً قد يصل الى الالف أو آلاف من السنوات، فعلى هذا فان عالم الطب لم ييأس حتى الآن من كشف طرق لاطالة عمر الانسان»[۴۶].

ولكن لا يذهب عليك ان عدم اليأس عن‌كشف طرق للاطالة، لا يخرج طول عمر الامام الثانى عشر عن‌كونه خارق‌العادة لان طول العمر المذكور بدون كشف طرق الاطالة غير طبيعي، سيما اذا بقى على صورة رجل له اقل من اربعين سنة كما فى بعض الاخبار و عليه فطول عمره ـعليه‌السلام ـ اعجاز أخبر به النبى والائمة الاطهار ـعليهم صلوات‌الله و سلامه ـ بالتواتر، واجمع الاصحاب على الايمان به كساير المعجزات بلا كلام.

۴۶. الشيعة فى الاسلام: ص ۱۹۸.

ولقد أفاد و أجاد المصنف ـقدس‌سره‌ـ حيث قال: «ولا يخلو من أن تكون حياته و بقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى له و ليست هى بأعظم من معجزة أن يكون اماماً للخلق، و هو ابن خمس سنين يوم رحل والده الى الرفيق الاعلى، ولا هى باعظم من معجزة عيسى، اذ كلم الناس فى المهد صبياً و بعث فى الناس نبياً» الى آخر ما قال.

نعم يزيد مثل هذه المعجزة على ساير المعجزات التى ليست من قبيلها من جهة وجود الامكان العلمى فيها الذى أشار اليه العلامة الطباطبائى ـقدس‌سره‌ـ بقوله: «فعلى هذا فان عالم الطب لم ييأس حتى الآن من كشف طرق لاطالة عمر الانسان» دون ساير المعجزات التى ليست من قبيلها فان العلم التجربى لا يرجو فيها بكشف طرق للنيل اليها، كاحياء الموتى أو جعل النار برداً و سلاماً، أو جعل صبى أو طفل عالماً بجميع العلوم والمغيبات، وان كانت هذه الامور ممكنة بالامكان العقلى، اذ لا يلزم من وجودها تناقض، ولا اجتماع الضدين، ولا اجتماع المثلين ولقد أفاد و أجاد و أطال الشهيد السيد محمد باقر الصدر فى هذا المجال فراجع[47].

و كيف كان فازدياد الامكان العلمى فى مثل المقام، و ان لم يوجب تفاوتاً فى قبول المؤمنين بالله تعالى و قدرته للمعجزات، ولكن يمكن أن يوجب تفاوتاً فى تسليم غير المؤمنين من الماديين، الذين أشكلوا علينا بطول العمر زائداً على المألوف.

تاسعها: ان الارتباط مع الامام الثانى عشر ـعليه‌السلام‌ـ صار منقطعاً من زمن الغيبة الكبرى، اذ

٤٧. بحث حول المهدى: ص ١٩ـ٣٨.

لا يكون له محل معلوم حتى نرجع اليه، أو نسال عنه، او نتصل معه و نراه، أو نكتب اليه و نأخذ الجواب، ولكن المنقطع هو بعض الانواع من الارتباط الذی كان مألوفا بينه و بين الشيعة، و بقی انواع اخر، و هو أنه ـعليه‌السلامـ يرانا ولا نراه الا اذا يرينا نفسه ويحضر بعض مجالسنا، و يزور الحسين و ساير الائمة ـعليهم السلامـ و يحج و يحضر المواسم و يجيب بعض من يليق لجوابه، و ينظر الى اعمال الشيعة و خواصه، و يسر من حسناتهم، و يغضب من سيئاتهم، و يعين وكلائه العامة بالدعاء والارشاد والتصرف فی قلوبهم و يشرف على أحوال الشيعة، فاذا اتصلوا اليه بالدعاء للفرج والتوسل والاستشفاع به اقبل عليهم و يدعو لهم، و يطلب من الله تعالى أن يقضی حوائجهم، وقد ورد فی توقيعه ـعليه‌السلامـ الى الشيخ المفيد، انا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، و لولا ذلك لنزل بكم اللاواء و اصطلمكم الاعداء[٤٨].

و هذه الارتباطات معلومة واضحة، لمن أمعن النظر فی‌جوامع‌الحديث والحكايات الواردة فی‌هذه‌الاتصالات و ليست هی بقليلة طيلة الغيبة الكبرى اذ كثير جداً من‌راه ومن استشفى به فاشفاه، ومن استجاب منه فاجاب، وقد ثبت عندی مع قلة اطلاعی جملة من ذلك فی عصری، وما اليه قريب.

منها انه ـعليه‌السلامـ حضر لاقامة صلاة الميت على ام بعض اصدقاء أبی ـرحمهما‌اللهـ بعدتشييعهاو تجهيزها فی صحن ابن‌بابويه ـقدس‌سرهـ فی الری.

و منها انه حضر فی مجلس دعاء الندبة الذی كان يقيمه الشيخ الزاهد العارف المتقی المرتضى المجد

٤٨. مكيال المكارم: ج١ ص ٤٤.

ـقدس سره ـ فى طهران.

و منها: انه حضر عند السيد محمد الفشاركى شيخ مشايخنا في سر من راه لحل مشكلته فى المسائل العلمية

ومنها: انه حضر فى موسم الحج، وقال لبعض الاخيار من اهل الدزفول اذا رجعت فابلغ سلامى الى الشيخ محمد طاهر وقل له اقرء هذا الدعاء ثم غاب الامـام و نسى بعض الاخيار الدعاء فرجع الى الدزفول و ذهب الى بيت الشيخ محمد طاهر لابلاغ سلام الامام المهدى ـعليه السلام ـ فاذا فرغ من ابلاغ السلام تذكر الدعاء وقال، قال الامام اقرء هذا الدعاء ثم نسى الدعاء بعد ما قاله للشيخ ولم يتذكره و لما استدعى من الشيخ أن يذكر له الدعاء قال الشيخ هو سر من الاسرار فلم يتجاوزنى، و غير ذلك من التشرفات.

هذا مضافاً الـى ارسال بعض الخواص لحل بعض مشاكل الشيعة أو اخبارهم ببعض الامور المهمة، وغير ذلك من الامدادات التى هى كثيرة جداً بحيث لو التفت الانسان اليها حصل له اطمئنان بانه لا يكون بعيدا عن سيده و مولاه، بل يكون تحت ولايته و امداده و عنايته و انما علينا التوجه والالتفات اليه والارتباط معه، كما فسر فى بعض الصحاح قوله تعالى: «رابطوا» فى الاية الكريمة «يا ايها الذين آمنوا اصبروا و صابـروا و رابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» بالارتباط مع الامام الثانى عشر ـعليه السلام ـ.

عاشرها: ان رؤية الامام الثانى عشر ـعليه السلام ـ وقعت فى زمن الغيبة الكبرى لبعض الصالحين، وقصصهم و حكاياتهم كثيرة جداً، و مذكورة فى الكتب، منهـا: النجم الثاقب و جنة المأوى، و من أمعن النظر اليهـا

اطمأن بوقوعها ولا كلام فيه، وانما الكلام فیأن مسألة الرؤية هل تنافی مع قوله ـ عليه السلام ـ فی التوقيع الوارد على علی بن محمد السمری ـ قدس سره ـ «وسيأتی شيعتی من يدعی المشاهدة ألا فمن ادعی المشاهدة قبل خروج السفيانی والصيحة فهو كذاب مفتر» أم لا تنافی؟ والذی يمكن ان يقال ان ملاحظة صدر هذا التوقيع تكفی لرفع المنافاة لانه يشهد على أن المراد نفی من ادعی البابية كبابية النواب الاربعة، ولا يظهر منه نفی مطلق الرؤية.

و اليك صدر التوقيع بسم الله الرحمن الرحيم يا علی بن محمد السمری اعظم الله أجر اخوانك فيك، فانك ميت ما بينك و بين ستة ايام فاجمع امرك ولا توص الى احد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره و ذلك بعد طول الامد، و قسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً، و سيأتی شيعتی من يدعی المشاهدة الخ كما احتمله فی البحار حيث قال لعله محمول على من يدعی المشاهدة مع النيابة و ايصال الاخبار من جانبه ـ عليه السلام ـ الى الشيعة، على مثال السفراء لئلا ينافی الاخبار التی مضت و ستأتی فيمن راه ـ عليه السلام ـ والله يعلم[٤٩].

واستظهره السيد صدر الدين الصدر فی كتابه «المهدی» حيث قال: «و هذه الكتب تخبرنا عن جماعة انهم شاهدوه و تشرفوا بخدمته، ولا ينافی ذلك ما ورد من تكذيب مدعی الرؤية، فان المراد تكذيب مدعی النيابة الخاصة بقرينة صدر الرواية»[٥٠] وهنا أجوبة اخرى ذكرها العلامة الحاج ميرزا حسين النوری فی جنة

٤٩. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٥١.

٥٠. راجع كتاب المهدی، ص ١٨٤، الطبع الحديث.

المأوى[۵۱].

هذا مضافاً الى أن مثل قوله و سيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة الخ مع قطع النظر عن الصدر لا يفيد الا الظن والظن لا يقاوم مع القطع الحاصل من القضايا التى تدل على رؤيته، ولعل اليه ينظر ما حكى عن فوائد العلامة الطباطبائى ـقدس سره ـ حيث قال: «وقد يمنع ايضا امتناعه (أى امتناع رؤيته) فى شان الخواص و ان اقتضاه ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار و دلالة بعض الآثار»[۵۲].

الحادى عشر: مسألة الانتظار وقد أكد فى الاخبار على انتظار الفرج و اليك بعضها:

عن ينابيع المودة عن مناقب الخوارزمى عن ابى جعفر عن ابيه عن جده عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ـصلى الله عليه و سلم ـ: «افضل العبادة انتظار الفرج»[۵۳].

و عن الاحتجاج عن ابى حمزة الثمالى عن أبى خالد الكابلى عن على بن الحسين ـعليهما السلام ـ قال: «تمتد الغيبة بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله ـصلى الله عليه و آله ـ والائمة بعده، يا أبا خالد ان أهل زمان غيبته القائلون بامامته، المنتظرون لظهوره افضل اهل كل زمان، لان الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، و جعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ بالسيف،

۵۱. راجع جنة المأوى المطبوعة فى خاتمة بحار الانوار: ج۵۳ ص ۳۱۸.
۵۲. راجع جنة المأوى المطبوعة فى خاتمة بحار الانوار: ج۵۳ ص ۳۲۵.
۵۳. المهدى: ص ۲۱۱ الطبع الحديث.

اولئك المخلصون حقاً، و شیعتنا صدقا والدعاة الی دین الله سراً و جهراً و قال ـعلیه‌السلام ـ انتظار الفرج من أعظم الفرج»[٥٤].

و عن الخصال الاربعمائة قال امیرالمؤمنین ـعلیه‌السلام ـ: «انتظروا الفرج ولا تیأسوا من روح‌الله فان أحب‌الاعمال الی الله عزوجل انتظار الفرج»[٥٥].

و عن محاسن البرقی عن أبی‌عبدالله ـعلیه‌السلام ـ قال: «من مات منکم علی هذا الامر منتظراً له، کان کمن کان فی فسطاط القائم ـعلیه‌السلام ـ»[٥٦] و عن محاسن البرقی ایضاً عن عبدالحمید الواسطی قال: «قلت لابی جعفر ـعلیه‌السلام ـ أصلحك الله والله لقد ترکنا أسواقنا انتظاراً لهذا الامر، حتی أو شك الرجل منا یسأل فی یدیه، فقال: یا عبدالحمید أتری من حبس نفسه علی الله لا یجعل الله له مخرجاً بلی، والله‌لیجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علینا رحم‌الله عبداً أحیا أمرنا قال: قلت: فان مت قبل أن ادرك‌القائم، فقال: القائل منکم ان ادرکت القائم من آل محمد نصرته کالمقارع معه بسیفه، والشهید معه له شهادتان»[٥٧] و لعل المراد من‌ترك الاسواق هو ترك مالا یلیق بالمنتظر.

و عن اکمال الدین عن عمار الساباطی قال: «قلت لابی عبدالله ـعلیه‌السلام ـ العبادة مع الامام منکم المستتر فی السر فی دولة الباطل أفضل، أم العبادة فی ظهور الحق و دولته مع الامام الظاهر منکم؟ فقال: یا عمار، الصدقة فی‌السر والله افضل من الصدقة فی

٥٤. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٢.
٥٥. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٣.
٥٦. بحارالانوار: ج٥٣ ص ١٢٥.
٥٧. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٦.

العلانية، و كذلك عبادتكم فى السر، مع امامكم المستتر فى دولة الباطل افضل لخوفكم من عدوكم فى دولة الباطل و حال الهدنة، ممن يعبد الله فى ظهور الحق مع الامام الظاهر فى دولة الحق و ليس العبادة مع الخوف فى دولة الباطل مثل العبادة مع الامن فى دولة الحق اعلموا أن من صلى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوه في وقتها فاتمها، كتب الله عزوجل له بها خمسة و عشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صلاة نافلة في وقتها فاتمها كتب الله عزوجل له بها عشر صلوات نوافل، و من عمل منكم حسنة كتب الله له بها عشرين حسنة، و يضاعف الله تعالى حسنات المؤمن منكم اذا أحسن أعماله، و دان الله بالتقية على دينه، و على امامه و على نفسه، و أمسك من لسانه، اضعافاً مضاعفة كثيرة ان الله عزوجل كريم.

قال: فقلت: جعلت فداك قد رغبتنى فى العمل، و حثثتني عليه، ولكنني أحب أن اعلم: كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالا من اصحاب الامام منكم الظاهر في دولة الحق و نحن وهم على دين واحد، و هو دين الله عزوجل؟

فقال: انكم سبقتموهم الى الدخول فى دين الله، والى الصلاة والصوم والحج والى كل فقه و خير، و الى عبادة الله سراً من عدوكم مع الامام المستتر، مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحق، خائفون على امامكم وعلى انفسكم من الملوك تنظرون الى حق امامكم و حقكم فى ايدى الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطروكم الى جذب الدنيا و طلب المعاش مع الصبر على دينكم و عبادتكم و طاعة ربكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم فهنيئاً لكم هنيئاً.

قال: فقلت جعلت فداك فما نتمنى اذاً أن نكون من أصحاب القائم ـعليه‌السلام‌ـ فى ظهور الحق؟ و نحن اليوم فى امامتك و طاعتك أفضل اعمالا من أعمال أصحاب دولة الحق.

فقال: سبحان الله اما تحبون أن يظهر الله عزوجل الحق والعدل فى‌البلاد، و يحسن حال عامة الناس، و يجمع الله الكلمة ويؤلف بين‌القلوب المختلفة، ولايعصى الله فى أرضه، و يقام حدود الله فى خلقه، و يرد الحق الى أهله، فيظهروه حتى لا يستخفى بشىء من الحق مخافة أحد من الخلق.

أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على‌الحال التى أنتم عليها الا كان افضل عندالله عزوجل من كثير ممن شهد بدراً واحداً فابشروا»[58].

و عن اكمال الدين عن محمد بن الفضيل عن‌الرضا ـعليه‌السلام‌ـ قال: «سألته عن شىء من الفرج، فقال: أليس انتظار الفرج من الفرج؟ ان الله عزوجل يقول: «فانتظروا انى معكم من المنتظرين»[59].

وعن اكمال الدين عن الرضا ـعليه‌السلام‌ـ: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله تعالى: «فارتقبوا انى معكم رقيب» و قوله عزوجل: «وانتظروا انى معكم من المنتظرين» فعليكم بالصبر فانه انما يجىء الفرج على اليأس فقد كان الذين من قبلكم اصبر منكم»[60].

و عن اكمال الدين عن ابى‌ابراهيم الكوفى الى أن قال: فقال لى ابوعبدالله عليه‌السلام، الى أن قال:

٥٨. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٧ـ١٢٨.
٥٩. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٨.
٦٠. بحارالانوار: ج٥٢ ص ١٢٩.

«المنتظر للثانی عشر كالشاهر سيفه و بين يدى رسول الله ـصلى‌الله عليه و آله ـ يذب عنه»[61].

عن غيبة الشيخ الطوسی ـقدس‌سره ـ عن ابی عبدالله ـعليه‌السلام ـ قال: قال رسول‌الله ـصلى‌الله عليه و آله ـ: «سيأتی قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول‌الله نحن كنا معك ببدر و أحد و حنين و نزل فينا القرآن، فقال: انكم لو تحملوا لما حملوا لم تصبروا صبرهم»[62].

عن غيبة النعمانی عن أبی‌بصير عن ابی‌عبدالله ـعليه‌السلام ـ انه قال ذات يوم: «ألا اخبركم بما لايقبل الله عزوجل من العباد عملا الا به، فقلت: بلى فقال: شهادة أن لا اله الا الله، و أن محمداً عبده و رسوله، والاقرار بما امر الله والولاية‌لنا، والبراءة من اعدائنا، يعنى ائمة خاصة والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم، ثم قال: ان لنا دولة‌يجیء الله بها اذا شاء ثم قال: من سر ان يكون من اصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع و محاسن الاخلاق و هو منتظر، فان مات و قام القائم بعده كان له من الاجرمثل اجر من ادركه فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم ايتها العصابة المرحومة»[63].

عن غيبة النعمانی عن ابی‌بصير قال: «قلت لابی عبدالله عليه‌السلام جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا ابا بصير انت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الامر فقد فرج عنه بانتظاره»[64].

و عن تفسير النعمانی عن اميرالمؤمنين ـعليه

۶۱ و ۶۲. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۲۹ و ۱۳۰.

۶۳. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۴۰.

۶۴. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۴۲.

السلام ـ انه قال: قال رسول‌الله ـ صلی‌الله علیه و آله ـ: «یا اباالحسن حقیق علی الله أن یدخل أهل الضلال الجنة و انما عنی بهذا المؤمنین الذین قاموا فی زمن الفتنة علی الائتمام بالامام الخفی المکان، المستور عن الاعیان، فهم بامامته مقرون، و بعروته مستمسکون، و لخروجه منتظرون موقنون غیر شاکین، صابرون مسلمون وانما ضلوا عن مکان امامهم، و عن معرفة شخصه» الحدیث[۶۵].

و عن اکمال الدین عن علی بن محمد بن زیاد قال: کتبت الی أبی الحسن ـ علیه‌السلام ـ أساله عن الفرج، فکتب الی: «اذا غاب صاحبکم عن دار الظالمین فتوقعوا الفرج»[۶۶].

و عن اکمال الدین عن ابی بصیر قال: «قال الصادق جعفر بن محمد ـ علیهما‌السلام ـ فی قول الله عزوجل «یوم یأتی بعض آیات ربك لا ینفع نفساً ایمانها لم تکن آمنت من قبل او کسبت فی ایمانها خیراً» قال: یعنی یوم خروج القائم المنتظر منا.

ثم قال ـ علیه‌السلام ـ: یا ابابصیر طوبی لشیعة قائمنا، المنتظرین لظهوره فی غیبته والمطیعین له فی ظهوره اولئك اولیاء الله الذین لا خوف علیهم ولاهم یحزنون»[۶۷].

تنبیه

و اعلم ان الانتظار لیس بمعنی رفض المسئولیة والعمل والتعهد، و احالة ذلك الی الامام المهدی

۶۵. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۴۴.
۶۶. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۵۰.
۶۷. بحارالانوار: ج۵۲ ص ۱۴۹ـ۱۵۰.

ـعليه السلامـ لقيام الضرورة على بقاء التكاليف، هذا مضافاً الى التصريح في رواية غيبة النعماني و غيرها، بلزوم الالتزام بأمر الله والولاية للائمة والبرائة من اعدائهم، واختيار الورع والاجتهاد والطمأنينة، فمن ادعى أنه من المنتظرين و مع ذلك خالف أمر الله أو تولى لاعداء الله أو أراد غير الائمة ـعليهم السلامـ من الطواغيت، ولا يكون من اهل الورع ولا يجتهد في العمل بالدين، و ليس له طمانينة في هذا السبيل و سلب عن نفسه المسئولية و تكاليفه، فهو من الضالين المنحرفين، و ليس في الحقيقة من المنتظرين و انما المنتظر من يصلح نفسه و أصلح الامور، و ينتظر و يتوقع الفرج، فيما لم يقدر على اصلاحه فالمنتظر لمقدم مولينا الامام القائم ارواحنا فداه أتى بما عليه و أعد نفسه لنصرة الامام، ولا يزال مراقباً، والمراقب هو المعد لذلك سيما اذا انتظر الفرج صباحاً و مساء، فالمنتظرون هم الجند المجند، والمسئوولون المتعهدون، والصالحون المصلحون، و من المعلوم ان هؤلاء يحتاجون الى الصبر والمقاومة و أما الذين سلبوا عن انفسهم المسئولية فلا حاجة لهم الى الصبر، و تعبير رسول الله ـصلى الله عليه و آلهـ عن الانتظار بالعبادة يناسب انتظار هؤلاء المتعهدين لا الذين رفضوا التكاليف والمسئولية كما ان الانتظار بالمعنى المذكور يوجب الفرج عن الضلالة والنجاة عن الانحراف عن المسير بحيث ان ظهر الامام الثاني عشر ارواحنا فداه أمكن له أن يدخل في زمرة ناصريه، فايمانه بالامام قبل ظهوره وانتظاره ينفعه عند ظهوره، و يصير كما نص عليه الامام الصادق ـعليه السلامـ من مصاديق قوله تعالى: «اولئك اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون».

و هؤلاء المنتظرون هم المستحقون لما ورد من أن المنتظر للثانی عشر كالشاهر سیفه بین یدی رسول الله ـصلی‌الله علیه و آله ـ یذب عنه، و غیر ذلك من الفضایل.

ولقد أوضح ذلك آیة‌الله السید صدرالدین الصدر ـقدس سره ـ حیث قال: «الانتظار هو ترقب حصول الامر المنتظر و تحققه، ولا یخفی ما یترتب علی انتظار ظهور المهدی، من الامور الاصلاحیة الراجعة الی كل انسان، فضلا عن الهیئة الاجتماعیة سیما الشیعة الامامیة:

الاول: ان الانتظار بنفسه من حیث هو ریاضة‌مهمة للنفس حتی قیل الانتظار أشد من القتل، و لازمه اشغال القوة المفكرة و توجیه الخیال نحو الامر المنتظر، وهذا مما یوجب قهراً أمرین: الاول، قوة المفكرة ضرورة توجب ازدیاد القوی بالاعمال.

الثانی، تمكن الانسان من جمعها و توجیهها نحو أمر واحد، و هذان الامران من أهم ما یحتاج الیهما الانسان فی‌معاده و معاشه.

الثانی: یسهل وقع المصائب والنوائب و تخفف و طأتها اذا علم الانسان و عرف أنها فی معرض التدارك والرفع و شتان بین‌مصیبة علم الانسان‌تداركها و بین مصیبة لا یعلم ذلك سیما اذا احتمل تداركها عن قریب والمهدی ـعلیه‌السلام ـ بظهوره یملأ الارض قسطاً و عدلاً.

الثالث: لازم الانتظار محبة أن یكون الانسان من أصحاب المهدی و شیعته بل من أعوانه و أنصاره، و لازم ذلك أن یسعی فی اصلاح نفسه و تهذیب أخلاقه، حتی یكون قابلا لصحبة المهدی، والجهاد بین یدیه،

نعم ان ذلك يحتاج الى أخلاق قلما توجد بيننا اليوم.

الرابع: الانتظار كما انه يبعث الى اصلاح النفس بل والغير، كذلك يكون باعثاً وراء تهيئة المقدمات والمعدات الموجبة لغلبة المهدى على عدوه، و لازمه تحصيل ما يحتاج اليه من المعارف والعلوم سيما وقد علم أن غلبته على عدوه تكون بالاسباب العادية»[٦٨].

ثم ان الانتظار أثر الايمان بمجيء الامام الثاني عشر، الذى يملاء الارض عدلا كما ملئت ظلماً و جوراً مع كون ظهوره محتمل فى كل عصر و زمان و صباح و مساء، اذ القول بتأخير الظهور مردود بحسب الاخبار، كما أن القول بتوقيته كذلك، و أما ما ذكر من علائم الظهور فهى ليس جميعها من المحتومات، مع أن محتوماتها ايضاً قابلة للتغيير كما دل عليه بعض الروايات.

هذا مضافاً الى امكان وقوعها فى زمان قليل، فالانتظار ممكن فى كل الاحوال، اذ ظهوره لا يكون معلقاً بزمان اخر.

٦٨. المهدى: ص ٢١١_٢١٢ الطبع الحديث.

١٠ـ عقيدتنا في الرجعة

ان الذي تذهب اليه الامامية أخذاً بما جاء عن آل البيت ـ عليهم‌السلام ـ ان الله تعالى يعيد قوماً من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقاً، و يذل فريقاً آخر، و يديل المحقين من المبطلين و المظلومين منهم من الظالمين، و ذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه‌و عليهم أفضل الصلاة و السلام.

ولا يرجع الا من علت درجته في‌الايمان، أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك الى الموت و من بعده الى النشور و ما يستحقونه من الثواب أو العقاب كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله، أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون: «قالوا ربنا امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ـ المؤمن: ١١».

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة الى الدنيا و تظافرت بها الاخبار عن بيت العصمة و الامامية باجمعها عليه الا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة و الامر و النهي الى آل البيت بظهور الامام المنتظر من دون رجوع اعيان الاشخاص و احياء الموتى. و القول بالرجعة يعد عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها و كان المؤلفون منهم في رجال الحديث يعدون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي و الشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته و طرحها. و يبدو انهم يعدونها بمنزلة الكفر و الشرك بل اشنع فكان هذا الاعتقاد من اكبر ما تنبز به الشيعة الامامية و يشنع به عليهم.

ولا شك في أن هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الاسلامية فيما غبر ذريعة لطعن بعضها في بعض و الدعاية ضده، ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل، لان الاعتقاد بالرجعة لايخدش في

عقيدة التوحيد ولا فى عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين، اذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى، كالبعث و النشر، و هى من الامور الخارقة للعادة التى تصلح ان تكون معجزة لنبينا و آل بيته ـ صلى‌الله عليه و عليهم ـ و هى عيناً معجزة احياء الموتى التى كانت للمسيح ـ عليه‌السلام ـ بل ابلغ هنا لانها بعد أن يصبح الاموات رميماً «قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة و هو بكل خلق عليم ـ يس: ٧٩».

واما من طعن فى الرجعة باعتبار انها من التناسخ الباطل فلانه لم يفرق بين معنى التناسخ و بين المعاد الجسمانى و الرجعة من نوع المعاد الجسمانى، فان معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن الى بدن اخر منفصل عن الاول وليس كذلك معنى المعاد الجسمانى فان معناه رجوع نفس البدن الاول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة.

واذا كانت الرجعة تناسخاً فان احياء الموتى على يد عيسى ـ عليه‌السلام ـ كان تناسخاً، و اذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسمانى تناسخاً.

اذن لم يبق الا أن يناقش فى الرجعة من جهتين (الاولى) انها مستحيلة الوقوع (الثانية) كذب الاحاديث الواردة فيها. و على تقدير صحة المناقشتين فانه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التى هولها خصوم الشيعة. و كم من معتقدات لباقى طوائف المسلمين هى من الامور المستحيلة، أو التى لم يثبت فيها نص صحيح، و لكنها لم توجب تكفيراً و خروجا عن الاسلام، و لذلك أمثلة كثيرة: منها الاعتقاد بجواز سهو النبى أو عصيانه و منها الاعتقاد بقدم القرآن، و منها القول بالوعيد، و منها الاعتقاد بان النبى لم ينص على خليفة من بعده.

على أن هاتين المناقشتين لا اساس لهما من الصحة، أما أن الرجعة مستحيلة فقد قلنا انها من نوع البعث و المعاد الجسمانى غير انها بعث موقوت فى الدنيا، و الدليل على امكان البعث دليل على امكانها. ولا سبب لاستغرابها الا أنها أمر غير معهود لنا فيما الفناه فى حياتنا الدنيا. ولا نعرف من أسبابها او موانعها ما يقربها الى اعترافنا او يبعدها و خيال الانسان لا يسهل عليه أن يتقبل تصديق مالم يالفه، و ذلك كمن يستغرب البعث فيقول «من يحيى العظام و هى رميم» فيقال له «يحييها الذى انشاها اول مرة و هو بكل خلق عليم».

نعم فی مثل ذلك مما لا دليل عقلی لنا على نفيه أو اثباته او تتخيل علم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ الى النصوص الدينية التی هی مصدر الوحی الالهی و قد ورد فی القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة الى الدنيا لبعض الاموات، كمعجزة عيسى ـ عليه‌السلام ـ فی احياء الموتى «وابرىء الاكمه و الابرص و احيی الموتى باذن الله» و كقوله تعالی: «انى يحيی هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه» و الاية المتقدمة «قالوا ربنا امتنا اثنتين...» فانه لا يستقيم معنی‌هذه الاية بغيرالرجوع الى الدنيا بعد الموت، و ان‌تكلف بعض المفسرين فی‌تاويلها بما لا يروی الغليل ولا يحقق معنى الاية.

و أما المناقشة الثانية و هی دعوى ان الحديث فيها موضوع فانه لا وجه لها، لان الرجعة من الامور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الاخبار المتواترة.

و بعد هذا أفلا تعجب من كاتب شهير يدعی المعرفة مثل احمد امين فی كتابه (فجر الاسلام) اذ يقول: «فاليهودية ظهرت فی‌التشيع بالقول بالرجعة»، فانا اقول له على مدعاه: فاليهودية ايضا ظهرت فی القرآن بالرجعة، كما تقدم ذكر القرآن لها فی‌الايات المتقدمة.

و نزيده فنقول و الحقيقة انه لابد أن تظهر اليهودية والنصرانية فی كثير من المعتقدات و الاحكام الاسلامية لان النبی الاكرم (ص) جاء مصدقالما بين يديه، من الشرايع السماوية، و ان نسخ بعض احكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية فی بعض المعتقدات‌الاسلامية، ليس عيبا فی الاسلام، على تقدير أن الرجعة من الاراء اليهودية كما يدعيه هذا الكاتب.

و على كل حال فالرجعة ليست من الاصول التی يجب الاعتقاد بها و النظر فيها و انما اعتقادنا بها كان تبعا للاثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم‌السلام، الذين ندين بعصمتهم من الكذب، و هی من الامور الغيبية التی اخبروا عنها ولا يمتنع وقوعها (١).

---

(١) لا كلام فی ثبوت الرجعة فی الجملة بعد كونها من ضروريات المذهب‌كما أشار اليه المصنف ـ قدس سره ـ و صرح به غيره كالشيخ الحر العاملی ـ قدس سره ـ فی الايقاظ من الهجعة حيث قال: «ان ثبوت

الرجعة من ضروريات مذهب الامامية عند جميع العلماء المعروفين و المصنفين المشهورين، بل يعلم العامة أن ذلك من مذهب الشيعة»[١].

و هكذا لا مجال للكلام فيه بعد كون الاخبار الدالة على ثبوت الرجعة متواترة جداً كما أشار اليه المصنف قدس سره ايضا، و صرح به غيره كالشيخ الحر العاملي فانه بعد اختصاص كتابه المذكور بالرجعة و جمع أدلتها فيه قال في أواخره ص ٣٩١: «فهذه جملة من الاحاديث التي حضرتني في هذا الوقت مع ضيق المجال عن التتبع التام و قلة وجود الكتب التي يحتاج اليها في هذا المرام، ولا ريب في تجاوزها حد التواتر المعنوي الى أن قال: ولعل ما لم يصل الينا في هذا المعنى أكثر مما وصل الينا» و كالعلامة المجلسي ـ قدس سره ـ حيث قال: «و اذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف»[٢].

و كالعلامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ حيث قال: «ان الروايات متواترة معنى عن ائمة أهل البيت حتى عد القول بالرجعة عند المخالفين من مختصات الشيعة و ائمتهم من لدن الصدر الاول»[٣].

و أما الاشكال في امكان الرجعة فلا وقع له بعد وقوعها في الامم السالفة كما نص عليه في القرآن الكريم كقوله تعالى: «او كالذي مر على قرية و هي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك و شرابك

١. الايقاظ من الهجعة: ص ٦٠.
٢. بحارالانوار: ج٥٣ ص ١٢٣.
٣. تفسير الميزان: ج٢ ص ١١٥.

لم يتسنه و انظر الى حمارك و لنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ـ البقره: ٢٥٩».

وقال في الايقاظ من الهجعة: «فهذه الاية صريحة، فى أن المذكور فيها مات مائة سنة ثم أحياه الله و بعثه الى الدنيا و أحيى حماره و ظاهر القرآن يدل على أنه من الانبياء لما تضمنه من الوحي و الخطاب له، و قد وقع التصريح في الاحاديث الاتية بأنه كان نبياً، ففي بعض الروايات أنه ارميا النبى، و فى بعضها أنه عزير النبى ـ عليهما السلام ـ و قد روى ذلك العامة و الخاصة»[٤].

و كقوله تعالى: «الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ... ـ البقرة: ٢٤٣» قال فى الايقاظ من الهجعة: «وقد روى الاحاديث الاتية و غيرها أن المذكورين فى هذه الاية كانوا سبعين ألفاً فأماتهم الله مدة طويلة ثم أحياهم فرجعوا الى الدنيا و عاشوا ايضا مدة طويلة»[٥].

و كقوله تعالى: «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ـ الى قوله ـ و اذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة و انتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام و انزلنا عليكم المن و السلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ... ـ البقرة: ٥٧».

و كقوله تعالى: «و اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعياً ... ـ البقرة:

٤. المصدر: ص ٧٩.
٥. المصدر: ص ٧٨.

«۲۶۰»

و غير ذلك من الايات الصريحة، فان أدل الشيء على امكان الشيء وقوعه، فيعلم من وقوعها في الامم السالفة بطلان ما يتخيل من استحالتها. هذا مضافا الى ما اشار اليه في المتن من اختصاص الاستحالة بالتناسخ الذى هو انتقال النفس من بدن الى بدن اخر منفصل عن الاول، و الرجعة ليست كذلك لانها من نوع المعاد الجسماني، و معناه رجوع النفس الى البدن الاول بمشخصاته النفسية، و انما الفرق بين المعاد و الرجعة ان الرجعة عود و رجوع موقوت في الدنيا و المعاد هو عود و رجوع في الاخرة.

على ان الرجعة كالمعاد لا تستلزم عود ما خرج من القوة الى الفعل الى القوة ثانياً، فان من الجائز أن يستعد الانسان لكمال موجود في زمان بعد زمان حياته الدنيوية الاولى فيموت ثم يحيى لحيازة الكمال المعد له في الزمان الثاني، أو يستعد لكمال مشروط بتخلل حياة ما في البرزخ فيعود الى الدنيا بعد استيفاء الشرط، فيجوز على أحد الفرضين الرجعة الى الدنيا من غير محذور المحال، و تمام الكلام موكول الى غير هذا المقام[۶].

هذا مضافا الى ما افاده آية الله السيد ابو الحسن الرفيعي - قدس سره - في رجعة الائمة عليهم السلام بما حاصله: «من أن التناسخ هو عود الروح الى البدن الاخر، مع ما عليه من الفعلية الاولية، و ضعف الوجود، و أما رجوع الروح مع بقاء كماله وجوهريته المخصوصة التي حصلت له بالموت، لتدبير بدن على نحو أكمل من التدبير السابق، فليس بتناسخ محال، بل الرجوع المذكور كتمثل بعض الملائكة، فانهم مع عدم احتياجهم الى الاستكمال من ناحية البدن المحسوس تمثلوا في

۶. راجع تفسير الميزان: ج۲ ص ۱۱۵.

موارد بأمره تعالى في أبدان مخصوصة، كتمثل جبرئيل بصورة بشر في قصة مريم ـ سلام الله عليها ـ»[٧] و بقية الكلام تطلب من مظانها.

ثم ان الرجعة التى تواترت الاخبار بوقوعها فى الامة الاسلامية، تقع بعد ظهور الامام المهدى ارواحنا فداه ثم ان المرجوعين هم الاشخاص و ذواتهم لا رجوع اوصافهم و دولتهم، فانه اجنبى عن صريح الاخبار و حقيقة الرجعة، كما ان رجوع الاوصاف لا اختصاص له بآخر الزمان، بل هو أمر واقع من لدن خلقة آدم، فان كل نبى و وصى كان يقوم فى مقام نبى أو وصى سابق، بل أصحابهم ايضا كانوا يقومون مقام اصحاب الماضين من الانبياء و الاوصياء[٨].

ثم ان الاخبار على طوائف، منها تدل على رجوع من محض الايمان محضاً، و من محض الكفر محضا، وعن الشيخ الجليل امين الدين أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى فى كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن عند قوله تعالى: «ويوم نحشر من كل امة فوجا» انه قال: «قد تظاهرت تلك الاخبار عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلام فى أن الله سيعيد عند قيام المهدى ـ عليه السلام ـ قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه و شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و يبتهجوا بظهور دولته، و يعيد ايضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، و ينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب و القتل على أيدى شيعته، و الذل و الخزى بما يشاهدون من علو كلمته»[٩].
و روى فى مختصر البصائر عن ابى عبدالله ـ عليه

٧. راجع رسالة اثبات رجعت: ص ٣٣.
٨. راجع التفصيل فى راهنماى دين: ج٢ ص ٥٧ـ٩٥.
٩. الايقاظ من الهجعة: ص ٢٥٠.

السلام ــ: «ان الرجعة ليست بعامة و هى خاصة، لايرجع الا من محض الايمان أو محض الشرك محضاً»[١٠] و لذا قال العلامة المجلسى ــ قدس سره ــ: «والرجعة عندنا يختص بمن محض الايمان و محض الكفر، دون من سوى هذين الفريقين»[١١].

و منها تدل على رجعة رسول الله و الائمة ــ عليهم السلام ــ روى سعد بن عبدالله فى مختصر البصائر على ما نقل عنه الحسن بن سليمان بن خالد عن أحمد بن محمد بن عيسى و محمد بن الحسين عن البزنطى عن حماد بن عثمان عن بكير بن أعين قال: «قال لى من لا أشك فيه يعنى ابا جعفر ــ عليه السلام ــ ان رسول الله ــ صلى الله عليه و آله ــ و امير المؤمنين ــ عليه السلام ــ سيرجعان»[١٢].

و عن الصادق ــ عليه السلام ــ: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا و يستحل متعتنا»[١٣] و قد ورد فى بعض الزيارات: «انى من القائلين بفضلكم مقر برجعتكم»[١٤] و فى الزيارة الجامعة: «فثبتنى الله أبداً ما حييت على موالاتكم... وجعلنى ممن يقتص آثاركم و يسلك سبيلكم و يهتدى بهديكم و يحشر فى زمرتكم و يكر فى رجعتكم»[١٥] و فى زيارة قبر الحسين عليه السلام: «اشهدكم انى بكم مؤمن و بايابكم موقن»[١٦] و روى على بن ابراهيم عن ابيه عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبى عن عبدالحميد

١٠. الايقاظ من الهجعة: ص ٣٦٠.
١١. بحارالانوار: ج٥٣ ص ١٣٧.
١٢. الايقاظ من الهجعة: ص ٣٧٩.
١٣. المصدر: ص ٣٠٠.
١٤. المصدر: ص ٣٠١.
١٥. المصدر: ص ٣٠٣.
١٦. المصدر: ص ٣٠٦.

الطائی عن أبی خالد الکابلی عن علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ فی قوله تعالی: «ان الذی فرض علیك القرآن لرادك الی معاد» قام: یرجع الیکم نبیکم و أمیرالمؤمنین و الائمة ـ علیهم السلام ـ»[۱۷] و الی غیر ذلك من الاخبار الکثیرة.

و منها تدل علی بعض اشخاص الائمة ـ علیهم السلام ـ کأمیرالمؤمنین. روی علی بن ابراهیم عن ابیه عن ابن ابی عمیر عن أبی بصیر عن أبی عبدالله ـ علیه السلام ـ فی ضمن حدیث «ان رسول الله ـ صلی الله علیه و آله ـ قال لعلی ـ علیه السلام ـ: یا علی اذا کان فی آخر الزمان أخرجك الله فی أحسن صورة و معك میسم تسم به أعدائك»[۱۸] و کحسین بن علی ـ علیهما السلام ـ روی فی مختصر البصائر علی ما نقل عنه عن عمر بن عبدالعزیز عن جمیل بن دراج عن المعلی بن خنیس و زید الشحام عن ابی عبدالله ـ علیه السلام ـ قال: «سمعناه یقول: أول من تکر فی رجعته الحسین بن علی علیه السلام یمکث فی الارض حتی یسقط حاجباه علی عینیه»[۱۹] و الی غیر ذلك من الاخبار.

و منها تدل علی رجعة الانبیاء روی علی بن ابراهیم عن ابیه عن ابن ابی عمیر عن عبدالله بن مسکان عن ابی عبدالله ـ علیه السلام ـ فی قوله تعالی: «و اذ اخذ الله میثاق النبیین لما اتیتکم من کتاب وحکمة ثم جاءکم رسول مصدق لما معکم لتؤمنن به و لتنصرنه» قال: ما بعث الله نبیا من لدن ادم و هلم جرأ الا و یرجع الی الدنیا فینصر رسول الله ـ صلی الله علیه و آله ـ و

۱۷. الایقاظ من الهجعة: ص ۳۴۳ـ۳۴۴.
۱۸. الایقاظ من الهجعة: ص ۲۵۷.
۱۹. الایقاظ من الهجعة: ص ۳۵۸.

اميرالمؤمنين» الحديث[۲۰].

و منها تدل على رجعة بعض الخواص من الشيعة، روى الشيخ الطوسى ـ قدس سره ـ فى كتاب الغيبة عن الفضل بن شاذان عن محمد بن على عن جعفر بن بشير عن خالد ابىعمارة عن المفضل بن عمر قال: «ذكرنا القائم ـ عليهالسلام ـ و من مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا ابوعبدالله ـ عليهالسلام ـ: اذا قام اتى المؤمن فى قبره فيقال له: يا هذا انه قد ظهر صاحبك فان شئت أن تلحق به فالحق، و ان تشأ ان تقيم فى كرامة ربك فاقم»[۲۱].

و منها تدل على أن لعلى ـ عليهالسلام ـ كرات و رجعات، روى عن مختصر البصائر عن أبى حمزةالثمالى عن ابى جعفر ـ عليهالسلام ـ قال: «قال اميرالمؤمنين ـ عليهالسلام ـ ... و ان لى الكرة بعد الكرة و الرجعة بعد الرجعة، و أنا صاحب الكرات و الرجعات و صاحب الصولات و النقمات و الدولات العجيبات و أنا دابة الارض و أنا صاحب العصا و الميسم» الحديث[۲۲]. و الى غير ذلك من اصناف أخبار الباب.

ثم انالرجعة و ان كانت من حيث هى مما لا دليل عقلى على نفيه و اثباته، و لكن يمكن اقامةالدليل العقلى على اثبات رجعة الائمة عليهمالسلام فيما اذا خلت الارض عن الحجة بنالحسن ـ عليهالسلام ـ ان امكنذلك كما اشير اليه فى بعض الاخبار فان برهان اللطف حينئذ يحكم بالرجعة بعد فرض عدم تجاوز عدد الائمة عن اثنى عشر، كما لايخفى، هذامضافاً الى ما فىرسالةاثبات

۲۰. الايقاظ من الهجعة: ص ۳۳۲.
۲۱. الايقاظ من الهجعة: ص ۲۷۱.
۲۲. الايقاظ من الهجعة: ص ۳۶۶ـ۳۶۷.

الرجعة لاية‌الله‌السيد ابى‌الحسن الرفيعى ـ قدس سره ـ فراجع[۲۳] و مما ذكر يظهر وجوب‌الاعتقاد بها عقلا فى ذلك الفرض مع قطع النظر عن اخبار الرجعة فلا تغفل.

۲۳. اثبات رجعت: ص ۷ـ۲۲.

۱۱- عقيدتنا في التقية

روى عن صادق آل‌البيت ـ عليه‌السلام ـ في‌الاثر الصحيح: «التقية ديني و دين آبائي» و «من لا تقية له لا دين له».

و كذلك هي لقد كانت شعاراً لآل‌البيت عليهم‌السلام دفعاً للضرر عنهم و عن اتباعهم، و حقناً لدمائهم و استصلاحاً لحال المسلمين و جمعاً لكلمتهم و لماً لشعثهم.

و ما زالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها، من الطوائف و الامم، و كل انسان اذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به، لابد أن يتكتم و يتقي في مواضع الخطر. و هذا أمر تقتضيه فطرة العقول و من المعلوم أن الامامية و ائمتهم لاقوا من ضروب المحن و صنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود، ما لم تلاقه أية طائفة أو امة اخرى، فاضطروا في أكثر عهودهم الى استعمال التقية، بمكاتمة المخالفين لهم و ترك مظاهرتهم، و ستر اعتقاداتهم و اعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين و الدنيا و لهذا السبب امتازوا (بالتقية) و عرفوا بها دون سواهم.

و للتقية احكام ـ من حيث وجوبها و عدم وجوبها بحسب‌اختلاف مواقع خوف الضرر ـ مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية. و ليست هي بواجبة على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الاحوال، كما اذا كان في اظهار الحق و التظاهر به نصرة للدين، و خدمة للاسلام، و جهاد في سبيله، فانه عند ذلك يستهان بالاموال و لا تعز النفوس.

وقد تحرم التقية في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة، أو رواجاً للباطل أو فسادا في الدين او ضررا بالغا على المسلمين باضلالهم أو افشاء الظلم و الجور فيهم.

و على كل حال ليس معنى التقية عند الامامية انها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين فى ادراك الامور على وجهها، ولا يكلفون أنفسهم فهم الرأى الصحيح عندنا. كما انه ليس معناها انها تجعل الدين و أحكامه سرأ من الاسرار، لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف و كتب الامامية و مؤلفاتهم فيما يخص الفقه و الاحكام و مباحث الكلام و المعتقدات، قد ملات الخافقين و تجاوزت الحد الذى ينتظر من اية أمة تدين بدينها.

بلى ان عقيدتنا فى التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الامامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم و كانهم كان لا يشفى غليلهم الا أن تقدم رقابهم الى السيوف، لاستئصالهم عن آخرهم فى تلك العصور التى يكفى فيها ان يقال هذا رجل شيعى ليلاقى حتفه على يد اعداء آل البيت، من الامويين، و العباسيين، بل العثمانيين.

و اذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند الى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية فانا نقول له:

«اولا» انا متبعون لائمتنا عليهم‌السلام، و نحن نهتدى بهداهم، و هم أمرونا بها، و فرضوها علينا وقت الحاجة و هى عندهم من‌الدين، و قد سمعت قول الصادق عليه‌السلام.

«من لا تقية له لا دين له»

و «ثانياً» قد ورد تشريعها فى نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى:

«الا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان ـ النحل: ١٠٦» و قد نزلت هذه الاية فى عمار بن ياسر الذى التجأ الى التظاهر بالكفر خوفاً من اعداء الاسلام و قوله تعالى: «الا ان تتقوا منهم تقاة ـ آل عمران: ٢٨»

«و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ـ المؤمن: ٢٨» (١).

---

(١) ولا يخفى عليك ان التقية قد تكون خوفاً من الضرر على نفس المتقى أو عرضه أو ماله أو ما يتعلق به أو على نفس غيره من المؤمنين، أو على حوزة الاسلام، لاجل تفريق كلمتهم، و قد تكون التقية مداراة

من دون خوف و ضرر فعلي، بأن يكون المقصود منها هو جلب مودة العامة و التحبيب بيننا و بينهم، و لعل المصنف أشار الى الاول حيث قال: «و كذلك هي لقد كانت شعاراً لآل‌البيت ـ عليهم‌السلام ـ دفعاً للضرر عنهم و عن اتباعهم و حقناً لدمائهم» و اشار الى الثاني حيث قال: « و استصلاحاً لحال المسلمين و جمعاً لكلمتهم و لماً لشعثهم» و لكن الظاهر من ملاحظة تمام العبادة أنه بصدد بيان القسم الاول فان الاستدلال له بمثل ان الكتم و الاتقاء في مواضع الخطر من فطرة العقول يشهد على ان مقصوده هو القسم الاول.

اللهم الا أن يقال ان ترك المداراة مع العامة، و هجرهم في المعاشرة في بلادهم و ان لم يكن مقارناً بالخوف و الضرر الفعلي، و لكن ينجر غالباً الى حصول المباينة الموجبة للتضرر منهم، و عليه فيشمل التقية المداراتية ايضاً، و كيف كان فما دل على التقية المداراتية، خبر هشام الكندي قال: سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول: «اياكم ان تعملوا عملا نعير به، فان ولد السوء يعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم اليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلوا في عشائرهم، و عودوا مرضاهم، و اشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم الى شيء من الخير، فأنتم اولى به منهم والله ما عبدالله بشيء احب اليه من الخباء قلت: و ما الخباء؟ قال التقية»[1] اذ الظاهر منها الترغيب الى العمل موافقاً لارائهم، و الى الاتيان بالصلوة مع عشائرهم، و كذا غيرها من الخيرات، و من المعلوم أن العمل معهم موافقاً لهم مستلزم لترك بعض الاجزاء و الشرائط، و ليس ذلك الا للتقية المداراتية.

١. الوسائل: ج١١ ص ٤٧١ ح٢.

ثم ان التقية محكومة بالاحكام الخمسة، قال الشيخ الاعظم الانصارى ـ قدس سره ـ: «أما الكلام فى حكمها التكليفى فهو أن التقية تنقسم الى الاحكام الخمسة، فالواجب منها ما كان لدفع الضرر الواجب فعلا و أمثلته كثيرة.

و المستحب ما كان فيه التحرز عن معارض الضرر، بأن يكون تركه مفضياً تدريجاً الى حصول الضرر كترك المداراة مع العامة و هجرهم فى المعاشرة فى بلادهم، فانه ينجر غالباً الى حصول المباينة الموجبة لتضرره منهم.

و المباح ما كان التحرز عن الضرر و فعله مساوياً فى نظر الشارع، كالتقية فى اظهار كلمة الكفر على ما ذكره جمع من الاصحاب و يدل عليه الخبر الوارد فى رجلين اخذا بالكوفة و امرا بسب اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ.

و المكروه ما كان تركها و تحمل الضرر أولى من فعله، كما ذكر بعضهم فى اظهار كلمة الكفر، و أن الاولى تركها ممن يقتدى به الناس اعلاء" لكلمة الاسلام، و المراد بالمكروه حينئذ ما يكون ضده أفضل.

و المحرم منه ما كان فى الدماء»[2] قال الشهيد الثانى ـ قدس سره ـ فى القواعد: «والحرام التقية حيث يؤمن الضرر عاجلا و آجلا أو فى قتل مسلم»[3] و يشهد له ما فى صحيحة محمدبن مسلم عن ابى جعفر ـ عليه السلام ـ قال: «انما جعل التقية ليحقن بها الدم، فاذا بلغ الدم فليس تقية»[4].

٢. رسالة فى التقية: ص ٣٢٥ من المكاسب المطبوع فى تبريز.
٣. راجع رسالة فى التقية للشيخ الاعظم: ص ٣٢٥.
٤. الوسائل: ج١١ ص ٤٨٣ ح١.

ثم ان الظاهر عدم انحصار موارد حرمة التقية بما ذكر، بل تحرم التقية فيما اذا كانت التقية موجبة للفساد فى الدين، كما يشهد له موثقة مسعدة بن صدقة عن أبى‌عبدالله ـ عليه‌السلام ـ فى حديث .... و تفسير ما يتقى مثل أن يكون قوم سوء ظاهر حكمهم و فعلهم على غير حكم الحق و فعله، فكل شىء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدى الى الفساد فى الدين فانه جائز»[٥].

هذا مضافاً الى ما أفاده السيد المجاهد آية‌الله العظمى الامام الخمينى ـ قدس‌سره ـ من أن تشريع التقية لبقاء المذاهب، و حفظ الاصول، و جمع شتات المسلمين لاقامة الدين و اصوله، فاذا بلغ الامر الى هدمها فلا تجوز التقية و لذا ذهب الى عدم جواز التقية فيما اذا كان اصل من اصول الاسلام او المذهب او ضرورى من ضروريات الدين فى معرض الزوال والهدم و التغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الارث، و الطلاق، و الصلوة، و الحج، و غيرها، من اصول الاحكام فضلا" عن اصول الدين او المذهب.

بل ذهب فيما اذا كان بعض المحرمات و الواجبات فى نظر الشارع فى غاية الاهمية كهدم الكعبة والمشاهد المشرفة بنحو يمحو الاثر و لا يرجى عوده، و غيرها من عظائم المحرمات، الى استبعاد التقية عن مذاق الشرع غاية الاستبعاد، و قال فهل ترى من نفسك ان عرض على مسلم تخريب بيت‌الله‌الحرام و قبر رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ او الحبس شهراً او شهرين او اخذ مائة او مائتين منه، يجوز له‌ذلك تمسكاً بدليل الحرج والضرر.

ثم استظهر الرجوع فى أمثال تلك العظائم الى

٥. الوسائل: ج١١ ص ٤٦٩ ح٦.

تزاحم المقتضيات من غير توجه الى حكومة تلك الادلة على ادلتها، و الحق بذلك ما اذا كان المتقى ممن لـه شأن و اهمية فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرمات تقية، او تركه لبعض الواجبات مما يعد موهناً للمذهب، و هاتكاً لحرمته، كما لو اكره على شرب المسكر و الزنا مثلاً" فان جواز التقية فى مثله تشبثاً بحكومة دليل الرفع، و أدلة التقية، مشكل بل ممنوع[6]. هذه جملة من الموارد التى استثنيت من أدلة التقية، و بقية الكلام فى محله، و كيف كان فالدليل على وجوب التقية فيما اذا كانت واجبة هو عمومات التقية التى أشار اليها المصنف[7].

هذا مضافاً الى ادلة نفى الضرر، و حديث رفع عن امتى تسعة أشياء، و منها ما اضطروا اليه.

قال الشيخ الاعظم ـ قدس سره ـ: «ثم الواجب منها يبيح كل محظور من فعل الحرام او ترك الواجب والاصل فى ذلك ادلة نفى الضرر و حديث رفع عن امتى تسعة أشياء، و منها ما اضطروا اليه، مضافاً الى عمومات التقية مثل قوله فى الخبر أن التقية واسعة ليس شيء من التقية الا و صاحبها مأجور، و غير ذلك من الاخبار المتفرقة فى خصوص الموارد، و جميع هذه الادلة حاكمة على أدلة الواجبات و المحرمات، فلا يعارض بها شيء منها حتى يلتمس الترجيح و يرجع الى الاصول بعد فقده كما زعمه بعض فى بعض موارد هذه المسألة»[8].

و الدليل على التقية فيما اذا كانت مستحبة هو ما عرفت من صحيحة هشام بن الحكم، و لذا قال الشيخ

۶. الرسائل: ص ۱۷۷ـ۱۷۸.
۷. راجع الوسائل: ج۱۱، الباب ۲۵ من ابواب الامر والنهى ص ۴۶۸.
۸. رسالة فى‌التقية: ص ۳۲۵ من المكاسب المطبوعة فى تبريز.

الاعظم ـ قدس سره ـ: «و أما المستحب من التقية فالظاهر وجوب الاقتصار فيه على مورد النص، و قد ورد النص بالحث على المعاشرة مع العامة و عيادة مرضاهم و تشييع جنايزهم، و الصلوة في مساجدهم، و الاذان لهم، فلا يجوز التعدى عن ذلك الى ما لم يرد النص من الافعال المخالفة للحق، كذم بعض رؤساء الشيعة، للتحبيب اليهم»[٩] و لكن مر عن الشهيد في قواعده من أنه جعل المستحب من التقية فيما اذا كان لا يخاف ضرراً عاجلا، و يتوهم ضرراً آجلا او ضرراً سهلا، أو كان تقيته في المستحب كالترتيب في تسبيح الزهراء ـ صلوات الله عليها ـ و ترك بعض فصول الاذان، و مقتضاه هو عدم الاقتصار فيه على موردالنص فافهم.

و أما المباح و المكروه فقد قال الشيخ الاعظم ـ قدس سره ـ: « ان الكراهة أو الاباحة خلاف عمومات التقية فيحتاج الى الدليل الخاص»[١٠] و قد أطلت الكلام، و مع ذلك بقى الكلام و عليك بالمراجعة الى المطولات، كالرسالة في التقية للشيخ الاعظم ـ قدس سره ـ و الرسائل للسيد المجاهد آيةالله العظمى الامام الخميني، ـ قدس سره ـ ولله الحمد.

٩ و ١٠. رسالة فيالتقية: ص ٣٢٥ منالمكاسب المطبوعة في تبريز.

الفصل الرابع

ما أدب به آل البيت شيعتهم

١ـ عقيدتنا فى الدعاء
٢ـ أدعية الصحيفة السجادية
٣ـ عقيدتنا فى زيارة القبور
٤ـ عقيدتنا فى معنى التشيع عند آل البيت
٥ـ عقيدتنا فى الجور و الظلم
٦ـ عقيدتنا فى التعاون مع الظالمين
٧ـ عقيدتنا فى الوظيفة فى الدولة الظالمة
٨ـ عقيدتنا فى الدعوة الى الوحدة الاسلامية
٩ـ عقيدتنا فى حق المسلم على المسلم

تمهيد[1] :

ان الائمة من آل البيت ـ عليهم‌السلام ـ علموا من ذی قبل أن دولتهم لن تعود اليهم فی حياتهم، و أنهم و شيعتهم سيبقون تحت سلطان غيرهم ممن يرى ضرورة مكافحتهم بجميع وسائل العنف و الشدة.

فكان من الطبيعی ـ من جهة ـ أن يتخذوا التكتم «التقية» دينا و ديدنا لهم و لاتباعهم، ما دامت التقية تحقن من دمائهم و لا تسيىء الى الآخرين ولا الى الدين، ليستطيعوا البقاء فی هذا الخضم العجاج بالفتن و الثائر على آل‌البيت بالاحن.

و كان من اللازم بمقتضى امامتهم ـ من جهة أخرى ـ أن ينصرفوا الى تلقين أتباعهم احكام الشريعة الاسلامية، و الى توجيههم توجيهاً دينيا صالحا، و الى أن يسلكوا بهم مسلكا اجتماعيا مفيدا، ليكونوا مثال المسلم الصحيح (العادل).

و طريقة آل البيت فی التعليم لا تحيط بها هذه الرسالة، و كتب الحديث الضخمة متكفلة بما نشروه من تلك المعارف الدينية، غير أنه لا بأس ان نشير هنا الى بعض ما يشبه أن يدخل فی باب العقائد فيما يتعلق بتأديبهم لشيعتهم، بالآداب التی تسلك بهم المسلك الاجتماعی المفيد، و تقربهم زلفى الى الله تعالى، و تطهر صدورهم من درن الآثام و الرذائل، و تجعل‌منهم عدولا صادقين. و قد تقدم الكلام فی (التقية) التی هی من تلك الآداب المفيدة اجتماعيا لهم، و نحن ذاكرون هنا بعض ما يعن لنا من هذه الآداب.

۱. ولا يخفى على القارىء الكريم ان هذا الفصل يكون لبيان ما ادب به آل البيت شيعتهم وحيث لامساس لـه باصول العقائد لم اعلق عليه فی هذا المجال و ان كان بعض مـاذكر فی‌هذا الفصل منظوراً فيه و لعل‌الله أن يرزقنی ذلك فی مجال اخر.

١- عقيدتنا في الدعاء

قال النبي صلى‌الله عليه و آله: «الدعاء سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السموات و الارض»، و كذلك هو، أصبح من خصائص الشيعة التي امتازوا بها، و قد ألفوا في فضله و آدابه وفي الادعية المأثورة عن آل‌البيت ما يبلغ عشرات الكتب من مطولة و مختصرة. وقد اودع في هذه الكتب ما كان يهدف اليه النبي و آل بيته صلى‌الله‌عليهم و سلم من الحث على الدعاء و الترغيب فيه. حتى جاء عنهم «أفضل العبادة الدعاء» و «احب الاعمال الى الله عزوجل في‌الارض الدعاء» بل ورد عنهم «ان الدعاء يرد القضاء و البلاء» و «أنه شفاء من كل داء».

و قد ورد أن «أميرالمؤمنين» صلوات الله‌عليه‌كان رجلا «دعاء»، أى كثير الدعاء. و كذلك ينبغي ان يكون و هو سيد الموحدين و امام الالهيين. و قد جاءت أدعيته كخطبه آية من آيات البلاغة العربية كدعاء كميل بن زياد المشهور، و قد تضمنت من المعارف الالهية والتوجيهات الدينية ما يصلح ان تكون منهجا رفيعا للمسلم الصحيح.

و في الحقيقة ان الادعية الواردة عن النبي و آل بيته عليهم الصلاة و السلام خير منهج للمسلم - اذا تدبرها - تبعث في نفسه قوة الايمان، و العقيدة و روح التضحية في سبيل الحق، و تعرفه سر العبادة، و لذة مناجاة الله تعالى و الانقطاع اليه، و تلقنه ما يجب على الانسان أن يعلمه لدينه و ما يقربه الى الله تعالى زلفى. و يبعده عن المفاسد و الاهواء و البدع الباطلة. و بالاختصار أن هذه الادعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية و التهذيبية للنفوس، و من ناحية العقيدة الاسلامية، بل هي من أهم مصادر الاراء الفلسفية و المباحث العلمية في الالهيات و الاخلاقيات.

ولو استطاع الناس - و ما كلهم بمستطيعين - أن يهتدوا بهذا

الهدى الذى تثيره هذه الادعية فى مضامينها العالية، لما كنت تجد من هذه المفاسد المثقلة بها الارض أثرا، و لحلقت هذه النفوس المكبلة بالشرور فى سماء الحق حرة طليقة و لكن أنى للبشر ان يصغى الى كلمة المصلحين و الدعاة الى الحق، و قد كشف عنهم قوله تعالى: «ان النفس لامارة بالسوء» «و ما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين».

نعم ان ركيزة السوء فى الانسان اغتراره بنفسه وتجاهله لمساوئه و مغالطته لنفسه فى أنه يحسن صنعاً فيما اتخذ من عمل: فيظلم ويتعدى و يكذب و يراوغ و يطاوع شهواته ما شاء له هواه، و مع ذلك يخادع نفسه أنه لم يفعل الا ما ينبغى ان يفعل، أو يغض بصره متعمدا عن قبيح ما يصنع و يستصغر خطيئته فى عينه. و هذه الادعية المأثورة التى تستمد من منبع الوحى تجاهد أن تحمل الانسان على الاختلاء بنفسه و التجرد الى الله تعالى، لتلقنه الاعتراف بالخطأ و أنه المذنب الذى يجب عليه الانقطاع الى الله تعالى لطلب التوبة و المغفرة، و لتلمسه مواقع الغرور و الاجترام فى نفسه، مثل ان يقول الداعى من دعاء كميل بن زياد:

«الهى و مولاى! اجريت على حكماً اتبعت فيه هوى نفسى و لم أحترس فيه من تزيين عدوى، فغرنى بما أهوى، و اسعده على ذلك القضاء، فتجاوزت بما جرى على من ذلك بعض حدودك، وخالفت بعض أوامرك».

ولا شك ان مثل هذا الاعتراف فى الخلوة أسهل على الانسان من الاعتراف علانية مع الناس، و ان كان من أشق أحوال النفس أيضا. و ان كان بينه و بين نفسه فى خلواته ولو تم ذلك للانسان فله شان كبير فى تخفيف غلواء نفسه الشريرة و ترويضها على طلب الخير. و من يريد تهذيب نفسه لابد أن يصنع لها هذه الخلوة و التفكير فيها بحرية لمحاسبتها، و خير طريق لهذه الخلوة و المحاسبة أن يواظب على قراءة هذه الادعية المأثورة التى تصل بمضامينها الى أغوار النفس، مثل أن يقرأ فى دعاء أبى حمزة الثمالى ـ رضوان الله تعالى عليه ـ:

«أى رب! جللنى بسترك، و اعف عن توبيخى بكرم وجهك!»

فتأمل كلمة «جللنى..» فان فيها ما يثير فى النفس رغبتها فى كتم ما تنطوى عليه من المساوىء، ليتنبه الانسان الى هذه الدخيلة فيها و يستدرجه الى أن يعترف بذلك حين يقرأ بعد ذلك:

«فلو اطلع اليوم على ذنبى غيرك ما فعلته ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته».

و هذا الاعتراف بدخيلة النفس و انتباهه الى الحرص على كتمان ما عنده من المساوىء يستثيران الرغبة فى طلب العفو و المغفرة من الله تعالى لئلا يفتضح عند الناس لو أراد الله أن يعاقبه فى الدنيا او الاخرة على افعاله، فيلتذ الانسان ساعتئذ بمناجاة السر، و ينقطع الى الله تعالى و يحمده أنه حلم عنه و عفا عنه بعد المقدرة فلم يفضحه، اذ يقول فى الدعاء بعدما تقدم:

«فلك الحمد على حلمك بعد علمك و على عفوك بعد قدرتك»

ثم يوحى الدعاء الى النفس سبيل الاعتذار عما فرط منها على أساس ذلك الحلم و العفو منه تعالى، لئلا تنقطع الصلة بين العبد و ربه، و لتلقين العبد أن عصيانه ليس لنكران الله و استهانة بأوامره اذ يقول:

«و يحملنى و يجرئنى على معصيتك حلمك عنى، و يدعونى الى قلة الحياء سترك على. و يسرعنى الى التوثب على محارمك معرفتى بسعة رحمتك و عظيم عفوك».

و على أمثال هذا النمط تنهج الادعية فى مناجاة السر، لتهذيب النفس و ترويضها على الطاعات و ترك المعاصى. و لا تسمح الرسالة هذه بتكثير النماذج من هذا النوع. و ما أكثرها.

و يعجبنى أن اورد بعض النماذج من الادعية الواردة بأسلوب الاحتجاج مع الله تعالى لطلب العفو و المغفرة، مثل ما تقرأ فى دعاء كميل بن زياد:

«و ليت شعرى يا سيدى و مولاى! أتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة، و على ألسن نطقت بتوحيدك صادقة و بشكرك مادحة، و على قلوب اعترفت بالهيتك محققة، و على ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة، و على جوارح سعت الى أوطان تعبدك طائعة و أشارت باستغفارك مذعنة، ما هكذا الظن بك ولا اخبرنا بفضلك».

كرر قراءة هذه الفقرات، و تأمل فى لطف هذا الاحتجاج وبلاغته و سحر بيانه، فهو فى الوقت الذى يوحى للنفس الاعتراف بتقصيرها و عبوديتها، يلقنها عدم اليأس من رحمة الله تعالى و كرمه، ثم يكلم النفس بابن عم الكلام و من طرف خفى لتلقينها واجباتها العليا، اذ يفرض فيها انها قد قامت بهذه الواجبات كاملة، ثم يعلمها أن الانسان

بعمل هذه الواجبات يستحق التفضل من الله بالمغفرة، و هذا ما يشوق المرء الى ان يرجع الى نفسه فيعمل ما يجب أن يعمله ان كان لم يؤد تلك الواجبات.

ثم تقرأ أسلوباً آخر من الاحتجاج من نفس الدعاء:

«فهبني يا الهي و سيدي و ربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك! و هبني يا الهي صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر الى كرامتك».

و هذا تلقين للنفس بضرورة الالتذاذ بقرب الله تعالى ومشاهدة كرامته و قدرته، حبا له و شوقا الى ما عنده، و بأن هذا الالتذاذ ينبغي أن يبلغ من الدرجة على وجه يكون تاثير تركه على النفس أعظم من العذاب و حر النار، فلو فرض أن الانسان تمكن من أن يصبر على حر النار فانه لايتمكن من الصبر على هذا الترك، كما تفهمنا هذه الفقرات أن هذا الحب و الالتذاذ بالقرب من المحبوب المعبود خير شفيع للمذنب عند الله لان يعفو و يصفح عنه. ولا يخفى لطف هذا النوع من التعجب و التملق الى الكريم الحليم قابل التوب وغافر الذنب.

ولا بأس في ان نختم بحثنا هذا بايراد دعاء مختصر جامع لمكارم الاخلاق و لما ينبغي لكل عضو من الانسان و كل صنف منه أن يكون عليه من الصفات المحمودة:

«اللهم ارزقنا توفيق الطاعة و بعد المعصية، و صدق النية و عرفان الحرمة».

«وأكرمنا بالهدى و الاستقامة، و سدد ألسنتنا بالصواب والحكمة و املأ قلوبنا بالعلم و المعرفة، و طهر بطوننا من الحرام و الشبهة، و اكفف أيدينا عن الظلم و السرقة، و اغضض ابصارنا عن الفجور و الخيانة، و اسدد أسماعنا عن اللغو و الغيبة».

«و تفضل على علمائنا بالزهد و النصيحة، و على المتعلمين بالجهد و الرغبة، و على المستمعين بالاتباع و الموعظة».

«و على مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتانا بالرأفة والرحمة».

«وعلى مشايخنا بالوقار و السكينة وعلى الشباب بالانابة و التوبة، و على النساء بالحياء و العفة، و على الاغنياء بالتواضع و السعة، و على الفقراء بالصبر و القناعة».

«وعلى الغزاة بالنصر و الغلبة، و على الاسراء بالخلاص و

الراحة، و على الامراء بالعدل و الشفقة، و على الرعية بالانصاف و حسن السيرة».

«و بارك للحجاج و الزوار فى الزاد و النفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحج و العمرة».

«بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين».

و انى لموص اخوانى القراء ألا تفوتهم الاستفادة من تلاوة هذه الادعية، بشرط التدبر فى معانيها و مراميها و احضار القلب والاقبال و التوجه الى الله بخشوع و خضوع، و قراءتها كأنها من انشائه للتعبير بها عن نفسه، مع اتباع الآداب التى ذكرت لها من طريقة آل البيت، فان قراءتها بلا توجه منالقلب صرف لقلقة فى اللسان، لاتزيد الانسان معرفة، ولا تقربه زلفى، ولا تكشف له مكروبا، ولايستجاب معه له دعاء.

«ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن بالاجابة»[1].

۱. باب الاقبال على الدعاء من كتاب الدعاء من اصول الكافى عن الامامالصادق عليهالسلام.

٢- أدعية الصحيفة السجادية

بعد واقعة الطف المحزنة، و تملك بنى أمية ناصية أمر الامة الاسلامية، فأوغلوا في الاستبداد و ولغوا فى الدماء و استهتروا فى تعاليم الدين، بقى الامام زين‌العابدين و سيد الساجدين عليه‌السلام جليس داره محزونا ثاكلا، و جليس بيته لا يقربه أحد ولا يستطيع ان يفضى الى الناس بما يجب عليهم و ما ينبغى لهم.

فاضطر أن يتخذ من أسلوب الدعاء «الذى قلنا أنه احد الطرق التعليمية لتهذيب النفوس» ذريعة لنشر تعاليم القرآن و آداب الاسلام و طريقة آل البيت، و لتلقين الناس روحية الدين و الزهد، و ما يجب من تهذيب النفوس و الاخلاق و هذه طريقة مبتكرة له فى‌التلقين لا تحوم حولها شبهة المطاردين له، ولا تقوم بها عليه الحجة لهم، فلذلك اكثر من هذه الادعية البليغة، و قد جمعت بعضها «الصحيفة السجادية» التى سميت «بزبور آل محمد». و جاءت فى اسلوبها و مراميها فى أعلى أساليب الادب العربى و فى أسمى مرامى الدين الحنيف و أدق أسرار التوحيد و النبوة، و أصح طريقة لتعليم الاخلاق المحمدية و الآداب الاسلامية. و كانت فى مختلف الموضوعات التربوية الدينية، فهى تعليم للدين و الاخلاق فى أسلوب الدعاء، أو دعاء فى اسلوب تعليم للدين و الاخلاق. و هى بحق بعد القرآن و نهج البلاغة من أعلى أساليب البيان العربى و أرقى المناهل الفلسفية فى الالهيات و الاخلاقيات:

فمنها ما يعلمك كيف تمجد الله و تقدسه و تحمده و تشكره و تتوب اليه، و منها ما يعلمك كيف تناجيه و تخلو به بسرك و تنقطع اليه، و منها ما يبسط لك معنى الصلاة على نبيه و رسله و صفوته من خلقه و كيفيتها و منها ما يفهمك ما ينبغى أن تبر به والديك، و منها ما يشرح لك حقوق الوالد على ولده أو حقوق الولد على والده

أو حقوق الجيران أو حقوق الارحام أو حقوق المسلمين عامة أو حقوق الفقراء على الاغنياء و بالعكس، و منها ينبهك على ما يجب ازاء الديون للناس عليك و ما ينبغى أن تعمله فى الشئون الاقتصادية و المالية، و ما ينبغى أن تعامل به أقرانك و أصدقاءك و كافة الناس و من تستعملهم فى مصالحك، و منها ما يجمع لك بين جميع مكارم الاخلاق و يصلح أن يكون منهاجاً كاملا لعلم الاخلاق.

و منها ما يعلمك كيف تصبر على المكارهو الحوادث و كيف تلاقى حالات المرض و الصحة، و منها ما يشرح لك واجبات الجيوش الاسلامية و واجبات الناس معهم ... الى غير ذلك مما تقتضيه الاخلاق المحمدية و الشريعة الالهية، و كل ذلك باسلوب الدعاء وحده.

والظاهرة التى تطغو على أدعية الامام عدة أمور:

(الاول) التعريف بالله تعالى و عظمته و قدرته و بيان توحيده و تنزيهه بأدق التعبيرات العلمية و ذلك يتكرر فى كل دعاء بمختلف الاساليب، مثل ما تقرأ فى الدعاء الاول: «الحمد لله الاول بلا أول كان قبله و الآخر بلا آخر يكون بعده، الذى قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، و عجزت عن نعته أوهام الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً و اخترعهم على مشيته اختراعاً» فتقرأ دقيق معنى الاول و الآخر و تنزه الله تعالى عن أن يحيط به بصر أو وهم، و دقيق معنى الخلق و التكوين. ثم تقرأ اسلوباً آخر فى بيان قدرته تعالى و تدبيره في الدعاء ٦: «الحمد لله الذى خلق الليل و النهار بقوته و ميز بينهما بقدرته، و جعل لكل منهما حداً محدوداً، يولج كل واحد منهما فى صاحبه و يولج صاحبه فيه، بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به و ينشئهم عليه، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب، و جعله لباساً ليلبسوا من راحته و مقامه فيكون ذلك لهم جماماً و قوة لينالوا به لذة و شهوة» الى آخر ما يذكر من فوائد خلق النهار و الليل و ما ينبغي أن يشكره الانسان من هذه النعم.

و تقرأ اسلوباً آخر في بيان أن جميع الامور بيده تعالى فى الدعاء ٧: «يا من تحل به عقد المكاره و يا من يفثأ به حد الشدائد، و يا من يلتمس منه المخرج الى روح الفرج، ذلت لقدرتك الصعاب، و تسببت بلطفك الاسباب و جرى بقدرتك القضاء و مضت على ارادتك الاشياء، فهى بمشيتك دون قولك مؤتمرة، و بارادتك دون نهيك منزجرة».

«الثانی» بیان فضل الله تعالی علی العبد و عجز العبد عن أداء حقه مهما بالغ فی الطاعة و العبادة و الانقطاع الیه تعالی کما تقرأ فی الدعاء ۳۷: «اللهم ان أحداً لا یبلغ من شکرك غایة الا حصل علیه من احسانك ما یلزمه شکراً، و لا یبلغ مبلغاً من طاعتك و ان اجتهد الا کان مقصراً دون استحقاقك بفضلك، فاشکر عبادك عاجز عن شکرك، و أعبدهم مقصر عن طاعتك».

و بسبب عظم نعم الله تعالی علی العبد التی لا تتناهی یعجز عن شکره فکیف اذا کان یعصیه مجترئاً، فمهما صنع بعدئذ لا یستطیع أن یکفر عن معصیة واحدة. و هذا مـا تصوره الفقرات الآتیة من الدعاء ۱۶: «یا الهی لو بکیت الیك حتی تسقط أشفار عینی، و انتحبت حتی ینقطع صوتی، و قمت لك حتی تنتشر قدمای، و رکعت لك حتی ینخلع صلبی، و سجدت لك حتی تتفقأ حدقتای، و أکلت تراب الارض طول عمری، و شربت ماء الرماد آخر دهری، و ذکرتك فی خلال ذلك حتی یکل لسانی، ثم لم أرفع طرفی الی آفاق السماء استحیاء منك مـا استوجبت بذلك محو سیئة واحدة من سیئاتی».

«الثالث» التعریف بالثواب و العقاب و الجنة و النار و أن ثواب الله تعالی کله تفضل، و أن العبد یستحق العقاب منه بادنی معصیـة یجتری بها، و الحجة علیه فیها لله تعالی. و جمیع الادعیة السجادیة تلهج بهذه النغمة المؤثرة، للایحاء الی النفس الخوف من عقابه تعالی و الرجاء فی ثوابه. و کلها شواهد علی ذلك بأسالیبها البلیغة المختلفة التی تبعث فی قلب المتدبر الرعب و الفزع من الاقدام علی المعصیة.

مثل ما تقرأ فی الدعاء ۴۶: «حجتك قائمة، و سلطانك ثابت لا یزول، فالویل الدائم لمن جنح عنك، و الخیبة الخاذلة لمن خاب منك، و الشقاء الاشقی لمن اغتر بك. ما أکثر تصرفه فی عذابك، و ما أطول تردده فی عقابك! و ما أبعد غایته من الفرج! و ما أقنطه من سهولة المخرج! عدلا من قضائك لا تجور فیه، و انصافاً من حکمك لا تحیف علیه، فقد ظاهرت الحجج و أبلیت الاعذار...».

و مثل ما تقرأ فی الدعاء ۳۱: «اللهم فارحم وحدتی بین یدیك، و وجیب قلبی من خشیتك، و اضطراب أرکانی من هیبتك، فقد أقامتنی ـ یا رب ـ ذنوبی مقام الخزی بفنائك، فان سکت لم ینطق عنی أحد، و ان شفعت فلست بأهل الشفاعة».

و مثل ما تقرأ فی الدعاء ۳۹: «فانك ان تکافنی بالحق تهلکنی

والا تغمدنى برحمتك توبقنى ... و أستحملك من ذبونى ماقد بهظنى حمله و أستعين بك على ما قد فدحنى ثقله، فصل على محمد و آله و هب لنفسى على ظلمها نفسى، و وكل رحمتك باحتمال اصرى...»

«الرابع» سوق الداعى بهذه الادعية الى الترفع عن مساوىء الافعال و خسائس الصفات، لتنقية ضميره و تطهير قلبه، مثل ما تقرأ فى الدعاء ۲۰: «اللهم وفر بلطفك نيتى و صحح بما عندك يقينى، و استصلح بقدرتك ما فسد منى».

«اللهم صل على محمد و آل محمد و متعنى بهدى صالح لا أستبدل به و طريقة حق لا أزيغ عنها، و نية رشد لا أشك فيها».

«اللهم لا تدع خصلة تعاب منى الا أصلحتها، و لا عائبة أؤنب بها الا حسنتها، و لا أكرومة فى ناقصة الا أتممتها».

«الخامس» الايحاء الى الداعى بلزوم الترفع عن الناس و عدم التذلل لهم، وألا يضع حاجته عند أحد غير الله، و أن الطمع بما فى أيدى الناس من أخس ما يتصف به الانسان؛ مثل ما تقرأ فى الدعاء ۲۰: «ولا تفتنى بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت، و لا بالخشوع لسؤال غيرك اذا افتقرت، و لا بالتضرع الى من دونك اذا رهبت، فاستحق بذلك خذلانك و منعك و اعراضك».

و مثل ما تقرأ فى الدعاء ۲۸: «اللهم انى أخلصت بانقطاعى اليك، و صرفت وجهى عمن يحتاج الى رفدك، و قلبت مسالتى عمن لم يستغن عن فضلك، و رأيت أن طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه و ضلة من عقله».

و مثل ما تقرأ فى الدعاء ۱۳: «فمن حاول سد خلته من عندك و رام صرف الفقر عن نفسه بك، فقد طلب حاجته فى مظانها و أتى طلبته من وجهها. و من توجه بحاجته الى أحد من خلقك أو جعله سبب نجاحها دونك، فقد تعرض للحرمان و استحق منك فوت الاحسان».

«السادس» تعليم الناس وجوب مراعاة حقوق الاخرين ومعاونتهم و الشفقة و الرأفة من بعضهم لبعض، و الايثار فيما بينهم. تحقيقاً لمعنى الاخوة الاسلامية. مثل ما تقرأ فى الدعاء ۳۸: «اللهم انى أعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتى فلم أنصره، و من معروف أسدى الى فلم أشكره، و من مسيىء اعتذر الى فلم أعذره، و من ذى فاقة سالنى فلم أؤثره، ومن حق ذى حق لزمنى لمؤمن فلم أوفره، و من عيب مؤمن ظهر لى فلم أستره...». ان هذا الاعتذار من أبدع ما ينبه النفس

الى ما ينبغى عمله من هذه الاخلاق الالهية العالية.

و فى الدعاء ۳۹ ما يزيد على ذلك، فيعلمك كيف يلزمك أن تعفو عمن أساء اليك و يحذرك من الانتقام منه، و يسمو بنفسك الى مقام القديسين. «اللهم و أيما عبد نال‌منى ما حظرت عليه و انتهك منى ما حجرت عليه، فمضى بظلامتى ميتاً أو حصلت لـى قبله حياً فاغفر له ما ألم به منى، و اعف له عما أدبر به عنى، و لا تقفه على ما ارتكب فى، و لا تكشفه عما اكتسب بى، و اجعل ما سمحت به من العفو عنهم و تبرعت من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين، و أعلى صلات المتقربين، و عوضنى من عفوى عنهم عفوك و من دعائى لهم رحمتك، حتى يسعد كل واحد منا بفضلك».

و ما أبدع هذه الفقرة الاخيرة و ما أجمل وقعها فى النفوس الخيرة لتنبيهها على لزوم سلامة النية مع جميع الناس و طلب‌السعادة لكل أحد حتى من يظلمه و يعتدى عليه. و مثل هذا كثير فى الادعية السجادية، و ما أكثر ما فيها من هذا النوع من التعاليم السماوية المهذبة لنفوس البشر لو كانوا يهتدون.

٣ـ عقيدتنا فى زيارة القبور

و مما امتازت به الامامية العناية بزيارة القبور «قبور النبى و الائمة عليهم الصلاة و السلام» و تشييدها و اقامة العمارات الضخمة عليها، و لاجلها يضحون بكل غال و رخيص عن ايمان و طيب نفس.

و مرد كل ذلك الى وصايا الائمة، وحثهم شيعتهم على الزيارة، و ترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى، باعتبار أنها من أفضل الطاعات و القربات بعد العبادات الواجبة، و باعتبار أن هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء و الانقطاع الى الله تعالى. و جعلوها أيضا من تمام الوفاء بعهود الائمة، «اذ ان لكل امام عهداً فى عنق أوليائه و شيعته، و ان من تمام الوفاء بالعهدوحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة فى زيارتهم و تصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[١].

و فى زيارة القبور من الفوائد الدينية و الاجتماعية ما تستحق العناية من أئمتنا، فانها ـ فى الوقت الذى تزيد من رابطة الولاء و المحبة بين الائمة و أوليائهم، و تجدد فى النفوس ذكر مآثرهم و أخلاقهم و جهادهم فى سبيل الحق ـ تجمع فى مواسمها أشتات المسلمين المتفرقين على صعيد واحد، ليتعارفوا و يتآلفوا، ثم تطبع فى قلوبهم روح الانقياد الى الله تعالى و الانقطاع اليه و طاعة أوامره، و تلقنهم فى مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل‌البيت حقيقة التوحيد و الاعتراف بقدسية الاسلام و الرسالة المحمدية، و ما يجب على المسلم من الخلق العالى الرصين و الخضوع الى مدبر الكائنات و شكر آلائه و نعمه، فهى من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الادعية المأثورة التى تقدم الكلام عليها، بل بعضها يشتمل على أبلغ

١. من قول الامام الرضا عليه‌السلام. راجع كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٢٢.

الادعية و أسماها كزيارة «أمين‌الله» و هی الزيارة المروية عن الامام «زين‌العابدين» عليه‌السلام حينما زار قبر جده «أميرالمؤمنين» عليه السلام.

كما تفهم هذه الزيارات المأثورة مواقف‌الائمة عليهم‌السلام و تضحياتهم فی سبيل نصرة الحق و اعلاء كلمة الدين و تجردهم لطاعة الله تعالى، و قد وردت بأسلوب عربی جزل، و فصاحة عالية، وعبارات سهلة يفهمها الخاصة و العامة، و هی محتوية على أسمى معانی‌التوحيد و دقائقه و الدعاء و الابتهال اليه تعالی. فهی بحق من أرقی الادب الدينی بعد القرآن الكريم و نهج البلاغة و الادعية المأثورة عنهم، اذ أودعت فيها خلاصة معارف الائمة عليهم‌السلام فيما يتعلق بهذه الشئون الدينية و التهذيبية.

ثم ان فی آداب أداء الزيارة أيضاً من التعليم و الارشاد ما يؤكد من تحقيق تلك المعانی الدينية السامية: من نحو رفع معنوية المسلم و تنمية روح العطف على الفقير، و حمله على حسن العشرة والسلوك و التحبب الى مخالطة الناس. فان من آدابها ما ينبغی أن يصنع قبل البدء بالدخول فی «المرقد المطهر» و زيارته.

و منها ما ينبغی أن يصنع فی أثناء الزيارة و فيما بعد الزيارة.

و نحن هنا نعرض بعض هذه الاداب للتنبيه على مقاصدها التی قلناها:

۱ـ من آدابها أن يغتسل الزائر قبل الشروع بالزيارة و يتطهر، و فائدة ذلك فيما نفهمه واضحة، و هی أن ينظف الانسان بدنه من الاوساخ ليقيه من كثير من الامراض و الادواء، و لئلايتأففمن‌روائحه الناس[۲]، و أن يطهر نفسه من الرذائل. و قد ورد فی المأثور أن يدعو الزائر بعد الانتهاء من الغسل لغرض تنبيهه على تلكم الاهداف العالية فيقول: «اللهم اجعل لی نوراً و طهوراً و حرزاً كافياً من كل داء وسقم ومن كل آفة و عاهة، و طهر به قلبی و جوارحی و عظامی و لحمی و دمی و شعری و بشری، و مخی و عظمی و ما أقلت الارض منی، و اجعل لی شاهداً يوم حاجتی و فقری و فاقتی».

۲ـ أن يلبس أحسن و أنظف ما عنده من الثياب، فان فی الاناقة فی الملبس فی المواسم العامة ما يحبب الناس بعضهم الى بعض و

۲. قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: «تنظفوا بالماء من الريح المنتنة و تعهدوا انفسكم، فان الله يبغض من عباده القاذورة الذی يتأفف من جلس اليه تحف العقول: ص ۲۴.

يقرب بينهم و يزيد فی عزة النفوس و الشعور بأهمية الموسم الذی يشترك فيه.

و مما ينبغی أن نلفت النظر اليه فی هذا التعليم أنه لم يفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب علی العموم، بل يلبس أحسن ما يتمكن عليه. اذ ليس كل أحد يستطيع ذلك و فيه تضييق علی الضعفاء لا تستدعيه الشفقة فقد جمع هذا الادب بين ما ينبغی من الاناقة وبين رعاية الفقير و ضعيف الحال.

۳ــ أن يتطيب ما وسعه الطيب. و فائدته كفائدة أدب لبس أحسن الثياب.

۴ــ أن يتصدق علی الفقراء بما يعن له أن يتصدق به. و من المعلوم فائدة التصدق فی مثل هذه المواسم، فان فيه معاونة المعوزين و تنمية روح العطف عليهم.

۵ــ أن يمشی علی سكينة و وقار غاضاً من بصره. و واضح ما فی هذا من توقير للحرم و الزيارة و تعظيم للمزور و توجه الی الله تعالی و انقطاع اليه، مع ما فی ذلك من اجتناب مزاحمة الناس و مضايقتهم فی المرور و عدم اساءة بعضهم الی بعض.

۶ــ أن يكبر بقول: «الله اكبر» و يكرر ذلك ما شاء. و قد تحدد فی بعض الزيارات الی أن تبلغ المائة. و فی ذلك فائدة اشعار النفس بعظمة الله و انه لا شیء أكبر منه. و أن الزيارة ليست الا لعبادة الله و تعظيمه و تقديسه فی احياء شعائر الله و تأييد دينه.

۷ــ و بعد الفراغ من الزيارة للنبی أو الامام يصلی ركعتين علی الاقل، تطوعاً و عبادة لله تعالی ليشكره علی توفيقه اياه، و يهدی ثواب الصلاة الی المزور. و فی الدعاء المأثور الذی يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر، ان صلاته و عمله انما هو لله وحده و انه لا يعبد سواه، و ليست الزيارة الا نوع التقرب اليه تعالی زلفی، اذ يقول:

«اللهم لك صليت و لك ركعت و لك سجدت وحدك لا شريك لك، لانه لا تكون الصلاة و الركوع و السجود الا لك، لانك أنت الله لا اله الا أنت. اللهم صل علی محمد و آل محمد، و تقبل منی زيارتی و اعطنی سؤلی بمحمد و آله الطاهرين».

و فی هذا النوع من الادب ما يوضح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصد الائمة و شيعتهم تبعاً لهم فی زيارة القبور، و ما يلقم

المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنها عندهم من نوع عبادة القبور و التقرب اليها و الشرك بالله. و أغلب الظن ان غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب لجماعة الامامية من الفوائد الاجتماعية الدينية فى مواسم الزيارات، اذ أصبحت شوكة فى أعين أعداء آل بيت محمد، و الا فما نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت فيها. حاشا أولئك الذين أخلصوا لله نياتهم و تجردوا له فى عباداتهم، و بذلوا مهجهم فى نصرة دينه أن يدعوا الناس الى الشرك فى عبادة الله.

۸ـ و من آداب الزيارة «أن يلزم للزائر حسن الصحبة لمن يصحبه و قلة الكلام الا بخير، و كثرة ذكر الله[۳]، و الخشوع و كثرة الصلاة و الصلاة على محمد و آل محمد، و أن يغض من بصره، و أن يعدو الى أهل الحاجة من اخوانه اذا رأى منقطعاً، و المواساة لهم، و الورع عما نهى عنه و عن الخصومة و كثرة الايمان و الجدال الذى فيه الايمان»[۴].

ثم انه ليست حقيقة الزيارة الا السلام على النبى أو الامام باعتبار أنهم «أحياء عند ربهم يرزقون»، فهم يسمعون الكلام و يردون الجواب: و يكفى أن يقول فيها مثلاً: «السلام عليك يا رسول الله» غير أن الاولى أن يقرأ فيها المأثور الوارد من الزيارات عن آل البيت، لما فيها ـ كما ذكرنا ـ من المقاصد العالية و الفوائد الدينية، مع بلاغتها و فصاحتها، و مع ما فيها من الادعية العالية التى يتجه بها الانسان الى الله تعالى وحده.

۳. ليس المراد من كثرة ذكر الله تكرار التسبيح والتكبير و نحوهما فقط، بل المراد ما ذكره الصادق عليه‌السلام فى بعض الحديث فى تفسير ذكر الله كثيراً أنه قال: «أما انى لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر، و ان كان هذا من ذاك ولكن ذكر الله فى كل موطن اذا هجمت على طاعة أو معصية».

۴. راجع كامل الزيارات: ص ۱۳۱.

٤ـ عقيدتنا فی معنی التشیع عند آل البیت

ان الائمة من آل البیت علیهم السلام لم تکن لهم همة ـ بعد أن انصرفوا عن أن یرجع أمر الامة الیهم ـ الا تهذیب المسلمین وتربیتهم تربیة صالحة کما یریدها الله تعالی منهم، فکانوا مع کل من یوالیهم و یأتمنونه علی سرهم یبذلون قصاری جهدهم فی تعلیمه الاحکام الشرعیة و تلقینه المعارف المحمدیة، و یعرفونه مآله و ما علیه.

ولا یعتبرون الرجل تابعاً و شیعة لهم الا اذا کان مطیعاً لامرالله مجانباً لهواه آخذا بتعالیهم وارشاداتهم. ولا یعتبرون حبهم وحده کافیاً للنجاة کما قد یمنی نفسه بعض من یسکن الی الدعة والشهوات ویلتمس عذراً فی التمرد علی طاعة الله سبحانه. انهم لا یعتبرون حبهم و ولاءهم منجاة الا اذا اقترن بالاعمال الصالحة و تحلی الموالی لهم بالصدق والامانة والورع والتقوی.

«یا خیثمة! ابلغ موالینا انه لا نغنی عنهم من الله شیئاً الا بعمل، وانهم لن ینالوا ولایتنا الا بالورع، وان أشد الناس حسرة یوم القیامة من وصف عدلا ثم خالفه الی غیره»[1].

بل هم یریدون من أتباعهم أن یکونوا دعاة للحق و أدلاء علی الخیر والرشاد، و یرون أن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان: «کونوا دعاة للناس بالخیر بغیر السنتکم، لیروا منکم الاجتهاد والصدق والورع»[2].

و نحن نذکر لک الآن بعض المحاورات التی جرت لهم مع بعض اتباعهم، لتعرف مدی تشدیدهم و حرصهم علی تهذیب أخلاق الناس:

١ـ محاورة أبیجعفر الباقر علیهالسلام مع جابر الجعفی[3]:

١. اصول الکافی: کتاب الایمان، باب زیارة الاخوان.
٢. نفس المصدر: باب الورع.
٣. نفس المصدر: باب الطاعة والتقوی.

«يا جابر! أيكتفى من ينتحل «التشيع» أن يقول بحبنا أهل‌البيت! فوالله ما «شيعتنا» الا من اتقى الله و أطاعه».

«وما كانوا يعرفون الا بالتواضع، والتخشع، والامانة، و كثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة والغارمين والايتام، و صدق الحديث. و تلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في‌الاشياء».

«فاتقوا الله واعملوا لما عند الله! ليس بين الله و بين أحد قرابة. أحب العباد الى الله عزوجل أتقاهم و أعملهم بطاعته»[۴].

«يا جابر والله ما نتقرب الى الله تبارك و تعالى الا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حجة. من كان لله‌مطيعاً فهو لنا ولى ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو. وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع».

۲ـ محاورة أبى‌جعفر أيضاً مع سعيدبن الحسن[۵]:

أبوجعفر: أيجىء أحدكم الى أخيه فيدخل يده فى كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟

سعيد: ما أعرف ذلك فينا.

أبوجعفر: فلا شىء اذن.

سعيد: فالهلاك اذن.

ابوجعفر: أن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد.

۳ـ محاورة أبى‌عبدالله الصادق (ع) مع أبى‌الصباح الكنانى[۶]:

الكنانى لابى عبدالله: ما نلقى من الناس فيك؟!

أبوعبدالله: وما الذى تلقى من الناس؟

الكنانى: لا يزال يكون بيننا و بين الرجل الكلام، فيقول: جعفرى خبيث.

أبوعبدالله: يعيركم الناس بى؟!

الكنانى: نعم!..

۴. وبهذا المعنى قال أميرالمؤمنين فى خطبته القاصعة: «ان حكمه فى أهل السماء و أهل الارض واحد، وما بين الله و بين أحد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرمه على العالمين».

۵. اصول الكافى كتاب الايمان: باب حق المؤمن على اخيه.

۶. نفس المصدر: باب الورع.

أبوعبدالله: ما اقل والله من یتبع جعفراً منکم! انما أصحابی من اشتد ورعه، و عمل لخالقه، ورجا ثوابه. هؤلاء أصحابی!

۴ـ ولابی‌عبدالله علیه‌السلام کلمات فی هذا الباب نقتطف منها ما یلی:

أـ «لیس منا ـ ولا کرامة ـ من کان فی مصر فیه مائة ألف أو یزیدون، و کان فی ذلک المصر أحد أورع منه».

بـ «انا لا نعد الرجل مؤمناً حتی یکون لجمیع أمرنا متبعاً و مریداً ألا و ان من اتباع أمرنا وارادته الورع. فتزینوا به یرحمکم الله».

ج ـ «لیس من شیعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه فی خدورهن، و لیس من أولیائنا من هو فی قریة فیها عشرة آلاف رجل فیهم خلق لله أورع منه».

دـ «انما شیعة «جعفر» من عف بطنه و فرجه واشتد جهاده و عمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه. فاذا رأیت أولئک فاولئک‌شیعة جعفر».

٥- عقيدتنا في الجور والظلم

من أكبر ما كان يعظمه الائمة عليهم‌السلام على الانسان من الذنوب العدوان على الغير والظلم للناس، و ذلك اتباعاً لما جاء في القرآن الكريم من تهويل الظلم واستنكاره، مثل قوله تعالى: «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار».

وقد جاء في كلام أميرالمؤمنين عليه‌السلام ما يبلغ الغاية في بشاعة الظلم والتنفير منه، كقوله و هو الصادق المصدق من كلامه في نهج البلاغة برقم ٢١٩: «والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت». و هذا غاية ما يمكن أن يتصوره الانسان في التعفف عن الظلم والحذر من الجور واستنكار عمله. انه لا يظلم «نملة» في قشرة شعيرة وان أعطى الاقاليم السبعة. فكيف حال من يلغ في دماء المسلمين و ينهب أموال الناس و يستهين في أعراضهم و كراماتهم؟ كيف يكون قياسه الى فعل أميرالمؤمنين؟ و كيف‌تكون منزلته من فقهه صلوات الله‌عليه؟ ان هذا هو الادب الالهي الرفيع الذي يتطلبه الدين من البشر.

نعم! ان الظلم من أعظم ما حرم الله تعالى، فلذا أخذ من‌أحاديث آل‌البيت وادعيتهم المقام الاول في ذمه و تنفير أتباعهم عنه.

و هذه سياستهم عليهم‌السلام، و عليها سلوكهم حتى مع من يعتدي عليهم و يجترىء على مقامهم. وقصة الامام الحسن عليه‌السلام معروفة في حلمه عن الشامي الذي اجترأ عليه و شتمه، فلاطفه الامام و عطف عليه، حتى أشعره بسوء فعلته. وقد قرأت آنفاً في دعاء سيد الساجدين من الادب الرفيع في العفو عن المعتدين وطلب المغفرة لهم. و هو غاية ما يبلغه السمو النفسي والانسانية الكاملة، وان كان الاعتداء على الظالم بمثل ما اعتدى جائزاً في الشريعة وكذا الدعاء

عليه جائز مباح، ولكن الجواز شيء والعفو الذى هو من مكارم الاخلاق شيء آخر، بل عند الائمة أن المبالغة فى الدعاء على الظالم قد تعد ظلماً، قال الصادق عليه‌السلام «ان العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً». أى حتى يكون ظالماً فى دعائه على الظالم بسبب كثرة تكراره. يا سبحان الله! أيكون الدعاء على الظالم اذا تجاوز الحد ظلماً؟ اذن ما حال من يبتدىء بالظلم والجور، و يعتدى على الناس، أو ينهش أعراضهم، أو ينهب أموالهم أو يمشى عليهم عند الظالمين، أو يخدعهم فيورطهم فى المهلكات أو ينبزهم و يؤذيهم، أو يتجسس عليهم؟ ما حال أمثال هؤلاء فى فقه آل البيت عليهم‌السلام؟ ان أمثال هؤلاء أبعد الناس عن الله تعالى، و أشدهم اثماً و عقاباً، وأقبحهم أعمالا و أخلاقاً.

٦ـ عقيدتنا فى التعاون مع الظالمين

ومن عظم خطر الظلم و سوء مغبته أن نهى الله تعالى عن معاونة الظالمين والركون اليهم «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون».

هذا هو أدب القرآن الكريم و هو أدب آل البيت عليهم السلام. وقد ورد عنهم ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون الى الظالمين، والاتصال بهم و مشاركتهم فى أى عمل كان و معاونتهم، ولو بشق تمرة.

ولا شك أن أعظم ما منى به الاسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور، والتغاضى عن مساوئهم، والتعامل معهم، فضلا عن ممالاتهم و مناصرتهم و اعانتهم على ظلمهم، وما جر الويلات على الجامعة الاسلامية الا ذلك الانحراف عن جدد الصواب والحق، حتى ضعف الدين بمرور الايام، فتلاشت قوته. و وصل الى ما عليه اليوم، فعاد غريباً. و أصبح المسلمون أو ما يسمون أنفسهم بالمسلمين، وما لهم من دون الله أولياء ثم لا ينصرون حتى على أضعف أعدائهم وأرذل المجترئين عليهم، كاليهود الاذلاء فضلا عن الصليبيين الاقوياء.

لقد جاهد الائمة عليهم السلام فى ابعاد من يتصل بهم عن التعاون مع الظالمين، و شددوا على أوليائهم فى مسايرة أهل الظلم والجور و ممالاتهم ولا يحصى ما ورد عنهم فى هذا الباب، ومن ذلك ما كتبه الامام زين العابدين عليه السلام الى محمد بن مسلم الزهرى بعد أن حذره عن اعانة الظلمة على ظلمهم: «أوليس بدعائهم اياك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، و جسراً يعبرون عليك الى بلاياهم، و سلماً الى ضلالتهم، داعياً الى غيهم، سالكاً سبيلهم. يدخلون بك الشك على العلماء، و يقتادون بك قلوب الجهال اليهم. فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم الا دون ما بلغت من اصلاح فسادهم

واختلاف الخاصة والعامة اليهم، فما أقل ما أعطوك فى قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك. فانظر لنفسك فانه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول...»[١].

ما أعظم كلمة «وحاسبها حساب رجل مسئول»، فان الانسان حينما يغلبه هواه يستهين فى أغوار مكنون سره بكرامة نفسه، بمعنى انه لا يجده مسئولا عن أعماله، و يستحقر ما ياتى به من أفعال، ويتخيل أنه ليس بذلك الذى يحسب له الحساب على ما يرتكبه ويقترفه ان هذا من أسرار النفس الانسانية الامارة، فأراد الامام أن ينبه الزهرى على هذا السر النفسانى فى دخيلته الكامنة، لئلا يغلب عليه الوهم فيفرط فى مسئوليته عن نفسه.

وأبلغ من ذلك فى تصوير حرمة معاونة الظالمين حديث صفوان الجمال مع الامام موسى الكاظم عليه‌السلام، وقد كان من شيعته ورواة حديثه الموثقين قال ــ حسب رواية الكشى فى‌رجاله بترجمة‌صفوان:ــ «دخلت عليه.

فقال لى: يا صفوان كل شىء منك حسن جميل، خلا شيئاً واحداً.

قلت: جعلت فداك! أى شىء؟

قال: اكراك جمالك من هذا الرجل «يعنى هارون».

قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق «يعنى طريق مكة» ولا أتولاه بنفسى ولكن أبعث معه غلمانى.

قال: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟

قلت: نعم جعلت فداك.

قال: أتحب بقاهم حتى يخرج كراك؟

قلت: نعم.

قال: فمن‌أحب‌بقاهم‌فهومنهم، ومن‌كان‌منهم فهو كان ورد النار.

قال صفوان: فذهبت وبعت جمالى عن آخرها.»

فاذا كان نفس حب حياة الظالمين و بقائهم بهذه المنزلة، فكيف بمن يستعينون به على الظلم أو يؤيدهم فى‌الجور، و كيف حال من يدخل فى زمرتهم أو يعمل بأعمالهم أو يواكب قافلتهم أو يأتمر بأمرهم.

١. راجع تحف العقول: ص ٦٦.

٧ـ عقيدتنا في الوظيفة في الدولة الظالمة

اذا كان معاونة الظالمين ولو بشق تمرة بل حب بقائهم، من أشد ما حذر عنه الائمة عليهم‌السلام، فما حال الاشتراك معهم في الحكم والدخول في وظائفهم و ولاياتهم، بل ما حال من يكون من جملة المؤسسين لدولتهم، أو من كان من أركان سلطانهم والمنغمسين في تشييد حكمهم «و ذلك أن ولاية الجائر دروس الحق كله، و احياء الباطل كله، و اظهار الظلم والجور والفساد» كما جاء في حديث تحف العقول عن الصادق عليه‌السلام.

غير أنه ورد عنهم عليهم‌السلام جواز ولاية الجائر اذا كان فيها صيانة العدل و اقامة حدود الله، والاحسان الى المؤمنين، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر «ان لله في أبواب الظلمة من نور الله به البرهان و مكن له في البلاد، فيدفع بهم عن أوليائه و يصلح بهم امور المسلمين... اولئك هم المؤمنون حقاً. أولئك منار الله في أرضه اولئك نور الله في رعيته...» كما جاء في الحديث عن الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة توضح النهج الذى ينبغي أن يجرى عليه الولاة والموظفين، مثل ما في رسالة الصادق عليه‌السلام الى عبدالله النجاشي أمير الاهواز (راجع الوسائل: كتاب البيع، الباب ٧٨).

٨ـ عقيدتنا فى الدعوة الى الوحدة الاسلامية

عرف آل البيت عليهم السلام بحرصهم على بقاء مظاهر الاسلام، والدعوة الى عزته، و وحدة كلمة أهله، و حفظ التآخي بينهم، و رفع السخيمة من القلوب، والاحقاد من النفوس.

ولا ينسى موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الذين سبقوه، مع توجله عليهم واعتقاده بغصبهم لحقه، فجاراهم وسالمهم بل حبس رأيه في أنه المنصوص عليه بالخلافة، حتى انه لم يجهر في حشد عام بالنص الا بعد أن آل الامر اليه فاستشهد بمن بقى من الصحابة عن نص (الغدير) فى يوم (الرحبة) المعروف. وكان لايتأخر عن الاشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للاسلام بالنفع والمصلحة وكم كان يقول عن ذلك العهد: «فخشيت ان لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً».

كما لم يصدر منه ما يؤثر على شوكة ملكهم أو يضعف من سلطانهم أو يقلل من هيبتهم، فانكمش على نفسه و جلس حلس البيت، بالرغم مما كان يشهده منهم. كل ذلك رعاية لمصلحة الاسلام العامة، و رعاية أن لا يرى فى الاسلام ثلماً أو هدماً، حتى عرف ذلك منه، و كان الخليفة عمر بن الخطاب يقول و يكرر القول: «لا كنت لمعضلة ليس لها أبوالحسن» أو «لولا على لهلك عمر».

ولا ينسى موقف الحسن بن على عليه السلام من الصلح مع معاوية بعد أن رأى أن الاصرار على الحرب سيديل من ثقل الله الاكبر ومن دولة العدل بل اسم الاسلام الى آخر الدهر، فتمحى الشريعة الالهية و يقضى على البقية الباقية من آل البيت، ففضل المحافظة على ظواهر الاسلام و اسم الدين، و ان سالم معاوية العدو الالد للدين و أهله والخصم الحقود له ولشيعته، مع ما يتوقع من الظلم والذل له ولاتباعه و كانت سيوف بنى هاشم و سيوف شيعته مشحوذة تابى أن تغمد، دون

أن تأخذ بحقها من الدفاع والكفاح، ولكن مصلحة الاسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات. و أما الحسين الشهيد عليه‌السلام فلئن نهض فلانه رأى من بنى أمية ان دامت الحال لهم ولم يقف في وجههم من يكشف سوء نياتهم، سيمحون ذكر الاسلام و يطيحون بمجده، فاراد أن يثبت للتاريخ جورهم و عدوانهم و يفضح ما كانوا يبيتونه لشريعة الرسول، و كان ما أراد. و لولا نهضته المباركة لذهب الاسلام في خبر كان يتلهى بذكره التاريخ كأنه دين باطل، و حرص الشيعة على تجديد ذكراه بشتى أساليبهم انما هو لاتمام رسالة نهضته في مكافحة الظلم والجور ولاحياء أمره امتثالا لاوامر الائمة من بعده.

و ينجلي لنا حرص آل‌البيت عليهم‌السلام على بقاء عز الاسلام و ان كان ذو السلطة من ألد أعدائهم، في موقف الامام زين‌العابدين عليه‌السلام من ملوك بنى أمية، و هو الموتور لهم، والمنتهكة في عهدهم حرمته و حرمه، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه و أهل‌بيته في واقعة كربلا، فانه ـ مع كل ذلك ـ كان يدعو في سره لجيوش المسلمين بالنصر وللاسلام بالعز و للمسلمين بالدعة والسلامة، وقد تقدم أنه كان سلاحه الوحيد في نشر المعرفة هو الدعاء، فعلم شيعته كيف يدعون للجيوش الاسلامية والمسلمين، كدعائه المعروف ب(دعاء أهل الثغور) الذى يقول فيه: «اللهم صل على محمد و آل محمد، وكثر عددهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، و ألف جمعهم ودبر أمرهم، و واتر بين ميرهم، وتوحد بكفاية مؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر» الى أن يقول ـ بعد أن يدعو على الكافرين ـ: «اللهم و قو بذلك محال أهل الاسلام، و حصن به ديارهم، و ثمر به أموالهم، و فرغهم عن محاربتهم لعبادتك، وعن منابذتهم للخلوة بك، حتى لا يعبد في بقاع الارض غيرك، ولا تعفر لاحد منهم جبهة دونك»[1] وهكذا يمضى في دعائه البليغ ـ و هو من أطول أدعيته ـ في توجيه الجيوش المسلمة الى ما ينبغي لها من مكارم الاخلاق و أخذ العدة للاعداء، و هو يجمع الى التعاليم الحربية للجهاد الاسلامي بيان الغاية منه و فائدته، كما ينبه المسلمين الى نوع الحذر من أعدائهم وما يجب أن يتخذوه في معاملتهم

١. ما أجمل هذا الدعاء. و أجدر بالمسلمين في هذه العصور أن يتلوا هذا الدعاء ليعتبروا به وليبتهلوا الى الله تعالى في جمع كلمتهم و توحيد صفوفهم وتنوير عقولهم.

ومكافحتهم، وما يجب عليهم من‌الانقطاع الى الله تعالى والانتهاء عن محارمه، والاخلاص لوجهه الكريم فى جهادهم.

وكذلك باقى الائمة عليهم السلام فى‌مواقفهم مع ملوك عصرهم، وان لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل بكل قساوة وشدة، فانهم لما علموا أن دولة الحق الا تعود اليهم انصرفوا الى تعليم الناس معالم دينهم وتوجيه أتباعهم التوجيه الدينى العالى. و كل الثورات التى حدثت فى عصرهم من العلويين وغيرهم لم تكن عن اشارتهم ورغبتهم، بل كانت كلها مخالفة صريحة لاوامرهم و تشديداتهم، فانهم كانوا أحرص على كيان الدولة الاسلامية من كل أحد حتى من خلفاء بنى العباس أنفسهم.

و كفى أن نقرأ وصية الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام لشيعته «لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فان كان عادلا فاسألوا الله بقاه، و ان كان جائرأ فاسألوا الله اصلاحه، فان صلاحكم فى صلاح‌سلطانكم، و ان السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم فأحبوا له ما تحبون لانفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لانفسكم»[۲].

وهذا غاية ما يوصف فى محافظة الرعية على سلامة السلطان أن يحبوا له ما يحبون لانفسهم، و يكرهوا له ما يكرهون لها.

وبعد هذا، فما أعظم تجنى بعض كتاب العصر اذ يصف الشيعة بأنهم جمعية سرية هدامة. أو طائفة ثوروية ناقمة. صحيح ان من‌خلق الرجل المسلم المتبع لتعاليم آل البيت عليهم‌السلام بغض الظلم والظالمين والانكماش عن أهل الجور والفسوق، والنظرة الى أعوانهم و أنصارهم نظرة الاشمئزاز والاستنكار، والاستيحاش والاستحقار، وما زال هذا الخلق متغلغلا فى نفوسهم يتوارثونه جيلا بعد جيل، ولكن مع ذلك ليس من شيمتهم الغدر والختل، ولا من طريقتهم الثورة والانتفاض على السلطة الدينية السائدة باسم الاسلام، لا سرأ ولا علنأ، ولا يبيحون لانفسهم الاغتيال أو الوقيعة بمسلم مهما كان‌مذهبه و طريقته، أخذأ بتعاليم أئمتهم عليهم‌السلام، بل المسلم الذى يشهد الشهادتين مصون المال محقون الدم، محرم العرض «لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفسه» بل المسلم أخو المسلم عليه من حقوق الاخوة لاخيه ما يكشف عنه البحث الاتى.

۲. الوسائل: فى كتاب الامر بالمعروف والنهى عن‌المنكر، الباب ۱۷.

٩ـ عقيدتنا فى حق المسلم على المسلم

ان من أعظم و أجمل ما دعا اليه الدين الاسلامي هو التآخي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم و مراتبهم و منازلهم. كما أن من أوطأ و أخس ما صنعه المسلمون اليوم و قبل اليوم هـو تسامحهم بالاخذ بمقتضيات هذه الاخوة الاسلامية.

لان من أيسر مقتضياتها ـ كما سيجيء فى كلمة الامام الصادق عليه‌السلام ـ أن يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه و يكره له مايكره لنفسه.

أنعم النظر و فكر فى هذه الخصلة اليسيرة فـى نظر آل‌البيت عليهم‌السلام، فستجد انها من أشق ما يفرض طلبه من المسلمين‌اليوم، وهم على مثل هذه الاخلاق الموجودة عندهم البعيدة عن روحية الاسلام، فكر فى هذه الخصلة لو قدر للمسلمين أن ينصفوا أنفسهم و يعرفوا دينهم حقاً و يأخذوا بها فقط ـ أن يحب أحدهم لاخيه ما يحب لنفسه ـ لما شاهدت من أحد ظلماً ولا اعتداء، ولا سرقة ولا كذباً، ولا غيبة ولا نميمة، ولا تهمة بسوء ولا قدحا بباطل، ولا اهانة ولا تجبرا.

بلى؛ ان المسلمين لو وقفوا لادراك أيسر خصال الاخوة فيما بينهم و عملوا بها لارتفع الظلم والعدوان من الارض، ولرأيت البشر اخوانا على سرر متقابلين‌قدكملت لهم أعلى درجات السعادة‌الاجتماعية ولتحقق حلم الفلاسفة الاقدمين فى المدينة الفاضلة، فما احتاجـوا حينما يتبادلون الحب والمودة الى الحكومات والمحاكم، ولاالى الشرطة والسجون، ولا الى قانون للعقوبات وأحكام للحدود والقصاص، ولما خضعوا لمستعمر ولا خنعوا لجبار، ولا استبد بهم الطغاة، ولتبدلت الارض غير الارض و أصبحت جنة النعيم و دار السعادة.

أزيدك، أن قانون المحبة لو ساد بين البشر ـ كما يريده الدين بتعاليم الاخوة ـ لانمحت من قاموس لغاتنا كلمة (العدل)، بمعنى انا

لم نعد نحتاج الى العدل و قوانينه حتى نحتاج الى استعمال كلمته بل كفانا قانون الحب لنشر الخير والسلام، والسعادة والهناء، لانالانسان لا يحتاج الى استعمال العدل ولا يطلبه القانون منه الا اذا فقد الحب فيمن يجب أن يعدل معه، أما فيمن يبادله الحب كالولد والاخ انما يحسن اليه و يتنازل له عن جملة من رغباته فبدافع من الحبوالرغبة عن طيب خاطر، لا بدافع العدل والمصلحة.

و سر ذلك أن الانسان لا يحب الا نفسه وما يلائم نفسه، و يستحيل أن يحب شيئاً أو شخصاً خارجاً عن ذاته الا اذا ارتبط به وانطبعت في نفسه منه صورة ملائمة مرغوبة لديه. كما يستحيل أن يضحي بمحض اختياره له، في رغباته و محبوباته لاجل شخص آخر لا يحبه ولا يرغب فيه، الا اذا تكونت عنده عقيدة أقوى من رغباته مثل عقيدة حسن العدل والاحسان، و حينئذ اذ يضحي باحدى رغباته انما يضحي لاجل رغبة أخرى أقوى كعقيدته بالعدل اذا حصلت التي تكون جزء من رغباته بل جزء من نفسه.

وهذه العقيدة المثالية لاجل أن تتكون في نفس الانسان تتطلب منه أن يسمو بروحه على الاعتبارات المادية، ليدرك المثال الاعلى في العدل والاحسان الى الغير، و ذلك بعد أن يعجز أن يتكون فينفسه شعور الاخوة الصادق والعطف بينه و بين أبناء نوعه.

فاول درجات المسلم التي يجب أن يتصف بها أن يحصل عنده الشعور بالاخوة مع الآخرين فاذا عجز عنها ـ و هو عاجز على الاكثر لغلبة رغباته الكثيرة و أنانيته ـ فعليه أن يكون في نفسه عقيدة في العدل والاحسان اتباعاً للارشادات الاسلامية، فاذا عجز عن ذلك فلا يستحق أن يكون مسلماً الا بالاسم و خرج عن ولاية الله ولم يكن لله فيه نصيب على حد التعبير الاتي للامام. والانسان على الاكثر تطغى عليه شهواته العارمة فيكون من أشق ما يعانيه أن يهيىء نفسه لقبول عقيدة العدل، فضلا عن أن يحصل عليها عقيدة كاملة تفوق بقوتها على شهواته.

فلذلك كان القيام بحقوق الاخوة من أشق تعاليم الدين اذا لم يكن عند الانسان ذلك الشعور الصادق بالاخوة. ومن أجل هذا أشفق الامام أبوعبدالله الصادق عليهالسلام أن يوضح لسائله و هو أحد أصحابه «المعلى بن خنيس» عن حقوق الاخوان أكثر مما ينبغي أن يوضح له خشية أن يتعلم ما لا يستطيع ان يعمل به. قال

المعلى[1]:

«قلت له ما حق المسلم على المسلم؟

قال أبوعبدالله: له سبعة حقوق واجبات، ما منهن حق الا وهو عليه واجب، ان ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته، ولم‌يكن لله فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك! وما هى؟

قال: يا معلى انى عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ، و تعلم ولا تعمل.

قلت: لا قوة الا بالله.

وحينئذ ذكر الامام الحقوق السبعة بعد أن قال عن الاول منها: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره‌لنفسك».

يا سبحان الله! هذ هو الحق اليسير! فكيف نجد ـ نحن المسلمين اليوم ـ يسر هذا الحق علينا؟ شاهت وجوه تدعى الاسلام ولا تعمل بأيسر ما يفرضه من حقوق. والاعجب أن يلصق بالاسلام هذا التأخر الذى أصاب المسلمين، وما الذنب الا ذنب من يسمون أنفسهم بالمسلمين، ولا يعلمون بأيسر ما يجب أن يعملوه من دينهم.

ولاجل التاريخ فقط، ولنعرف أنفسنا و تقصيرها، أذكر هذه الحقوق السبعة التى أوضحها الامام عليه‌السلام.

۱ـ أن تحب لاخيك المسلم ما تحب لنفسك، و تكره له ما تكره لنفسك.

۲ـ أن تجتنب سخطه، و تتبع مرضاته، و تطيع أمره.

۳ـ تعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، و رجلك.

۴ـ أن تكون عينه، و دليله، و مرآته.

۵ـ ان لا تشبع و يجوع، ولا تروى و يظمأ، ولا تلبس و يعرى.

۶ـ أن يكون لك خادم وليس لاخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، و تمهد فراشه.

۷ـ أن تبر قسمه، و تجيب دعوته، و تعود مريضه، و تشهد جنازته. و اذا علمت له حاجة تبادره الى قضائها، ولا تلجئه الى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة.»

ثم ختم كلامه عليه‌السلام بقوله:

۱. راجع الوسائل: كتاب الحج، ابواب احكام العشرة، الباب ۱۲۲، الحديث۷.

«فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته و ولايته بولايتك».

و بمضمون هذا الحديث روايات مستفيضة عن أئمتنا جمع قسماً كبيراً منها كتاب الوسائل فى أبواب متفرقة.

وقد يتوهم المتوهم ان المقصود بالاخوة فى أحاديث أهل‌البيت عليهم‌السلام خصوص الاخوة بين المسلمين الذين من أتباعهم «شيعتهم خاصة»، ولكن الرجوع الى رواياتهم كلها يطرد هذا الوهم، ان‌كانوا من جهة اخرى يشددون النكير على من يخالف طريقتهم ولا يأخذ بهداهم و يكفى أن تقرأ حديث معاوية بن وهب[۲] قال:

«قلت له ـ أى الصادق عليه‌السلام ـ: كيف ينبغى لنا أن نصنع فيما بيننا و بين قومنا و بين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا، فقال: تنظرون الى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله انهم ليعودون مرضاهم، و يشهدون جنائزهم، و يقيمون الشهادة لهم و عليهم و يؤدون الامانة اليهم».

أما الاخوة‌التى يريدها الائمة عليهم‌السلام من أتباعهم فهى أرفع من هذه الاخوة الاسلامية، وقد سمعت بعض الاحاديث فى فصل تعريف الشيعة. و يكفى أن تقرأ هذه المحاورة بين أبان بن تغلب و بين الصادق عليه‌السلام من حديث أبان نفسه[۳]. قال أبان: كنت أطوف مع أبى‌عبدالله فعرض لى رجل من أصحابنا كان سألنى الذهاب معه فى حاجته، فاشار الى، فرآنا ابوعبدالله.

قال: يا أبان اياك يريد هذا؟

قلت: نعم!

قال: هو على مثل ما أنت عليه؟

قلت: نعم!

قال: فاذهب اليه واقطع الطواف.

قلت: وان كان طواف الفريضة.

قال: نعم!

قال أبان: فذهبت، ثم دخلت عليه بعد، فسألته عن حق المؤمن، فقال: دعه لا ترده! فلم أزل أرد عليه حتى قال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر الى فرأى ما داخلنى فقال: يا أبان أما تعلم أن الله قد

۲. اصول الكافى: كتاب العشرة، الباب الاول.

۳. راجع الوسائل: كتاب الحج، أبواب العشرة، الباب ۱۲۲، الحديث ۱۶.

ذكر المؤثرين علی أنفسهم؟ قلت: بلی! قال: اذا أنت قاسمته فلم تؤثره، انما تؤثره اذا أنت أعطيته من النصف الآخر!

(أقول): ان واقعنا المخجل لا يطمعنا أن نسمی أنفسنا بالمؤمنين حقاً. فنحن بواد و تعاليم أئمتنا عليهم‌السلام فی واد آخر. وما داخل نفس أبان يداخل نفس كل قارىء لهذا الحديث، فيصرف بوجهه متناسياً له كأن المخاطب غيره، ولا يحاسب نفسه حساب رجل مسئول.

الفصل الخامس



١ـ عقيدتنا فى البعث والمعاد
٢ـ عقيدتنا فى المعاد الجسمانى

١ـ عقيدتنا في البعث و المعاد

نعتقد ان‌الله تعالي يبعث‌الناس بعدالموت في‌خلق جديدفي‌اليوم الموعود به عباده فيثيب المطيعين، و يعذب العاصين و هذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرايع‌السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به، عقيدة قرآنية، جاء بها نبينا الاكرم ـصلي‌الله عليه و آله و سلمـ فان من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً و يعتقد كذلك بمحمد (ص) رسولا منه أرسله بالهدي‌و دين الحق، لابد أن يؤمن بما أخبر بـه القرآن الكريـم، مـن البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم، وقد صرح القرآن بذلك، ولمح اليه بما يقرب من ألف آية كريمة و اذا تطرق الشك في ذلك الي شخص فليس الا لشك يخالجه في صاحب الرسالة او وجود خالق الكائنات أو قدرته بل ليس الا لشك يعتريه في أصل الاديـان كلها، وفي صحة الشرايع جميعها.

٢ـ عقيدتنا فى المعاد الجسمانى

و بعد هذا، فالمعاد الجسمانى بالخصوص ضرورة من ضروريات الدين الاسلامى، دل صريح القرآن الكريم عليها: «ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه ـ القيامة:٣» «و ان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد ـ الرعد: ٥» «افعيينا بالخلق الاول بل‌هم فى لبس من خلق جديد ـ ق: ١٤».

وما المعاد الجسمانى على اجماله الا اعادة الانسان فى يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب، و ارجاعه الى هيئته الاولى بعد أن يصبح رميماً. ولا يجب الاعتقاد فى تفصيلات المعاد الجسمانى اكثر من هذه العقيدة على بساطتها التى نادى بها القرآن، و اكثر مما يتبعها من الحساب والصراط والميزان والجنة والنار والثواب والعقاب بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية.

«ولا تجب المعرفة على التحقيق التى لا يصلها الا صاحب النظر الدقيق، كالعلم بأن الابدان هل تعود بذواتها أو انما يعود ما يماثلها بهيئاتها، وان الارواح هل تعدم كالاجساد أو تبقى مستمرة حتى تتصل بالابدان عند المعاد، و ان المعاد هل يختص بالانسان او يجرى على كافة ضروب الحيوان، و ان عودها بحكم الله دفعى أو تدريجى. و اذا لزم الاعتقاد بالجنة والنار لا تلزم معرفة وجودهما الان، ولا العلم بانهما فى السماء أو الارض أو يختلفان و كذا اذا وجبت معرفة الميزان لا تجب معرفة انها ميزان معنوية، أو لها كفتان، ولا تلزم معرفة ان الصراط جسم دقيق أو هو الاستقامة المعنوية، والغرض أنه لا يشترط فى تحقق الاسلام معرفة أنها من الاجسام...»[١].

١. فى هامش نسختنا: مقتبس من كتاب كشف الغطاء: ص ٥ للشيخ الكبير كاشف الغطاء.

نعم ان تلك العقيدة فى‌البعث والمعاد على بساطتها هى التى جاء بها الدين الاسلامي، فاذا أراد الانسان أن يتجاوزها الى‌تفصيلها باكثر مما جاء فى‌القرآن ليقنع نفسه دفعاً للشبه التى يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلى، أو التجربة الحسية، فانه انما يجنى على نفسه، و يقع فى مشكلات و منازعات، لا نهاية لها. و ليس فى‌الدين ما يدعو الى مثل هذه التفصيلات التـى حشدت بهـا كتب المتكلمين والمتفلسفين، ولا ضرورة دينية ولا اجتماعية ولا سياسية تدعو الى امثال هاتيك المشاحنات والمقالات المشحونة بهـا الكتب عبثاً والتى استنفدت كثيرا من جهود المجادلين واوقاتهم و تفكيرهم بلا فائدة.

والشبه والشكوك التى تثار حول التفصيلات يكفى فـى ردهـا قناعتنا بقصور الانسان عن ادراك هذه الامور الغائبة عنا، والخارجة عن افقنا، و محيط وجودنا، والمرتفعة فوق مستوانـا الارضى، مـع علمنا بأن الله تعالى العالم القادر أخبرنا عن تحقيق المعاد و وقـوع البعث.

و علوم الانسان و تجربياته و أبحاثه يستحيل أن تتناول شيئاً لا يعرفه ولا يقع تحت تجربته و اختباره الا بعد موته و انتقاله من هذا العالم ـ عالم الحس والتجربة والبحث ـ فكيف ينتظر منه أن يحكم باستقلال تفكيره و تجربته بنفى هذا الشىء او اثباته، فضلا عن أن يتناول تفاصيله و خصوصياته الا اذا اعتمد على التكهن والتخمين أو على الاستبعاد والاستغراب، كما هو من‌طبيعة خيال الانسان أن يستغرب كل ما لم يألفه ولم يتناوله علمه و حسه كـالقائـل المندفع بجهله لاستغراب البعث والمعاد «من يحيي العظام وهى رميم». ولا سند لهذا الاستغراب الا انه لم ير ميتاً رميماً قد اعيدت له الحياة من جـديـد، ولكنه ينسى هذا المستغرب كيف خلقت ذاته لاول مرة، ولقد كان‌عدماً، و أجزاء بدنه رميماً تالفت من الارض وما حملت ومن الفضاء وما حوى من هنا و هنا حتى صار بشرا سويا ذاعقل وبيان «اولم يرالانسان‌انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه».

يقال لمثل هذا القائل الذى‌نسى خلقه: «يحييها الذى أنشاها أول مرة و هو بكل خلق عليم» يقال له: انك بعد ان تعترف بخالق‌الكائنات و قدرته، و تعترف بالرسول وما أخبر به، مع قصور علمك حتى عـن ادراك سر خلق ذاتك و سر تكوينك، و كيف كان نموك و انتقالك من

نطفة لا شعور لها ولا ارادة ولا عقل الى مراحل متصاعدة مؤتلفاً من ذرات متباعدة، لبلغ بشراً سوياً عاقلا مدبراً ذا شعور و احساس. يقال له: بعد هذا كيف تستغرب ان تعود لك الحياة من جديد بعد أن تصبح رميماً و انت بذلك تحاول أن تتطاول الى معرفة مالا قبل لتجاربك و علومك بكشفه؟ يقال له لا سبيل حينئذ الا أن تذعن صاغراً للاعتراف بهذه الحقيقة التى اخبر عنها مدبر الكائنات العالم القدير، و خالقك من العدم والرميم. وكل محاولة لكشف مالا يمكن كشفه، ولا يتناوله علمك، فهى محاولة باطلة، و ضرب فى التيه، و فتح للعيون فى الظلام الحالك ان الانسان مع ما بلغ من معرفة فى هذه السنين الاخيرة، فاكتشف الكهرباء والرادار واستخدم الذرة، الى أمثال هذه الاكتشافات التى لو حدث عنها فى السنين الخوالى، لعدها من أول المستحيلات ومن مواضع التندر والسخرية، انه مع كل ذلك لم يستطع كشف حقيقة الكهرباء ولا سر الذرة، بل حتى حقيقة احدى خواصها وأحد أوصافها، فكيف يطمع أن يعرف سر الخلقة والتكوين، ثم يترقى فيريد أن يعرف سر المعاد والبعث.

نعم ينبغي للانسان بعد الايمان بالاسلام أن يجتنب عن متابعة الهوى، و ان يشغل فيما يصلح أمر آخرته و دنياه و فيما يرفع قدره عندالله و أن يتفكر فيما يستعين به على نفسه، و فيما يستقبله بعد الموت من شدائد القبر والحساب بعد الحضور بين يدى الملك العلام، و أن يتقى «يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون»(١).

---

(١) و يقع البحث فى مقامات:

الاول: فى أن المعاد بفتح الميم فى الاصطلاح هو زمان عود الروح الى بدنه الذى تعلق به فى الحياة الدنيا فالمراد به هو يوم القيامة أو هو مكان عود الروح الى بدنه المذكور، فالمراد به حينئذ هو الاخرة، وقد يستعمل المعاد بمعناه المصدرى من عاد يعود عوداً و معاداً فالمراد به هو عودة الارواح الى أبدانها هذا كله بناء على بقاء الروح وانفكاكه

عن البدن بالموت كما هو المختار، و أما بناء على اتحاده مع البدن و فنائه بالموت، فالمراد من المعاد حينئذ هو الوجود الثانى للاجسام والابدان و اعادتها بعد موتها و تفرقها، و كيف كان فقد استعمل المعاد فى القرآن الكريم، ولكن لم يعلم أن المقصود منه هو المعانى الاصطلاحية المذكورة لاحتمال أن يكون المقصود منه محل عود النبى اليه هو المكة «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ـ القصص: ۸۵».

و أما كلمة الميعاد فهى مستعملة فى يوم القيامة، ولكنه ليست من العود بل هى من الوعد «ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ـ آل عمران: ۹».

نعم شاع استعماله فى كلمات المتشرعة، بل فى الآثار والاخبار، و منها ما ورد عن مولينا اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: «فاتقوا الله تقية من سمع فخشع ـ الى أن قال ـ وأطاب سريرة و عمر معاداً واستظهر زاداليوم ليوم رحيله»[1].

و منها ما جاء فى بعض الادعية: «اللهم صل على محمد و آل محمد اهل الذكر الذين امرت بمسئلتهم و ذوى القربى الذين امرت بمودتهم و فرضت حقهم و جعلت الجنة معاد من اقتص آثارهم»[2].

الثانى: ان الانسان الحى ليس بدنا محضاً ولا روحاً محضاً، بل هو مركب من الروح والبدن والروح و ان لم يعلم حقيقته، ولكن يعلم أنه غير البدن وقابل للارتباط مع ماوراء الطبيعة و للارسال والاحضار و باق بعد موت

۱. نهج البلاغه فيض الاسلام: ج۱ ص ۱۷۸، الخطبة ۸۲.
۲. مفاتيح الجنان: اعمال يوم الغدير.

البدن و يشهد لذلك ـ مضافا الى ما نجده من الفـرق بينهما بالعلم الحضورى بالروح دون البدن و رؤية بعض الارواح فى بعض المنامات الصادقة بعد موت الاشخاص وغير ذلك ـ قوله تعالى فى القرآن الكريم: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون ـ البقرة: ۱۵۴» ولا يختص ذلك بالشهداء، لقوله تعالى فى آل فرعون: «النار يعرضون عليها غـدواً و عشياً و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ـ المؤمن: ۴۶» لصراحة الاية الكريمة على بقاء آل فرعون الـى يوم القيامة و عذابهم صباحاً و مساء فالشهداء والكفار لا يفنون بفناء أبدانهم، بل كل من يموت لا يفنى بـل هو باق بنص قوله تعالى: «حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ـ المؤمنون: ۹۹ـ۱۰۰» لصراحة «ارجعـون» فـى انهم رحلوا عن الدنيا و دخلوا فى النشأة الاخـرى، و هـى البرزخ، فمع موت الابدان و الرحلة عن الدنيا تكـون الارواح باقية فى البرزخ و لهم مطلوبـات و تمنيات و مكالمات و مخاطبات، و أيضاً يبقى كل نفس بنص قوله تعالى ايضاً: «قل يتوفيكم ملك الموت الذى و كل بكم ثم الى ربكم ترجعون ـ السجدة: ۱۱» اذ المراد من التوفى هو الاخذ، والمأخوذ هو شىء غير البدن أخذه الملك و حفظه و أرجعه الى ربه.

قال بعض المحققين: «هذه الاية دلت على ان فـى الانسان شيئاً اخر غير البدن يأخذه ملك الموت و على ان الروح يبقى بعد الموت، و على ان حقيقة الانسان و شخصيته بذلك الروح الذى يكون عند ملك الموت»[۳]

۳. راجع معارف القرآن: جلسه ۵۰ ص ۴۳۲.

والاصرح من هذه الاية قوله تعالي: «الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ـ الزمر: ۴۲» اذ الامساك والارسال بعد الاخذ والتوفي مما يصرحان على وجود شيء آخر مع البدن و هو الروح، و هو يبقى بعد الموت و يمسكه الله تعالي، و غير ذلك من الادلة المتعددة المتظافرة القطعية[4].

الثالث: ان بين الحياة الدنيوية، والحياةالاخروية، حياة اخرى، و هي الحياة البرزخية، والايات الدالة على تلك الحياة متعددة، و قد مر شطر منها، و بقي الاخرى، منها قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل‌الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم‌الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون... ـ آل‌عمران: ۱۶۹ـ ۱۷۰» لان البشارة بالذين لم يلحقوا بهم بعد القتل في سبيل الله والشهادة لا تكون الا في‌الحياة البرزخية.

و منها قوله تعالى: «قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي و جعلني من المكرمين ـ يس: ۲۵ـ۲۷» اذ التمني بعد القتل والدخول في‌الجنة بالنسبة الى قومه الذين قتلوه ولم يسمعوا ارشاده، و كانوا أحياء لا يكون الا في‌الحياة البرزخية، قال بعض الاعلام ـ بعد نقل جملة من الايات الدالة على الحياة البرزخية ـ: «ظاهر الايات الكريمة ان الانسان المؤمن

۴. راجع الكتب التفسيرية، والحديثية والفلسفية منها: درر الفوائد: ج۲، ص ۳۵۵ـ۳۷۵، و نامه رهبران: ص ۴۴۴ و معرفت نفس و گوهرمراد: ص ۹ و ۹۶ و ۴۳۱.

بعد الموت يدخل الجنة كما فى قوله تعالى: «الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» و قوله تعالى: «و اما ان كان من المقربين فروح و ريحان و جنة نعيم» و قوله تعالى: «وادخلى جنتى» و قوله تعالى: «قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون» لان الظاهر الامر بدخول الجنة بعد موتهم لا يوم القيامة، بل قوله تعالى: «قيل ادخل الجنة» صريح فى آنه فىالبرزخ لقولَه تعالى: «قال يا ليت قومى يعلمون».

كما أن بعض الايات الكريمة ظاهرة فىالمطلب، و ان لم يذكر فيها لفظ الجنة من أجل أن الرزق بكرة و عشياً ليس من صفات الجنة الاصلية لان النعم فيها دائمى، ولا بكرة فيها، ولا عشى، لعدم الشمس وقتئذ كما يأتى انشاءالله تعالى ان «فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين» و «ان اكلها دائم» و «ان فواكهها لا مقطوعة ولا ممنوعة» و «لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد و يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» و «يدعون فيها بفاكهة كثيرة و شراب» انتهى موضع الحاجة[5].

اقول: وقد دل بعض الايات على أن الكفار كآل فرعون أيضاً لهم حياة برزخية، و يعذبون فيها بكرة و عشياً، فلا يختص الحياة البرزخية بالمؤمنين، هذا مضافاً الى تواتر الاخبار بوجود الحياة البرزخية، كالروايات الدالة على السئوال فىالقبر و ضغطة القبر و الروايات الدالة على أن القبر، اما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، و الروايات الدالة على أن الاموات بعد قبض الروح يتلاقون، و يتعارفون

٥. رسالة فى المعاد: ج٢ ص ٢ للعلامة الحاج الشيخ ميرزا على الاحمدىمدظله و هى مخطوطة.

و يتساءلون كما عن أبي‌عبدالله ـ‌عليه‌السلام‌ـ قال: «اذا مات الميت اجتمعوا عنده فسئلوه عمن مضى وعمن بقي، فان كان مات ولم يرد عليهم قالوا قد هوى هوى، و يقول بعضهم دعوه حتى يسكن مما مر عليه من الموت»[۶].

والروايات الدالة على أن الاموات يأنسون بمن‌زار قبورهم، و يدعون في حق الاحياء، والروايات الدالة على ان ارواح المؤمنين قبل قيام الساعة في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون ربنا اقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا، والروايات الدالة على أن ارواح الكفار في حجرات النار يأكلون من طعامها، و يشربون من‌شرابها، و يتزاورون فيها، و يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا.

والروايات الدالة على أن ارواح المؤمنين حشرهم الله الى وادى السلام في ظهر الكوفة وهم حلق حلق‌قعود يتحدثون.

والروايات الدالة على مكالمة النبي او الائمة ـ‌عليهم صلوات‌الله‌ـ مع الاموات، كما روى عن النبي ـ‌صلى‌الله عليه و آله‌ـ: «انه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد القوا في القليب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله (ص) اخرجتموه من منزله و طردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له عمر: يا رسول الله ماخطابك لهام قد صديت، فقال له: مه يابن الخطاب فوالله ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم و بين أن تأخذهم الملائكة

۶. رسالة في المعاد: ج۱ ص ۴۴ نقلا عن الوافي: ج۳ ص ۹۸ ابواب مابعدالموت باب ۱۱۰.

بمقامع الحدید الا ان اعرض بوجهی هکذا عنهم»[۷] وغیر ذلك من طوائف الاخبار.

ثم ان الظاهر من الاخبار أن الارواح فی عالم البرزخ یعیشون فی قالب مثالی کابدانهم، کما ورد عن أبی ولاد عن ابی‌عبدالله ــعلیه‌السلامــ قال: «قلت له: جعلت فداك یروون أن أرواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش فقال لا، المؤمن اکرم علی الله من أن یجعل روحه فی حوصلة طیر لکن فی أبدان کأبدانهم»[۸] وفی روایة اخری: «فاذا قبضه الله عزوجل صیر تلك الروح فی قالب کقالبه فی‌الدنیا فیأکلون و یشربون، فاذا قدم علیهم القادم عرفوه بتلك الصورالتی کانت فی‌الدنیا»[۹] فالحیاة البرزخیة مسلمة لا مجال للتشکیك فیها.

الرابع: ان‌حقیقة الموت لیست هی‌الانعدام والفناء بل هی انقطاع ارتباط الارواح مع الابدان، والانتقال من الحیاة الدنیویة الی الحیاة البرزخیة، وقد عرفت‌قیام الاخبار المتواترة جدا علی بقاء الارواح بعد الموت، و وجود الحیاة البرزخیة، و الیه یشیر ما عن مولینا أمیرالمؤمنین ــعلیه‌السلامــ: «أیها الناس انا خلقنا و ایاکم للبقاء لا للفناء ولکنکم من دار تنقلون، فتزودوا لما أنتم صائرون الیه و خالدون فیه والسلام»[۱۰].

وما عن الحسن بن علی ــعلیهما‌السلامــ حیث‌سئل عنه: «ما الموت الذی جهلوه، انه قال: اعظم سرور یرد

۷. بحارالانوار: ج۶ ص ۲۵۴.
۸. بحارالانوار: ج۶ ص ۲۶۸.
۹. بحارالانوار: ج۶ ص ۲۷۵.
۱۰. بحارالانوار: ج ۷۳ ص ۹۶.

على المؤمنين اذا نقلوا عن دار النكد الى نعيم الابد، و أعظم ثبور يرد على الكافرين اذا نقلوا عن جنتهم الى نار لا تبيد ولا تنفد»[11].

وما عن على بن الحسين ـعليهما السلامـ انه قال: «لما اشتد الامر بالحسين بن على بن ابى طالب نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم، لانهم كلما اشتد الامر تغيرت ألوانهم، و ارتعدت فرائصهم، و وجلت قلوبهم، و كان الحسين ـصلوات الله عليهـ و بعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم و تهدأ جوارحهم و تسكن نفوسهم، فقال بعض لبعض انظروا لا يبالى بالموت، فقال لهم الحسين ـعليه السلامـ:

صبراً بنى الكرام فما الموت الا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسطة، والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن الى قصر، وما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن و عذاب، ان أبى حدثنى عن رسول الله ـصلى الله عليه و آلهـ: ان الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر، والموت جسر هؤلاء الى جنانهم و جسر هؤلاء الى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»[12] و قال ايضاً فى خطبته المعروفة: «خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة» الى اخرها، مع ان الزينة بدون المتزين لا امكان لها. و قيل لمحمد بن على ـعليهما السلامـ: «ما الموت قال: هو النوم الذى يأتيكم كل ليلة الا انه طويل مدته لا ينتبه منه الا يوم القيامة، فمن راى فى نومه من أصناف الفرح مالا يقادر قدره ومن أصناف الاهوال مالا يقادر قدره، فكيف حال فرح فى النوم و وجل فيه، هذا هو الموت فاستعدوا

۱۱ و ۱۲. بحارالانوار: ج۶ ص ۱۵۴.

له»[۱۳].

فالموت ليس اعداماً للانسان فاطلاق الاعدام والافناء على بعض انواع الموت لا يكون على سبيل الحقيقة اذ الارواح باقية و تشخص الاشخاص بالارواح، فزيد باق مادام روحه باقيا، اذ البدن كالثوب فكما ان نزع الثوب لا يوجب سلب الزيدية عن زيد، فكذلك نزع البدن لا يوجب ذلك، ولذا كثيراً ما رأينا آبائنا او امهاتنا أو اقرباءنا أو أصدقاءنا فی المنام بعد مماتهم و نقول رأيناهم ولا يكون اسناد الرؤية اليهم اسناداً مجازياً، و ربما يخبرونا بالواقعيات، و بما يختص بهم، مما لم يعلم به الا بهم، فهذه آية وجودهم فی الواقع من دون ريب و ارتياب.

بل الموت وسيلة انتقال للانسان و ارتقائه و تخليصه عن الاوساخ والاقذار، و سبب نجاته عن سجن الدنيا و كدوراتها، و موجب لاستراحة المؤمن واراحة الناس عن الكفار والاشرار، و هو حق يأتی كل انسان «انك ميت و انهم ميتون».

الخامس: ان اعادة الارواح الى الابدان فی القيامة لا تكون اعادة المعدوم، لان المفروض كما عرفت هو بقاء الارواح فی البرزخ، فالارواح لا تكون معدومة حتى يكون اعادتها اعادة المعدوم كما لا يكون أيضاً اعادة اجزاء البدن اعادة المعدوم، لان الاجزاء المتفرقة موجودة معلومة عند الله تعالى، ولا يعزب شیء منها عن علمه تعالى مهما تبدلت و تغيرت.

هذا مضافاً الى عدم اشتراط بقاء أجزاء مادة البدن

۱۳. بحارالانوار: ج۶ ص ۱۵۵.

في عينية الانسان المعاد و اتحاده مع الانسان الذیکان فیالدنيا عقلالماعرفت من أنتشخص الشخص بحقيقته، و هی روحه، و لذا لميضر ببقائه تبدل أجزائه فیالحياة الدنيا بتمامها، مع ما قيل من أن أجزاء الانسان تتبدل مرات عديدة في طول سنوات عمره[۱۴] و يشهد له حكم المحاكم بمجرمية من ارتكب جرماً في أيام شبابه، ثم هرب و اخذ في ايام هرمه، و لزوم عقوبته مع تبدل أجزاء بدنه مرات عديدة، في طول حياته فلو خلق مثل بدن ميت فیالعقبى، و أعيد روحه اليه، لكان العينية محفوظة كما لا يخفى، ولكن مقتضى الادلة الشرعية هو خلق البدن من الاجزاء المتفرقة التي كانت بدناً له في أيام الدنيا، كما يشهد له قوله تعالى: «و كذلكتخرجون ــ الروم:۱۹» فان الاخراج والخروج فرع بقائهم في الارض والا فلا يصدق عنوان الاخراج والخروج وغير ذلك من الشواهد والادلة و لعل اليه يؤل ما ذكرهالمحقق اللاهيجي ــقدسسرهــ: «من أن المحققين يقولون: ان البدن بعد مفارقة الروح، و ان انعدم بحسب الصورة، ولكن يبقى بحسب المادة ففي وقت الاعادة افيض عليها مثل الصورة الاولية، و يتعلق الروح الباقي بالبدن المعاد (و يتحد الهوهوية) لان تشخص الانسان بتشخص النفس الناطقة، التي هی الروح، ولا دخل في تشخص النفس الناطقة الا مادة البدن مع صورة ما، فالصورة المعينة لا مدخلية لها، الاترى أن شخص الطفل بعينه هو شخصالكهل، أو الشيخ، مع أنبدن الكهل أوالشيخ، ليس بدن الطفل بعينه، فاذا كان روح المثاب روح المطيع الباقي بعينه، و مادة بدنه مادة

۱۴. راجع معارف قرآن: جلسهٔ ۴۹ ص ۴۱۴_۴۲۱.

بدنه بعينها، فلا يلزم أن يكون المثاب غير المطيع، كما لا يلزم أن يكون الكهل غير الطفل»[۱۵] ولا يخفى عليك أنه ان أراد من قوله «ولا دخل فى تشخص النفس الناطقة» الخ، دخالة مادة ما فى تشخص النفس الناطقة عقلاً، ففيه منع، لما عرفت آنفاً.

و ان اراد دخالتها شرعاً فهو، و اليه يرجع ايضاً ما فى متن تجريد الاعتقاد حيث قال: «و يتأول (اى العدم يتأول) فى المكلف (بفتح اللام) بالتفريق كما فى قصة ابراهيم ـ عليه السلام ـ» و قال الشارح العلامة فى شرح عبارة المحقق الطوسى ـ قدس سرهما ـ: «و أما المكلف الذى يجب اعادته فقد تأول المصنف ـ رحمه الله ـ معنى اعدامه بتفريق أجزائه ولا امتناع فى ذلك الى أن قال: فاذا فرق أجزائه كان هو العدم، فاذا أراد الله تعالى اعادته جمع تلك الاجزاء و ألفها كما كانت، فذلك هو المعاد» الى آخر عبارته فراجع[۱۶].

ولا استغراب فى هذا الجمع عن الحكيم القدير الخبير، روى على بن ابراهيم فى تفسيره عن أبيه عن ابن أبى عمير عن أبى ايوب عن أبى بصير، عن أبى عبدالله ـ عليه السلام ـ: «ان ابراهيم عليه السلام نظر الى جيفة، على ساحل البحر تأكلها سباع البر، و سباع البحر ثم يثب السباع بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، فتعجب ابراهيم ـ عليه السلام ـ فقال: «رب أرنى كيف تحيى الموتى» فقال الله له: «اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعياً

۱۵. سرمايه ايمان: ص ۱۵۹ـ۱۶۰.
۱۶. شرح تجريد الاعتقاد: ص ۴۰۲، الطبع الجديد.

و اعلم ان الله عزيز حكيم» فأخذ ابراهيم ـصلوات الله عليه ـ الطاووس والديك والحمام والغراب، قال الله عزوجل: «فصرهن اليك» اى قطعهن ثم اخلط لحماتهن (لحمهن خ ل) و فرقها على كل عشرة جبال، ثم خذ مناقيرهن و ادعهن يأتينك سعياً، ففعل ابراهيم ذلك و فرقهن على عشرة جبال ثم دعاهن فقال اجيبينى باذن الله تعالى، فكانت يجتمع و يتألف لحم كل واحد، وعظمه الى رأسه و طارت الى ابراهيم، فعند ذلك قال ابراهيم «ان الله عزيز حكيم»[۱۷] قال العلامة المجلسى ـقدس سره ـ: «تلك الاخبار تدل على أنه تعالى يحفظ أجزاء الماكول فى بدن الآكل، و يعود فى الحشر الى بدن المأكول كما أخرج تلك الاجزاء المختلطة والاعضاء الممتزجة من تلك الطيور و ميز بينها»[۱۸].

و روى عن هشام بن الحكم انه قال الزنديق للصادق ـعليه السلام ـ: «أنى للروح بالبعث والبدن قد بلى، والاعضاء قد تفرقت، فعضو فى بلدة تأكلها سباعها، و عضو باخرى تمزقه هوامها، و عضو قد صار تراباً، بنى به مع الطين حائط قال: ان الذى انشأه من غير شىء و صوره على غير مثال كان سبق اليه، قادر أن يعيده كما بدأه، قال: أوضح لى ذلك، قال: ان الروح مقيمة فى مكانها: روح المحسنين فى ضياء و فسحة و روح المسيىء فى ضيق و ظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق (وفى المصدر كما منه خلق) وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها، فما اكلته و مزقته كل ذلك فى التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة فى ظلمات الارض، و يعلم عدد الاشياء و وزنها، و ان

۱۷. بحارالانوار: ج۷ ص ۳۶ـ۳۷.
۱۸. بحارالانوار: ج۷ ص ۳۷.

تراب الروحانيين بمنزلة الذهب فى التراب، فاذا كان حين البعث مطرت الارض فتربو الارض، ثم تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب، اذا غسل بالماء، والزبد من اللبن اذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب (وفى المصدر كل قالب الى قالبه فينتقل) فينتقل باذن الله تعالى الى حيث الروح، فتعود الصور باذن المصور كهيئتها، و تلج الروح فيها فاذا قداستوى لا ينكر من نفسه شيئاً»[١٩].

و روى فى الكافى عن عمار بن موسى عن أبى عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: «سئل عن الميت يبلى جسده، قال نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم الا طينته التى خلق منها، فانها لا تبلى، تبقى فى القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة»[٢٠].

قال العلامة المجلسى ـ قدس سره ـ توضيح: «مستديرة أى بهيئة الاستدارة أو متبدلة متغيرة فى أحوال مختلفة ككونها رميماً و تراباً، وغير ذلك، فهى محفوظة فى كل الاحوال، انتهى موضع الحاجة»[٢١].

و عليه فلا مانع من جمع المتفرقات خصوصاً اذا اكتفى بالطينة الاصلية كما هو مفاد بعض الاخبار.

السادس: فى امكان المعاد ولا يخفى أن عود الارواح الى أبدانها ممكن ذاتاً ولا استحالة فيه، لما عرفت من أن عود الارواح الى أبدانها ليس اعادة المعدوم، حتى يقال باستحالتها، لان المعدوم لا شيئية له حتى يعاد، ففرض اعادة المعدوم لا يعقل الا اذا فرض المعدوم موجوداً حتى يكون قابلا للاعادة، و مع هذا الفرض

١٩. بحارالانوار: ج٧ ص ٣٧ـ٣٨.
٢٠ و ٢١. بحارالانوار: ج٧ ص ٤٣.

يجتمع العدم والوجود فى شىء واحد و هو محال، وايضا عودة الارواح، و تجديد الحياة، تكون بعدموت الابدان، لا فيحال موت الابدان حتى يكون تناقضاً، فمع عودة الارواح عادت الحياة، ولا موت للابدان، فلا يجتمع موت الابدان مع حياتها حتى يناقضها، و عليه فالمعاد هو اعادة الموجود الى الموجود، لبقاء الارواح ولبقاء أجزاء الابدان، أو مادتها، و تجديد حياة الابدان بعد موتها لا فى حال موتها، و هذا لا استحالة فيه، بل أمر ممكن ذاتاً، هذا كله بالنسبة الى الامكان الذاتى.

و أما الامكان الوقوعى فهو أيضاً واضح، اذ لا يستلزم المعاد محالا، بل المقتضى لوجوده موجود، ولا مانع منه، أما المقتضى فهو لتمامية شرط الفاعلية بسبب كونه موافقا للحكمة و العدالة و نحوهما كما سيأتى انشاء الله بيانه، و أما عدم المانع فلعدم وجه صحيح ليمتنع وقوعه، بل أدل شىء على امكان وقوعه، هو وقوع مثل المعاد و هو الرجعة فىالدنيا، اذ الرجعة فىالحقيقة عودالارواح الى أبدانها كالمعاد، و انما الفرق بينهما فىالتوقيت و عدمه، وقد عرفت آنفاً امكان الرجعة، و وقوعها فىالامة السالفة بنص القرآنالكريم، و عرفت ايضاً قيام الاخبار المتواترة على وقوعها فى الامة الاسلامية بعد ظهور الامام الثانىعشر أرواحنا فداه، فما تخيل أنه مانع ليس بمانع، و انما هو حاك عن قصور المتخيل فى درك الحقايق كما لا يخفى فلا يبقى الا استبعادات من الكفار والملحدين، وهذه الاستبعادات ناشية عن قياس قدرة الخالق و علمه بقدرة المخلوق و علمه، و الافمن آمن بالله تعالى وأوصافه على مااقتضته الادلة والبراهين القطعية، لا يستبعد صدور شىء منه تعالى، و قد أشار الى بعضها فىالقرآن الكريم مع

الجواب عنه كقوله تعالى: «و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة و هو بكل خلق عليم ـ يس: ۷۸» والاية الكريمة أشارت الى قدرته تعالى التى اوجبت انشاء العظام وغيرها اول مرة و الى علمه الواسع الذى لايعزب عنه شيء من المخلوقات حتى يرفع استبعادهم فى عودة حياة العظام البالية، وفى جمع الاجزاء المتفرقة فى اقطار الارض و أكد ذلك فى ضمن آيات عديدة اخرى ايضاً، منها قوله تعالى: «او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ـ يس: ۸۱» و منها قوله تعالى: «يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (الى ان قال عز شأنه) و ترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج ـ الحج: ۵».

فمن شك فى صدور المعاد عن قدرته تعالى فلينظر الى ما صدر وما يصدر عنه تعالى فى خلقه الانسان مع عجائب ما فيه، وفى خلقة الاشجار والاثمار والنباتات، فهل يمكن ان يقدر الله تعالى على مثل هذه الامور ولا يقدر على احياء الموتى بعد تفرق اجزائهم، فالتأمل حول قدرته تعالى والعلم بأنها مطلقة، و هكذا التأمل حول علمه تعالى و انه لا يعزب شيء عن حيطة علمه، يوجب رفع الاستبعادات والظنون الواهية، اذ لا موجب لها بل هذه الظنون والدعاوى الباطلة لا توافق حكمة الله تعالى، وقد أشار اليه فى كتابه العزيز بقوله: «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ـ ص: ۲۷» و سيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى عند الاشارة الى الادلة العقلية

لوقوع المعاد و وجوبه.

ثم ان هذه الظنون سواء كانت عن الذين آمنوا بالله، أو عن الذين لم يؤمنوا به، التى لا دليل عليها تنشأ عن ضعفهم فى المعرفة بالله تعالى وقدرته وعلمه، مضافاً الى مطابقتها لاهوائهم و أميالهم الفاسدة، لان الاعتقاد بالمعاد يصلح للرادعية، والدعوة الى ترك اللذات، والشهوات الفاسدة، فبانكار المعاد يرفع هذا الرادع عن أمامهم ولعل اليه يشير قوله تعالى: «لااقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه ـ القيامة: ١ـ٥» فارادتهم للشهوات والاهواء من دون مانع تدعوهم الى الانكار، كما يشهد قوله تعالى: «ويل للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم ـ المطففين: ١٠ـ١٢» على أن التجاوز والذنوب ألجأهم الى الانكار. فينقدح مما ذكر أن المعاد الجسمانى أمر ممكن ذاتاً و وقوعاً، ولا دليل على خلافه.

السابع: فى حتمية المعاد، ولا ريب أن القرآن الكريم أخبر عن وقوع القيامة والمعاد اخباراً جزمياً قطعياً مع التأكيدات المختلفة. و تعرض لخصوصياته فى ضمن آيات كثيرة التى تقرب الفين على ما ذكره بعض المحققين واليك بعض الايات: «و ان الساعة آتية لاريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور ـ الحج: ٧».

وفى هذه الاية أخبر عن وقوع القيامة والمعاد الجسمانى بالجزم والقطع، و نفى عنه مطلق الريب والشك مع التأكيدات و أكد وقوعها فى ضمن آيات اخر بالقسم كقوله عز شأنه:

«زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى و ربى

لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير ـ التغابن: ۷» وفى هذه الاية ذكر أصناف التأكيدات من القسم ولام القسم ونون التأكيد، وقرن هذه التأكيدات بمثل قوله: «و ذلك على الله يسير» فى ذيل الآية، لبيان حتمية البعث، والنشر من القبور الذى أنكره الكفار، و عبر عن القيامة والبعث المذكور بالماضى، لحتمية وقوعه كقوله عز شأنه: «اذا وقعت الواقعة ـ الواقعة: ۱» و قوله تعالى: «اذا زلزلت الارض زلزالها ـ الزلزال: ۱».

و جعل القيامة قريبة ممكنة خلافاً لما تخيله الكفار من كونها بعيدة، و قال جل جلاله: «انهم يرونه بعيداً و نريه قريباً ـ المعارج: ۷» و أرسل رسله للانذار والتبشير بالآخرة والقيامة، كما قال تعالى: «و ما نرسل المرسلين الا مبشرين و منذرين ـ الانعام: ۴۸» وليس ذلك الا لحتمية وقوعها، و ايضا جعل القيامة من ميعاده التى لا تخلف فيها، لحتمية وقوعها، كما قال تعالى: «ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ـ آل‌عمران: ۹».

و غير ذلك من الايات، فان كلها تحكى عن حتمية وقوع القيامة والبعث والنشور المذكور فى القرآن بالمطابقة او الملازمة، فان بيان أوصاف القيامة، وبيان أوصاف المؤمنين والكافرين والمجرمين، أو بيان أوصاف الجنة والجحيم أو غير ذلك، ايضا تدل على حتمية وقوع القيامة والبعث والنشور، اذ البحث عن هذه الخصوصيات، يكون بعد الفراغ عن اصل وقوعها.

ثم ان مقتضى قوله: «و اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على

كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعياً و اعلم ان الله عزيز حكيم ـ البقرة: ۲۶۰» و غيره هو أن المعاد الذى آمن به ابراهيم وغيره فى الازمان السالفة قبل الاسلام هو المعاد الجسمانى.

فالايات القرآنية تدل بالصراحة على وقوع المعاد و حتميته و على كونه معاداً جسمانياً، و على كونه مما اعتقد و آمن به كل نبى و كل مرسل و كل مؤمن فى كل عصر من الاعصار الماضية، هذا مع قطع النظر عن الاخبار و الروايات المتواترات الواردة فى المعاد الجسمانى، فلا مجال للريب فى اصل وقوع المعاد، وفى كونه جسمانياً، بمعنى عودة الارواح الى أبدانها ولافى أدلة المعاد لصراحتها و تواترها.

ولقد أفاد و اجاد العلامة الحلى ـقدس سرهـ حيث قال: «المعاد الجسمانى معلوم بالضرورة من دين محمد ـصلى الله عليه و آله وسلمـ والقرآن دل عليه فى آيات كثيرة بالنص، مع أنه ممكن فيجب المصير اليه، وانما قلنا بأنه ممكن لان المراد من الاعادة جمع الاجزاء المتفرقة و ذلك جايز بالضرورة»[۲۲] فقول بعض الفلاسفة من اتباع المشائين باختصاص المعاد بالمعاد الروحانى على المحكى، مخالف للضرورة من الدين، كما أن قول جمع من المتكلمين بعدم بقاء الروح و فنائه بموت الابدان يخالف الايات والروايات المتواترة الدالة على بقاء النفس، و وجود الحياة البرزخية، فالحق هو بقاء الارواح و ان معادها هو عودتها الى أبدانها.

الثامن: فى الادلة العقلية ولا يخفى أنه لا حاجة الى الاستدلال بالادلة العقلية، على وقوع المعاد بعد قيام

۲۲. شرح تجريد الاعتقاد: ص ۴۰۶، الطبع الجديد.

الادلة السمعية القطعية و ضرورة الاسلام بل ضرورة الدين، على اثبات المعاد، ولكن حيث أشير في الادلة السمعية الى الوجوه العقلية فلا بأس بذكر بعضها:

١ـ دليل الحكمة

ان الحد الوسط في هذا الدليل هو حكمته تعالى، والشكل القياسي في هذا الدليل، يكون هكذا: ان الله تعالى حكيم، والحكيم لا يفعل عبثاً و سفهاً، فهو تعالى لا يفعل عبثاً و سفهاً.

ثم ينضم اليه القياس الاستثنائي، و هو انه لولم يكن للانسان معاد لكان خلقه عبثا و باطلا ولكن الله تعالى لا يفعل عبثاً و سفهاً، فالمعاد للانسان ثابت فحكمته تعالى تقتضي ان يكون للانسان حياة دائمية و معاد في القيامة و توضيح ذلك يحتاج الى بيان مقدمات.

الاولى: ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يفعل العبث والسفه، لانه قبيح لرجوعه الى ترجيح المرجوح، أو لانه محال، لاوله الى الترجح من غير مرجح، وقد مر البحث عنه في العدل ولا ينافي ذلك ما عرفته في المباحث المتقدمة من أن الله تعالى لا غاية له وراء ذاته. لان المقام يثبت الغاية للفعل لا للفاعل وكم من فرق بينهما.

الثانية: ان العبث والسفه هو ما لا يترتب عليه غاية عقلائية، مثل ما اذا صرف ذو ثروة ماله فيما لا منفعة له، او فيما يكون منفعته أقل مما صرفه، ولايكون الصرف ذا حكمة، الا اذا ترتب عليه المنفعة الزائدة عما صرف فالفعل لا يخرج عن العبثية والسفاهة، الا اذا ترتب عليه فائدة و غاية عقلائية، و عليه فخلقة الانسان مع ابتلائه بانواع المشكلات، و كون نهايته الفناء من دون ترتب فائدة على ذلك بالنسبة الى الله تعالى لكونه

كمالا محضاً و غنياً مطلقاً، ولا بالنسبة الى المخلوق بعد فرض كونه سيصير فانياً عبث و سفاهة لانه بمنزلة ذى صنعة يصنع شيئا مهماً ثم يخربــه قبل أن يستفيد منه نفسه او غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و عبادة الانسان واطاعته لله عزوجل لا تنفع فى حقه تعالــى، لكونه غنياً مطلقا، ولا فى حق المطيع بعدكون المفروض أنه سيصير فانياً، والاستكمال بالطاعة والعبادة لامطلوبية له الا اذا كان المطيع باقيا، فان العبادة والطاعة حينئذ توجبان رفعة نفس المطيع الى مقام يتلذذ منه، كالقرب و الدنو من ساحة ربه المتعال، و كلياقته للمجالسة مع الاولياء الكرام، فى جنات النعيم و غيرذلك.

قال الاستاذ الشهيد المطهرى ـقدس سره ـ: «ان كان خلف كل وجود عدم، أو خلف كل عمران تخريب، و ان كان كل نيل للتخلية فما يحكم على النظام العالمى الا التحير والضلال، و تكرار المكررات، فيقوم وجود كل شىء على العدم والباطل»[٢٣].

و قرره الحكيم المتأله محمد مهدى النراقى بوجــه آخر، و هو: «أنا نرى فى هــذا العالــم بعض الناس يطيعــون و بعضا اخر يعصون، و بعضهم يحسنون، و بعضاً اخر يسيئون، وبعضهم يديمون فى العبادة والطاعة، و بعضاً اخر يديمون المعاصى والسيئات، و نرى جمعاً فى الخيرات والمبرات، و جمعاً اخر فى الظلم والخطيئات. و نرى طائفة نالوا مقام رضاية الله تعالى، وفرقة اخرى ذهبوا فى الطغيان والضلال، و نرى طبقة فــى الاحسان والنصح، و زمرة فى الملاهى والمناهى.

و نرى مع ذلك أن الموت يعرض على جميعهم و

٢٣. زندگى جاويد.

يفنيهم، مع عدم نيل كل واحد منهم بجزاء عمله، فلولم يكن عالم اخر يجزى كل واحد بعمله لكان خلقة هذا النوع العظيم شأنه عبثاً و سفهاً»[۲۴] و نحوه كلام الفاضل الشعرانى ـقدس سرهـ فى ترجمة و شرح تجريد الاعتقاد[۲۵] فراجع.

و كيف كان فما يخرج خلقة الانسان عن السفاهة والعبث، هو وقوع المعاد، لان يصل الانسان الى نتيجة عمله الذى عمله فى الدنيا، من الاستكمال أو جزائه، و اليه يؤل قوله تعالى: «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ـ المؤمنون: ۱۱۵ـ۱۱۶».

فقوله: «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انكم الينا لا ترجعون» اشارة الى ان خلقة الانسان بدون الرجوع والمعاد ليس الا عبثاً و سفاهة و هى المقدمة الثانية.

و قوله تعالى: «فتعالى الله الملك الحق» اشارةالى عدم وقوع العبث منه تعالى لعلوه عن ذلك و هو المقدمة الاولى، و لعل قوله: «لا اله الا هو رب العرش الكريم» اشارة الى عدم حاجته الى خلقة الانسان و معاده، لانه مالك الملك، والذى يكون كذلك، لا حاجة الى غيره، فنيل الانسان الى غايته و عدمه لا يؤثران فى مالكيته للملك، و انما الخلقة و معادها تنشأ من علوه، وكماله، و غناه، فلا مورد لاستكمال الكامل المطلق بالخلقة والمعاد.

الثالثة: ان المستفاد من دليل الحكمة هو معاد الانسان كما يشير اليه الاية الكريمة، و أما معاد عالم المادة والحيوانات فقدذهب بعض أساتيذنا الى الاستدلال

۲۴. انيس الموحدين: ص ۲۳۲، الطبع الجديد.
۲۵. ترجمه و شرح تجريد الاعتقاد: ص ۵۶۴.

له بدليل الحكمة، ولكنه محل تأمل، لامكان ان يقال ان خلقة المادة والحيوانات لانتفاع الانسان، كما يدل عليه قوله تعالى: «وسخر لكم ما فى السموات وما فى‌الارض جميعاً منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ـ الجاثية: ١٣» فمع وجود هذه الغاية فى خلقة المادة والحيوانات، و هى استفادة الانسان منها بحيث يتمكن من الحياة الدنيوية حتى يعيش و يعمل ما يعمل ليست خلقتها عبثاً و سفهاً، ولولم يكن لها معاد فاثبات المعاد لهما بهذا الدليل محل تأمل، بل منع، نعم لولم يكن للانسان معاد فلا يكون خلقة كل ذلك الا عبثاً و سفهاً و باطلا كما لا يخفى.

و كيف كان فاذا عرفت هذه المقدمات يكون خلقة الانسان احسن شاهد على‌وقوع المعاد، اذ العبث‌لايصدر منه تعالى، فاذا كان الانسان مخلوقاً فلا يكون عبثاً مع أنه لا يخرج عن العبثية الا بوقوع المعاد، فحكمته تعالى توجب البعث والمعاد، كما صرح به المحقق الطوسى ـ قدس‌سره ـ فى متن تجريد الاعتقاد[٢٦].

و قال العلامة الطباطبائى ـ قدس‌سره ـ فى ذيل‌قوله تعالى: «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ـ الانبياء: ١٦ـ١٧»: «ان للناس رجوعاً الى الله و حساباً على أعمالهم ليجازوا عليها ثواباً و عقاباً، فمن الواجب أن يكون هناك نبوة و دعوة، ليدلوا بها الى ما يجازون عليه من الاعتقاد والعمل، فالمعاد هوالغرض من الخلقة الموجب للنبوة، ولولم يكن معاد، لم يكن للخلقة غرض و غاية، فكانت الخلقة لعباً و لهواً منه تعالى، و

٢٦. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٤٠٥ الطبع الجديد.

هو غير جايز، ولو جاز عليه اتخاذ اللهو لوجب أن يكون بأمر غير خارج من نفسه لا بالخلق الذى هو فعل خارج من ذاته، لان من المحال أن يؤثر غيره فيه ويحتاج الى غيره بوجه، و اذ لم يكن الخلق لعباً فهناك غاية و هو المعاد، و يستلزم ذلك النبوة، و من لوازمه ايضاً نكال بعض الظالمين اذا ما طغوا و اسرفوا و توقف عليه احياء الحق، كما يشير اليه قوله بعد، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق»[۲۷].

وقال أيضاً فی ذیل قوله تعالى: «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ــ ص: ۲۷»: «و هو احتجاج من طريق الغايات، اذ لولم يكن خلق السماء والارض وما بينهما ــ و هی امور مخلوقة مؤجلة توجد و تفنى ــ مؤدياً الى غاية ثابتة باقية غيرمؤجلة كان باطلا، والباطل بمعنى مالا غاية له ممتنع التحقق فی الاعيان، على أنه مستحيل من الحكيم، ولاريب فی حكمته تعالى»[۲۸].

و قرب فی كنز الفوائد فی اصول العقائد دليل الحكمة بما حاصله: «ان بعد ثبوت حكمة الله تعالى فی أفعاله نعلم بأن خلقة العالم ليست عبثاً، بل فيها حكمة و مصلحة، ثم ننظر أن المصلحة ترجع الى الله تعالى، أو الى خلقه و حيث علمنا أنه تعالى غنى بالذات، وكامل من جميع الجهات، فالمصلحة والحكمة ترجع الى الخلق لا محالة ولا تكون الخلقة بمصلحتهم الا اذا كانت نشأة اخرى عقيب هذه الدنيا، والا لزم عدم كون الخلقة بمصلحتهم، و هو نقض للغرض، والنقض من أقبح الامور، و وجهه أن المنافع والمصالح الدنيوية منقطعة

۲۷. تفسير الميزان: ج۱۴ ص ۲۸۳ـ۲۸۴.
۲۸. تفسير الميزان: ج۱۷ ص ۲۰۶.

لا دوام ولاثبات لها، و وجودها لقلة دوامها كعدمها، ولا يكون اعطاء هذه المنافع والمصالح لايقا بشأن الحكيم على الاطلاق.

هذا مضافاً الى اختلاطها و شوبها باضعاف المضاعف من الصعوبات والمشاكل، والمصائب والمحن، والامراض والفتن، والمنافرات، و حصول هذه المنافع والمصالح لا تكون غرضاً من الخلقة، والا لزم نقضا للغرض لانه خلاف الاحسان، هذا نظير كريم يدعو جمعاً كثيراً للضيافة، و غرضه من الدعوة هو الاحسان اليهم لا غير، فيدخلهم فى مجلس الضيافة، و حضر لهم أنواع الاطعمة والاشربة، مع ادخال أنواع الموذيات من السباع و الذئاب و الكلاب والحيات والعقارب و نحوها مما تمنعهم، قبل الالتذاذ الكامل بالاطعمة والاشربة، ولا يعد ذلك عند العقلاء الا من اقبح القبائح التى لا تصدر ممن لا يبالى، فضلا عمن يبالى، فضلا عن الحكيم على الاطلاق، هذا بخلاف ما اذا امر المولى الكريم عباده بالمشقات الجزئية فى زمان قليل لينال فى النشأة الاخرى النعمة الدائمة، والمناصب الجليلة، والعطايا العظيمة، فان الخلقة حينئذ تصير مستحسنة، و قابلة للمدح والثناء، و هذا برهان قاطع أرشد اليه الحق سبحانه و تعالى فى كلامه المجيد بقوله: «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انكم الينا لا ترجعون»[۲۹].

۲ـ دليل العدالة

و يمكن تقريبه بأن الله تعالى عادل والعادل لا يسوى بين الظالم والمظلوم كما لايقدمه ولا يقدره

۲۹. كتاب كنزالفوائد فى اصول العقائد: ص ۳۵۸.

عليه، بل ينتقم من الظالم، فهو تعالى ينتقم من الظالم، ولا يسوى بين الظالم والمظلوم، ولايقدمه ولايقدره على المظلوم.

ثم ينضم اليه القياس الاستثنائى، و يقال لولم يكن للانسان معاد، لزم التسوية بين الظالم والمظلوم، ولزم اقدار الظالم على المظلوم، و لزم الاخلال بالانتقام من الظالمين، ولكنه تعالى منزه عن تلك الامور فالمعاد ثابت للانسان حتى يجزى كل انسان بما يستحقه.

و توضيح ذلك أيضاً يحتاج الى بيان امور، الاول: أن الله تعالى عادل ولا يظلم شيئاً لانه كمال محض و محض الكمال لا يكون ناقصاً، حتى يظلم، والظلم معلول النقص، اذ سببه اما الجهل او حاجة الظالم، أو شقاوته، وخبث ذاته، أو حسادته، و كل واحد نقص، و هو منتف فيه تعالى، وقد مر تفصيل ذلك فى بحث العدل فراجع.

الثانى: أن التسوية بين الظالم والمظلوم فى الجزاء، كتقديم الظالم على المظلوم، واعداده و اعانته، فى كونه ظلما و قبيحا، و ينافى العدل لان العدل هو اعطاء كل ذى حق حقه، والتسوية كالتقديم ابطال الحق و هو عين الظلم.

الثالث: انه لولم يكن معاد لجزاء الانسان لزم التسوية بين المجرمين والصالحين و تقديم الظالمين على المظلومين و اعداد الاشرار و اقدارهم، لان ابناء البشر كانوا و يكونون على الصلاح والفساد، و على الاصلاح والافساد، و على الهداية والضلالة، و كثيرا ما يغلب الفئة الظالمة على المظلومة، والاشرار على الصلحاء، و عليه فان اكتفى بهذه الدنيا ولايكون ورائها الاخرة، كان معناه هو عدم مكافاة الظالمين والمجرمين، و عدم جزاء الصالحين والمتقين، بل معناه هو تقديم الطائفة الظالمة على الطائفة المظلومة، لاعدادهم

بأنواع النعمات دون الطائفة المغلوبة.

لا يقال: هذه الدنيا تكفي لجزاء الصالحين والطالحين فمن عمل صالحاً أعطاه النعم الدنيوية والعزة، ومن عمل سيئاً سلب منه النعم، وابتلاه بالخزي والذلة، و مع جزاء كل فرقة بما يناسبهم، لا يلزم التسوية بين المجرمين و غيرهم، كما لا يلزم تقديم احدى الطائفة على الاخرى.

لانا نقول: ليس كذلك اذ نرى عدم جزاء كثير من الظالمين والفاسدين والمفسدين بل هم يعيشون الى آخر عمرهم في غاية العزة الدنيوية، والقدرة، بخلاف غيرهم فانهم في غاية المهانة والصعوبة، و هو أمر محسوس لا سترة فيه، هذا مضافاً الى أن أعمال المؤمنين والكافرين على درجات مختلفة وقد يكون بعضها مما لايمكن جزاؤه في عالم الدنيا، كمن يقتل الف الف نفس ببعض انواع الصواريخ، ومن المعلوم أن سلب نعمة الحياة، أو اعدام هذا القاتل، مرة واحدة لا يكون جزاء افساده، كما أن من يحيي النفوس الكثيرة بالمعالجة او الهداية، لا يمكن ان يكون جزاؤه هو نعمة الدنيا مع محدوديتها فضلا عن الانبياء والاولياء الذين لا يمكن تقويم عملهم، ولا يصلح مثل الدنيا الدنية لجزائهم، لا سيما محمداً و آله، اذ قد فاق بعض دقائق عمرهم على جميع عمر الاخرين، و قد اشتهر في جوامع الحديث، ان ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، على أن بعض الاعمال في حال الموت و بعده، فلا يمكن جزاء العامل في الدنيا بعد موته، كما اذا جاهد المؤمنون مع الكافرين فمن استشهد من المؤمنين لايمكن جزاؤه، كما أن من هلك من الكافرين لا يمكن جزاؤه، و كما اذا اسس سنة حسنة او سنة سيئة، فعمله بعد الموت يدوم بدوام ما اسسه مع

عدم امكان جزاء العامل، فطبع الدنيا لا يليق بكونها جزاء كاملا للعاملين.

لا يقال: هذا صحيح لو كان التناسخ محالا و الا يمكن العودة المتكررة حتى يتكامل الجزاء، فمن كان صالحاً يعود بعد موته فى بدن يعيش عيشاً مباركاً، ومن كان طالحاً يعود بعد موته فى بدن يعيش عيش سوء، و هذا أمر واسع، ولا يكون محدوداً، و انما يتكرر بحسب ما يستحقه، و عليه فيجزى كل عامل بجزاء عمله و معه لا تسوية، ولا تقديم للفرقة الظالمة على الفرقة المظلومة.

لانا نقول: ان التناسخ مما قامت ضرورة الاديان على خلافه، فلا مجال لاحتماله، فهو مفروض العدم، هذا مضافاً الى عدم امكانه لوجوه كثيرة، منها ان النفس بخروج البدن السابق من القوة الى الفعلية، قد خرجت من القوة الى الفعلية، فلو تعلقت بعد خروجها عن البدن السابق الى بدن آخر، لكانت النفس فى مرتبة الفعلية، والبدن الذى تعلقت به كالجنين مثلا فى مرتبة القوة، فيلزم عدم تكافؤهما فى مرتبة القوة والفعلية[30].

و منها: ان انتقال النفس المستنسخة الى نطفة مستعدة، لا يمنع فيضان النفس الابتدائية، فيلزم اجتماع النفسين فى بدن واحد، و هو مستحيل لامتناع كون الشىء ذا ذاتين، أعنى ذا نفسين، وما من شخص الا و هو يشعر بنفس واحدة له[31].

و منها ما أشار اليه العلامة الطباطبائى ـ قدس سره ـ فى تفسيره حيث قال: «ان التناسخ و هو تعلق النفس المستكملة بنوع كمالها بعد مفارقتها البدن ببدن اخر

٣٠. راجع درر الفوائد: ج٢ ص ٣٩٣ـ٣٩٤.
٣١. المبدء والمعاد: ص ٢٣٨.

محال، فان هذا البدن ان كان ذا نفس استلزم التناسخ تعلق نفسين ببدن واحد، و هو وحدة الكثير، و كثرة الواحد، و ان لم تكن ذا نفس استلزم رجوع ما بالفعل الى القوة»[٣٢].

و يمكن ايضاح امتناع رجوع ما بالفعل الى القوة بما فى المبدء والمعاد، من أن النفس ما دامت يكون بالقوة يمكن لها اكتساب أى مرتبة شاءت لمكان استعدادها قبل صيرورتها بالفعل شيئاً من الاشياء المتحصلة، و اما اذا صارت مصورة بصورة فعلية، واستحكمت فعليتها ورسوخها، وقوى تعلقها، ولصوقها، بالنفس، فاستقرت على تلك المرتبة، و بطل عنها استعداد الانتقال من النقص الى الكمال، والعبور من حال الى حال، فان الرجوع الى الفطرة الاولى، والعود الى مرتبة التراب، والهيولانى، كما فى قوله تعالى: «ليتنى كنت تراباً» مجرد تمنى أمر مستحيل كما مر، والمحال غير مقدور عليه[٣٣].

هذا مضافاً الى احتفاف الدنيا بأنواع المصيبات والالام التى لا تكون معها لايقة لجزاء الاولياء والانبياء والصالحين، بل المناسب لهم هو جزاؤهم بما لا يحتف بهذه المكاره والمصائب، و هو لا يكون الا الاخرة، على أن مجازاة الكفرة والعصاة بدون تنبههم بما فعلوا فى الدورات السابقة، ليست بمجازاة، فالتناسخ لا يمكن أولا، و على فرض امكانه قامت الضرورة على خلافه ثانياً.

هذا مضافاً الى عدم مناسبتها للجزاء بالنسبة الى الصالحين، لاحتفافها بالمكاره، وبالنسبة الى الطالحين

٣٢. تفسير الميزان: ج١ ص ٢١١.
٣٣. المبدء والمعاد: ص ٢٥٣_٢٥٤.

لغفلتهم عن المكافاة، ومضافاً الى ما افاد بعض أساتيذنا مد ظله، من أن الجزاء هو النعمة المحضة التى لايشوبها تكليف، ومسئولية، والنعم الدنيوية، ليست كذلك، لعدم خلوها عن التكليف، و المسئولية كما لا يخفى.

فاذا عرفت هذه المقدمات ظهر لك أن عدالته تعالى، تقتضى المعاد، و هو أمر أرشد اليه القرآن الكريم فى ضمن آيات عديدة منها قوله تعالى: «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ـ ابراهيم: ٤٢».

قال العلامة الطباطبائى ـ قدس سره ـ فى ذيل قوله تعالى: «ام نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار ـ ص: ٢٨»: «هذه هى الحجة الثانية على المعاد، و تقريرها ان للانسان كسائر الانواع كمالا بالضرورة، و كمال الانسان هو خروجه فى جانبى العلم والعمل من القوة الى الفعل، بأن يعتقد الاعتقادات الحقة، و يعمل الاعمال الصالحة، اللتين يهديه اليهما فطرته الصحيحة، و هما الايمان بالحق والعمل الصالح، اللذين بهما يصلح المجتمع الانسانى الذى فى الارض فالذين آمنوا و عملوا الصالحات وهم المتقون الكاملون من الانسان والمفسدون فى الارض بفساد اعتقادهم و عملهم، وهم الفجار هم الناقصون الخاسرون فى انسانيتهم حقيقة، و مقتضى هذا الكمال والنقص، أن يكون بازاء الكمال حياة سعيدة و عيش طيب، و بازاء خلافه خلاف ذلك.

ومن المعلوم ان هذه الحياة الدنيا التى يشتركان فيها هى تحت سيطرة الاسباب والعوامل المادية ونسبتها الى الكامل والناقص والمؤمن والكافر على السواء، فمن أجاد العمل و وافقته الاسباب المادية فاز بطيب العيش

ومن كان على خلاف ذلك لزمه الشقاء و ضنك المعيشة.

فلو كانت الحياة مقصورة على هذه الحياةالدنيوية، التى نسبتها الى الفريقين على السواء ولم تكن حياة تختص بكل منهما، و تناسب حاله، كان ذلك منافياً للعناية الالهية، بايصال كل ذى حق حقه، و اعطاء المقتضيات ما تقتضيه، و ان شئت فقل تسوية بين الفريقين و الغاء ما يقتضيه صلاح هذا و فساد ذلك خلاف عدله تعالى»[٣٤].

ومن الآيات المذكورةقوله تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ـ الجاثية: ٢١» و غير ذلك من الايات.

ثم ان هذا الدليل لا يثبت الا المعاد للمكلفين والعاملين، فان محدودة كل برهان تابع لحد وسطه، والحد الوسط فى هذا البرهان، هو العدل، و هو لايكون الا فىموارد استحقاق الجزاء بالطاعة أوالمخالفة، وهما من أفعال المكلفين، فتسوية المطيع مع المسيىء، تنافى العدالة، أو فى موارد ظلم بعض العباد على بعض اخر، فان مقتضى العدل هو استيفاء حق المظلوم عن الظالم، فكل موارد العدل من موارد التكليف، و عليه فلا يشمل هذا الدليل معاد غير المكلفين.

٣ـ دليل الوعد

هذا الدليل مركب من الدليل الشرعى، والعقلى، اذالجزء الاول منه شرعى، وهوالآيات الدالة على

٣٤. تفسير الميزان: ج١٧ ص ٢٠٦ـ٢٠٧.

الوعد بالثواب والعقاب، و بالجنة والنار منها قوله تعالی: «اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزی الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب اليم بما كانوا يكفرون ـ يونس: ۴» ولما كان الوعد بهما مكرراً و شايعاً صار عنوان يوم الموعود من عناوين يوم القيامة كما صرح به فی قوله تعالی: «والسماء ذات البروج و اليوم الموعود ـ البروج: ۲».

والجزء الثانی منه عقلی، و هو ان الله تعالی لا يخلف الوعد، لان الخلف ناش عن النقص و هو تعالی لا نقص فيه، أو ناش عن الاضطرار والضرورة، و هو أيضاً لا مورد له فی حقه، لانه سبحانه لا يضطره ضرورة، و لذا قال العلامة الطباطبائی ـ قدس سره ـ: «و خلف الوعد و ان لم يكن قبيحاً بالذات لانه ربما يحسن عند الاضطرار لكنه سبحانه لا يضطره ضرورة، فلا يحسن منه خلف الوعد فی حال»[35] وقد أرشد اليه بقوله عزوجل: «و يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده و ان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون ـ الحج: ۴۷».

و عليه فصورة القياس هكذا، ان اللّٰه تعالی وعد بالثواب والعقاب الاخرويين، وبالجنة والنار، و كل ما وعده الله آت ولا يخلفه الله تعالی، فالجنة والنار والثواب والعقاب الاخرويان حتميتان، ولا خلف فيهما.

و اليه أشار المحقق الطوسی فی متن تجريد الاعتقاد حيث قال: «و وجوب ايفاء الوعد... يقتضی وجوب البعث و قال الشارح العلامة فی شرحه: ان الله تعالی وعد بالثواب وتوعد بالعقاب، مع مشاهدة الموت

۳۵. تفسير الميزان: ج۱۶ ص ۱۶۳.

للمكلفين فوجب القول بعودهم، ليحصل الوفاء بوعده و وعيده»[٣٦].

و قال المحقق اللاهيجي ـقدس سره ـ: «وليعلم ان... ايصال ثواب و عقاب جسمانيين يتوقف لا محالة على اعادة البدن لان اللذة والالم الجسمانيين، لا يمكن بدون وجود البدن، ثم لا ينافي ثبوت اللذة والالم الجسمانيين مع ثبوت اللذة والالم الروحانيين، كما هو مذهب المحققين، الذين قالوا بتجرد النفس الناطقة، فالحق هو ثبوت الثواب والعقاب الروحانيين والجسمانيين، اما الروحاني فهو بناء على تجرد النفس الناطقة و بقائه بعد مفارقتها عن البدن، والتذاذه بالكمالات الحاصلة له من ناحية العلم والعمل، و تألمه عن ضد الكمالات المذكورة، و أما الجسماني فهو بناء على وجوب الايفاء بالوعد والوعيد الموجبين لا يصال الثواب والعقاب الجسمانيين»[٣٧].

٤ـ دليل حب البقاء والخلود

ولا خفاء في كون الانسان بالفطرة محبا للبقاء والخلود، و لعله لذا تنافر الناس عن الموت لزعمهم انه فناء و مناف لمحبوبهم الفطري من البقاء، و يشهد ايضا على فطرية هذا الحب، أن الحب المذكور لا يزول عن النفس بالعلم بفناء الدنيا، هذه صغرى القياس، و ينضم الى هذه الكبرى، و هي أن كل ما كان فطرياً فهو مطابق لواقع الامر، لان الفطرة أثر الحكيم المتعال، ولا يكون فعله تعالى لغواً و عبثاً، فكما أن غريزة الاكل والشرب والنكاح حاكية عن وجود ما

٣٦. شرح تجريد الاعتقاد: ص ٤٠٥ الطبع الجديد.
٣٧. سرمايه ايمان: ص ١٦٠ الطبع الجديد.

يصلح للاكل والشرب والنكاح، كذلك تشهد هذه المحبة الفطرية على وجود عالم اخر يصلح للبقاء والخلود.

ولعل اليه يرجع ما ذكره شيخ مشايخنا آية الله الشيخ محمدعلى الشاه آبادى ــقدس سرهــ فى «الانسان والفطرة» حيث قال: «و يدل عليه عشق اللقاء والبقاء مع القطع بعدم البقاء مثل هذه البقاء الملكى، والحياة الدنياوى، مع عدم فتور العشق الكذائى فانه بحكم الفطرة المعصومة، ينكشف أن هناك عالماً غير داثر، و تلاقى معشوقك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر»[٣٨] كما حكى الاستدلال به عن الحكيم المتأله آية الله السيد ابوالحسن الرفيعى[٣٩] وغيره من الاعلام والفحول، و كيف كان فمحبة البقاء آية وجود الاخرة و دليلها، و الا لزم الخلف فى حكمته تعالى، ثم ان رحمته تعالى تقتضى ايصال كل شيء الى ما يستحقه، و رفع حاجة كل محتاج، و عليه فهو تعالى يوصل كل محب للخلود والبقاء الى محبوبه برحمته كما أفاده عزوجل بقوله: «قل لمن ما فى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لاريب فيه ــ الانعام: ١٢».

وفى ما ذكر غنى و كفاية فمن شاء الزيادة فليراجع الى المطولات.

التاسع: فى حشر الحيوانات، وقد يستدل له بقوله تعالى: «وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون ــ الانعام: ٣٨».

قال العلامة الطباطبائى ــقدس سرهــ: «اما السؤال الاول (هل للحيوان غير الانسان حشر؟) فقوله تعالى فى

٣٨. كتاب رشحات البحار، كتاب الانسان والفطرة: ص ٢٦٢ الطبع الجديد.
٣٩. راجع تقريرات بحث شريف معاد: ص ٥ــ٨.

الاية: «ثم الى ربهم يحشرون» يتكفل الجواب عنه، و يقرب منه قوله تعالى: «و اذا الوحوش حشرت ـ كورت: ۵»[40].

و قال ايضاً: «و ببلوغ البحث هذا المبلغ، ربما لاح ان للحيوان حشراً، كما ان للانسان حشراً، فـان الله سبحانه يعد انطباق العدل والظلم والتقوى والفجور على أعمال الانسان، ملاكاً للحشر، و يستدل به عليه كما فى قوله تعالى: «ام نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار ـ ص: ۲۸»[41].

و قال ايضاً: «و هذان الوصفان، اعنى الاحسـان والظلم، موجودان فى أعمال الحيوانـات فى الجملة، و يؤيده ظاهر قوله تعالى: «ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجـل مسمى ـ الفاطر: ۴۵» فان ظاهره ان ظلم الناس لـو استوجب المؤاخذة الالهية كان ذلك لانه ظلم، والظلم شايع بين كل ما يسمى دابة، الانسان و سائر الحيوانات فكان ذلك مستعقباً لان يهلك الله تعالى كل دابة علـى ظهرها، هذا. و ان ذكر بعضهم ان المراد بالدابة فى الآية، خصوص الانسان. ولا يلزم مـن شمول الاخـذ والانتقام يوم القيامة لسائر الحيوان أن يساوى الانسان فى‌الشعور والارادة، و يرقى الحيوان العجم الى درجة الانسان فى نفسياته و روحياته، والضرورة تدفع‌ذلك، والاثار البارزة منها و مـن الانسان تبطله، و ذلك ان مجرد الاشتراك فى الاخذ والانتقام، والحساب‌والاجر، بين الانسان و غيره لا يقضى بالمعادلة والمساواة من

۴۰ـ۴۱. تفسير الميزان: ج۷ ص ۷۴ـ۷۵.

جميع الجهات، كما لا يقتضى الاشتراك فى ما هو أقرب من ذلك، بين افراد الانسان أنفسهم أن يجرى حساب أعمالهم من حيث المداقة والمناقشة مجرى واحداً، فيوقف العاقل والسفيه والرشيد والمستضعف فى موقف واحد»[٤٢].

قال الفاضل المقداد ـ قدس سره ـ: «النقل الشريف دال على أنه ما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون فهؤلاء منهم من يحكم العقل بوجوب البعثة و هو كل من له حق أو عليه حق للانصاف والانتصاف، و منهم من لم يحكم بوجوبه بل بجوازه كمن عدا هؤلاء»[٤٣].

و روى عن ابى ذر قال: «بينا انا عند رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ اذا انتطحت عنزان فقال النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ: أتدرون فيما انتطحا؟ فقالوا: لاندرى، قال: لكن الله يدرى و سيقضى بينهما»[٤٤].

قال العلامة المجلسى ـ قدس سره ـ: «و أما حشر الحيوانات فقد ذكره المتكلمون من الخاصة والعامة على اختلاف منهم فى كيفيته، الى ان قال أقول: الاخبار الدالة على حشرها عموماً و خصوصا، و كون بعضها مما يكون فى الجنة كثيرة سيأتى بعضها فى باب الجنة: وقد مر بعضها فى باب الركبان يوم القيامة وغيره، كقولهم ـ عليهم السلام ـ فى مانع الزكاة: تنهشه كل ذات ناب بنابها ويطؤه كل ذات ظلف بظلفها، و روى الصدوق فى الفقيه باسناده عن السكونى باسناده أن النبى ـ صلى الله عليه وآله ـ أبصر ناقة معقولة، وعليها جهازها، فقال أين

٤٢. تفسير الميزان: ج٧ ص ٧٦ـ٧٧.
٤٣. اللوامع الالهية: ص ٣٧٧.
٤٤. بحارالانوار: ج٧ ص ٢٥٦.

صاحبها مروه فليستعد غداً للخصومة، و روى فيه عن الصادق ـ عليه‌السلام ـ أنه قال: أى بعير حج عليه ثلاث سنين، يجعل من نعم الجنة، و روى سبع سنين، وقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه و آله ـ: استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط، و روى أن خيول الغزاة فى‌الدنيا خيولهم فى الجنة»[۴۵].

العاشر: فى‌تاثير الايمان بالاخرة، ولا يخفى انه اذا علمنا بوجود الآخرة بعد الدنيا، و أن أعمالنا فى هذه الدنيا مضبوطة للمحاسبة فى‌الآخرة، ولا يمكن اخفاؤها، و اذا علمنا أن الجزاء متناسب للاعمال، و آخرتنا رهينة أعمالنا، ولايعطى أحد فيها بشىء من‌دون ملاحظة ايمانه، و عمله فى‌الدنيا، و أنه لامجال لاعمال القدرة فى‌الآخرة، بل المحاسبة والجزاء جرت من دون خطاء و انحراف، واذا آمنا بكل هذه الامور، و اطمئنا بها ظهر أثره فى أعمالنا و عقائدنا، و أفكارنا، و نياتنا، ولذا أكد الانبياء والاولياء على‌الايمان بالآخرة، واختص ثلث القرآن تقريباً بالآخرة و أحوالها، والجنة والنار و مقامات الاولياء و دركات الجحيم، والحساب والصراط وغيرها، و أوصى النبى والائمة الطاهرة ـ عليهم‌الصلاة والسلام ـ بذكر الموت والاخرة، و منه ورد عن النبى ـ صلى‌الله عليه و آله ـ: «أكيس الناس‌من كان أشد ذكراً للموت»[۴۶] ثم‌كلما ازداد ذكر الموت‌والاخرة ازداد الصلاح والاصلاح، ولذا عرف الله تعالى عباده الصالحين بهذه الخصيصة و قال عزوجل: «واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق و يعقوب اولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار و انهم عندنا لمن

۴۵. بحارالانوار: ج۷ ص ۲۷۶.
۴۶. بحارالانوار: ج۶ ص ۱۳۰.

المصطفین الاخیار ـ ص: ۴۵ـ۴۷».

ـ وفی هذه الآیة الکریمة ایضاً دلالة علی أن اخلاص العباد وجعلهم من المخلصین بفتح اللام بواسطة هذه الخصیصة والصفة المبارکة، و کیف کان فیکفی فی أهمیة ذکر الآخرة ان الانذار والتبشیر کان من اصول دعوة الانبیاء والمرسلین، فمن أراد اصلاح نفسه و غیره، فعلیه بذکر الموت والآخرة و أحوالها، و علیه ان یقتفی بالقرآن الکریم وبالانبیاء العظام و بالاولیاء الکرام فی تربیة الناس واصلاحهم، بان ینذرهم و یبشرهم کما کان ذلك سیرة العلماء الابرار.

اذ علة انحراف الجوامع البشریة فی یومنا هذا هی الغفلة عن الله وعن الاخرة، ولا یرتفع الانحراف والسقوط الا بازالة هذه العلة، ولا تزول هذه العلة، الا بذکر الاخرة، والالتفات المستمر الیها، کما قال الله تبارك و تعالی: «و ذکر فان الذکری تنفع المؤمنین ـ الذاریات: ۵۵».

فمن طلب الجنة و مقاماتها فعلیه بالایمان الخالص وبالاخلاق الحسنة وبالاعمال الصالحة لان الجنة و مقاماتها حصیلة هذه الامور والدنیا ـ کما اشتهر عن النبی صلی الله علیه و آله ـ مزرعة الاخرة لان زاد الاخرة لا یمکن تحصیله الا فی هذه الدنیا، کما قال مولینا امیر المؤمنین ـ علیه السلام: «الدنیا دار مجاز والاخرة دار قرار فخذوا من ممرکم لمقرکم»[47] و قال ایضاً: «فتزودوا فی الدنیا من الدنیا ما تحرزون به انفسکم غداً»[48] و من المعلوم ان رجاء الاخرة بدون الایمان والعمل کرجاء الزارع بدون ان یحرث و یبذر، ویسقی

۴۷. بحارالانوار: ج۷۳ ص ۱۳۴.
۴۸. نهج‌البلاغة فیض‌الاسلام: ج۱ ص ۱۴۴، الخطبة ۶۳.

فى أنه لا ينتج الا الندامة والحسرة، قال عزوجل: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً ـ الكهف: ١١٠».

و ان النفرة عن الجحيم والنار و دركاتها من دون ترك موجباتها، كالنفرة عن السبع والعقارب والحيات مع المشى نحوها، خصوصا بناء على تجسم الاعمال، كما هو مفاد بعض الايات كقوله عزوجل: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودلو أن بينها و بينه امداً بعيداً ـ آل‌عمران: ٣٠» فعلى العاقل الخبير ان يفر عن المحرمات كمايفر عن السبع والعقارب والحيات، و يبتعد عن المشتبهات، و يستعد للاخرة ولا يغفل عنها طرفة عين ابداً.

هذا ما حصل لى من شرح هذا الكتاب الفخيم بعون الله و امداده، و اسئله ان يجعله ذخراً لمعادى و هو مجيب الدعوات، و آخر كلامى الحمد لله رب العالمين.

و انا العبد السيد محسن الخرازى

قم المشرفة ـ ١٦ محرم الحرام ١٤٠٩ الهجرية القمرية

فهرس امهات المطالب

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان | الصفحة

الفصل الرابع

ما أدب به آل البيت شيعتهم

العنوان	الصفحة

بسم‌الله الرحمن الرحيم

ولـه الحمد، والصلاة والسلام علـى محمد و آله الطاهرين.

ان شورى ادارة شؤون الحوزة العلمية فـى قـم المشرفة، فـى نطاق اهتمامها برفـع المستوى العلمى لطلاب العلوم الدينية، قد رأت ضرورة الاهتمام بتدريس مواد اضافية اخرى الى جانب الدروس المتداولة.

ولاجل ذلك: فانها حين تجد كتاباً صالحاً لتدريس تلك المادة، فانها تقـرر تدريسه، و حين لا تجد كتابا يتناسب مع الحاجة الفعلية، فانها تطلب من الاساتـذة الاكفاء تأليف كتاب يجمع المواصفات المطلوبة. و قد خطت حتى الان خطوات واسعة و موفقة فى هذا المجال و نذكر من‌الكتب التى تصدت المديرية لنشرها او اعادة طبعها مايلى:

١ــ الملل والنحل ج ١ــ٢	للشيخ جعفر السبحانى
٢ــ الملل والنحل	للشيخ‌رضا الاستادى
٣ــ كليات فى‌علم الرجال	للشيخ جعفر السبحانى
۴ــ بداية المعارف‌الالهية فى‌شرح عقائد الامامية ج ١ــ ٢	للسيدمحسن الخرازى

٥ـ اصول عقائد ج ٢	للشيخ محمد تقى مصباح اليزدى
٦ـ احكام اقتصادى اسلام ج ٢	للشيخ ميرزا حسين المظاهرى
٧ـ التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ـ ۴	للشيخ محمدهادى معرفة
٨ـ الدراية و شرحها	للشيخ الشهيد الثانى
٩ـ تفسير جوامع الجامع ج ١ ـ ٢	للشيخ أمين الدين الطبرسي
١٠ـ خلاصة التمهيد	للشيخ محمدهادى معرفة


VETVS & NOVVM
TESTA MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 058179282


مرکز مدیریت حوزه علمیه قم
(۱۶)